منهج الإمام علي عليه السلام
في
بناء الإنسان وإنسانية الدولة

أعمال المؤتمر العلمي الوطني الثاني

لمؤسسة علوم نهج البلاغة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 3664 لسنة 2019

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيفLC: BP38.02.M8 A4 2019
المؤلف المؤتمر: المؤتمر العلمي السنوي لمنهج الامام علي (عليه السلام) في بناء الانسان (2 : 2017 : كربلاء، العراق).
العنوان: منهج الامام علي (عليه السلام) في بناء الانسان وانسانية الدولة: اعمال المؤتمر العلمي السنوي الثاني
بيان المسؤولية: [اعداد مؤسسة علوم نهج البلاغة. العتبة الحسينية المقدسة].
بيانات الطبع الطبعة الاولى.
بيانات النشر: كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، 2019 / 1440 للهجرة.
الوصف المادي: 5 مجلد ؛ 24 سم.
سلسلة النشر: العتبة الحسينية المقدسة؛ (678).
سلسلة النشر: مؤسسة علوم نهج البلاغة؛ (177)
سلسلة النشر: سلسلة المؤتمرات العلمية؛ (2).
تبصرة ببليوجرافية: يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة – نهج البلاغة.
موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة – نهج البلاغة. عهد مالك الاشتر.
موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – احاديث.
موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – سياسة وحكومة – مؤتمرات.
موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – نظرية في الاقتصاد – مؤتمرات.
موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – معجزات – مؤتمرات.
موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – نظرية في بناء الانسان – مؤتمرات.
موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – نظرية في الاخلاق – مؤتمرات.
مصطلح موضوعي: نظام الحكم في الاسلام – مؤتمرات.
مصطلح موضوعي: النظام الاداري في الاسلام – مؤتمرات.
مصطلح موضوعي: الاسلام والمجتمع – مؤتمرات.
مصطلح موضوعي: الاسلام وحقوق الانسان – مؤتمرات.
مصطلح موضوعي: احاديث خاصة (رد الشمس).
مصطلح موضوعي: الاخلاق الاسلامية –مؤتمرات.
مصطلح موضوعي: الفقر – العراق — تاريخ — مؤتمرات.
مصطلح موضوعي: البلاغة العربية — مؤتمرات.
مصطلح موضوعي: اللغة العربية – نحو — مؤتمرات.
مؤلف اضافي: شرح لـ (عمل) : الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة – نهج البلاغة.
اسم هيئة اضافي: العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). مؤسسة علوم نهج البلاغة – جهة مصدرة.
عنوان اضافي: نهج البلاغة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

سلسلة المؤتمرات العلمية (٢)
المؤتمر العلمي الثاني

منهج الإمام علي عليه السلام في بناء الإنسان وإنسانية الدولة

أعمال المؤتمر العلمي الوطني الثاني لمؤسسة علوم نهج البلاغة

الجزء الثالث

للمدة

13-14/ ربيع الأول/1439هـ الموافق 2-3/ 12/ 2017م

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

العراق - كربلاء المقدسة -مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام
مؤسسة علوم نهج البلاغة
هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣
الموقع الألكتروني: www.inahj.org
الإيميل: Info@Inahj.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ
لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيم

مريم: ٥٥

المحور التربوي والأخلاقي

أثر القيم الأخلاقية
في بناء النفس البشرية
وانعكاساتها الســلوكية
فــي المجتمع
فــي ضــوء سيرة الإمام علي (عليه السلام)

الباحث
احمد محمد جواد الحكيم

مقدمـــة

إن البحـث في طبيعـة النفـس البشريـة ومـن ثـم الوصـول إلى فهـم أفضـل لمسـلك الإنسـان وتصرفاتـه في المجتمع، مـن خـلال مؤثـرات القيـم الأخلاقيـة، هـي مـن أعقـد مـا واجهتـه مجموعـة العلـماء والمفكريـن والمصلحـين والقـادة عـلى مـر العصـور، الذيـن كانـت غاياتهـم، هـي الضبـط الأخلاقـي لميـول هـذا الإنسـان والسـيطرة عـلى أهوائـه وأنانيتـه مـن جشـع وعدوانيـة وقسـاوة، وظلـم وتهالـك نحـو السـلطة والزعامـة، وجمـع الثـروة، والجـري وراء المناصـب والرغبـات، التـي يحـاول تحقيقهـا بوسـائل منافيـة لمبادئ الديـن والأخـلاق والقواعـد الاجتماعيـة الحميـدة. وقـد حـاول قسـم من هـذه المجموعـة إصـلاح ذلـك بإجـراءات نظريـة فحسـب، مـن خـلال الوعـظ والإرشـاد المجـرد، دون أن يكـون لـه أي موقـع عمـلي مؤثـر في المجتمـع. بينـما في المقابـل هنـاك مـن انطلـق في جهـده بالجمـع بـين الناحيتـين النظريـة والعمليـة.

ومـن هـؤلاء الإمـام عـلي بـن أبي طالـب (عليـه السـلام)،الذي كان عالمـاً، حكيـماً، فقيهـاً ،مـن ناحيـة. ومـن ناحيـة أخـرى هـو الحاكـم والخليفـة للمسـلمين. لذلـك جـاءت سـيرته وخطبـه ووصايـاه ورسـائله، في خضـم معاركـه وكفاحـه الصلـب في سـبيل تثبيـت قيـم الحـق والعـدل والمسـاواة. أضـف إلى ذلـك نضالـه الشـديد ضـد مختلـف أنـواع الـشر الأخلاقـي وضـد السـلوك المنحـرف عـن مسـتلزمات الأخـلاق الإسـلامية. لهـذا نجـده، مـن خـلال سـيرته، يقـوم بتحليـل دقيـق ووصـف عميـق لطبيعـة النفـس البشريـة وسبر أغوارهـا وخفاياها.غير أن الـذي أكسـب مضامين سـيرة الإمـام، أهميـة بالغـة، كونهـا نابعـة مـن معاناتـه ومـن خبرتـه عنـد تعاملـه مـع أصنـاف متعـددة مـن النـاس، بخاصـة مناوئيـه، فضـلا عـن تعقيـدات المشـكلات التـي واجهتـه.

وعـلى أسـاس هـذه السـيرة، سـنتناول في هـذا البحـث أثـر القيـم الأخلاقيـة في

بناء النفس البشرية وانعكاساتها السلوكية في المجتمع، من خلال أربعة محاور هي: المراد من القيم الأخلاقية، وسلوك الإنسان وتصرفاته، ثم وسائل بناء النفس البشرية وانعكاسات القيم الأخلاقية على الإنسان في المجتمع،ومفارقات في الأخلاق والسلوك.

يتضمن المحور الأول، معنى القيم الأخلاقية، وما المقصود بسلوك الإنسان وتصرفاته، ومن ثم بيان العلاقة بينهما.فالقيم الأخلاقية هي باختصار صفات إنسانية مجردة، تقوم بدور أدلة لسلوك الناس في كافة ميادين الحياة المختلفة. كما أن القيم الأخلاقية الإيجابية، التي سنركز عليها،تشمل العديد من الأسس، مثل العدل، والحق، والصدق، والفضيلة، والنزاهة، والأمانة للواجب، والمساواة، والرحمة،والتعاون، والتواضع، والتقوى، والعفو، والإحسان، والخير، والنصيحة، والوفاء، والتعاطف.

وبدور هذه القيم ومقاصدها، تتشكل ثوابت ومبادئ ترتكز عليها الأخلاق الاجتماعية، التي تتحقق من خلال تصرفات الناس وأفعالهم، أي سلوكهم الاجتماعي.هذا السلوك يخرج في أحيان كثيرة ، بصورة بارزة عن الخط السوي، عن الإستقامة، عند ذاك يكون ذا طبيعة سلبية وآفة من آفات المجتمع المؤلمة. أما المحور الثاني، فيتضمن وسائل عملية لبناء النفس البشرية،اعتماداً على الفضائل الأخلاقية. من هذه الوسائل: تأثير قوة المثال، ووحدة القول والفعل، والقدرة على تشخيص مواطن الضعف وعلى تصنيف النفس البشرية، والإستقامة وما تتضمنه من نبذ المحاباة والمداهنة والمصانعة والنفاق، والمحاسبة الذاتية الصارمة، والموازين الدقيقة في التعامل مع الآخرين، وأهمية اتباع قادة الحق، والعمل الجماعي والابتعاد عن الإنعزالية، ووحدة المصالح الاجتماعية والشخصية.أما

المحور الثالث، فيبحث انعكاسات القيم الأخلاقية على المجتمع، ويتضمن: اعتماد نهج سياسي قائم على الفضيلة وليس على المكر والغدر والخداع، وتطبيق الأحكام الإلهية دون استثناء، والمساواة في المعاملات، والتشديد على مبدأ الحوار والنصيحة أولا مع المناوئين قبل الانتقال إلى القتال، ومتابعة الولاة في تطبيق القيم الأخلاقية، والتعاطف والرحمة مع الفئات الضعيفة والمظلومة، ونقد للمواقف الحيادية بين الحق والباطل، ومعايير دقيقة للحق والباطل. أما المحور الأخير، فهو عن المفارقات والتناقضات في السلوك والأخلاق، وازدواجية السلوك والتصرفات، وتغيّر المقاييس والأحكام.

أولاً: المراد من القيم والأخلاق والسلوك الإنساني

إن القيم والأخلاق والسلوك، هي مفاهيم مترابطة، متداخلة، من ناحية المعنى والممارسة العملية، التي تؤثر فيها تأثيراً كبيراً الحاجات والمصالح السائدة في المجتمع. والقيم، قد ذكرنا معناها في المقدمة، تعتبر مبادئ أولية، معناها في الفلسفة: ظاهرة مادية أو روحية، تلبي متطلبات معينة للإنسان أو المجتمع، وتخدم مصالحه وأهدافه[1]. وتشمل صنفين أحدهما إيجابي وآخر سلبي. فالإيجابي مثل الخير والحق والعدل. والسلبي كالغدر والمكر ونقض العهد. وتتيح هذه القيم للإنسان أن يتصرف ويتعامل مع غيره في الحياة اليومية بالنحو الذي يراه ويعتقده، وتتمثل في طبيعة نفسه البشرية.

أما الأخلاق، فهي جمع كلمة الخُلُق، وهي السجية والطبع وصورة الإنسان الباطنية، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة به، حسنة كانت أو قبيحة[2]. وفي علم الفلسفة، فإن الأخلاق أو الآداب، هي مجموعة أصول وأحكام وقواعد سلوك الناس في المجتمع. وهي تعكس تصورات الناس عن العدل والظلم والخير

والشر والكرامة والخيانة إلخ[٣].وللأخلاق تأثير مباشر على مختلف ميادين الحياة، من السياسة والاقتصاد وغيرها. ويترافق مع مفهوم «الأخلاق» كلمتان مشتقتان منه وتشيعان في الإستعمال اليومي هما «الأخلاقي»، و«غير الأخلاقي» أو أحيانا «اللاأخلاقي».فالأخلاقي هو: ما يتفق وقواعد الأخلاق أو قواعد السلوك المقررة في المجتمع. وعكسه اللاأخلاقي[٤].إن المعضلة الأساسية في مفهوم الأخلاق، ترتبط بفرز التناقض بين المتطلبات الأخلاقية العامة للمجتمع، وبين سلوك الإنسان الفعلي.

والسلوك الإنساني، يعني سيرة الإنسان، اتجاهه، تفكيره، ومجمل تصرفاته وأفعاله الذي يتجه بها إلى وجهة معينة، معبرة عن شتى جوانب طبعه الأخلاقي. ومن المعروف أن صفات الإنسان وتصرفاته الأخلافية، ليست جميعها بالقضايا التي تولد معه، إنما هي أشياء يكتسبها من محيطه بمرور الزمن، بخاصة في المراحل الأولى من حياته.وينحصر سلوك الإنسان من جانبين أساسين. أحدهما جانب الخير والفضيلة. والآخر جانب الشر والرذيلة.الذي يهمنا هنا، هو البحث عن محركات السلوك، بمعنى ما الذي يدفع الإنسان أو الجماعة إلى تبنّي سلوك معين، والإلتزام بقيم أخلاقية معينة ومتطلباتها.فقد أشار بعض علماء النفس، أن القيمة الهادفة هي المهمة في توجيه السلوك، أي ما يتوقعه الإنسان من نتيجة هو الذي يقرر نوعية سلوكه، وهناك من اعتقد أن أن «إزالة التوتر» و«إشباع الحاجة» المحرك الأهم في تثبيت السلوك وتعزيزه[٥].

ومهما يكن من أمر فإننا نجد في نهج البلاغة، من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام، دلالات سبقت علماء النفس تشير إلى أن الرغبة والشهوة، والتعلق الشديد بنعم الحياة، واتباع هوى النفس المذموم، والطمع، جميعها تعد من المحركات

الأساسية للإنسان، وهي طاقات نفسية حيوية عامة، تجعل الإنسان يميل إلى ما يحب ويشتهي ويحرص عليه ويطمع فيه ، سواء كان محموداً أو مذموماً.وقد شبه عليه السلام،الإنسان، عندما تتملكه الرغبة في الدنيا ، كأنه الأسير المقيد بالسلاسل، فيقول: «**يَا أَسْرَى الرَّغْبَةِ أَقْصِرُوا فَإِنَّ الْمُعَرِّجَ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحِدْثَانِ**» .المعرج:المائل إليها أو المعول عليها أو المقيم بها. ويروعه: يفزعه. والصريف: صوت الأسنان عند الإصطكاك. والحِدثان -بالكسر-النوائب[٦]. اقصروا: قللوا .

ويتداخل مع معنى «الرغبة»، مفهوم آخر هو «الشهوة»، وهي الرغبة الشديدة، التي تتمناها النفس وتنزع إليها.إذ يقول الإمام: «**وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ**»[٧].لهذا فهو يدعو بالخير والنعمة لمن ينزع من نفسه الشهوة والهوى فيقول: «**فَرَحِمَ اللهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ**»[٨].

وهناك مصطلح آخر، يأتي بذات معنى الرغبة الشديدة، والشهوة، وهو «اللذة»، أي نقيض الألم، وملاءمة الشيء للشهوة والرغبة[٩]. وفي علم النفس إنها لاتعني المتعة الحسية-المادية فقط، بل الشعور الذاتي بالرضا والإسترخاء والسعادة[١٠].لهذا يحذر أمير المؤمنين أن تكون اللذة هي أفضل شيء في دنيا المرء، فيقول: «**فَلَا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغُ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءُ غَيْظٍ وَلَكِنْ إِطْفَاءُ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءُ حَقٍّ**»[١١]. ويقول أيضا: «**إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالاً وَإِدْبَاراً، فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ**»[١٢].

كذلك يتداخل مفهوم «الطمع» مع ما ذكرناه من مصطلحات، ويعني أيضاً الرغبة في الشيء واشتهاؤه[١٣].لذلك يحذر عليه السلام من التمسك الشديد بالطمع، وما يؤدي من نتائج مهلكة، فيقول: «**إِيَّاكَ اَن تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ**

فَتُورِدَكَ مَناهِلَ الهَلَكَةِ». توجف: تسرع ، والمناهل: من ترده الإبل ونحوها[١٤].كما يؤكد الإمام ذلك بقوله: « أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ »[١٥].

والنفس البشرية إنما تتجه نحو هذا السلوك المنحرف الذي يتمثل بالطمع، واللذة والرغبة والشهوة، للحصول على المكاسب الدنيوية، نتيجة عوامل عديدة منها، أن الإنسان لا يمكنه الصمود أمام المغريات، من مال وسلطة وزعامة، لذلك فهو يستسلم أمامها، نتيجة ضعف إيمانه، وضعف إلتزامه بالقيم النبيلة، فهو إذن يبحث عن «الإستمتاع»، مكافحاً من اجل هذه المغريات، جاعلا من مصالحه الخاصة فوق كل اعتبار، غير مبالي بمصير الناس من حوله، وبهذه الحالة يصبح عبدا لشهواته ويعيش من أجل الاقتناء، الأمر الذي يجعله لا يلتزم بقيمه ومبادئه الروحية والأخلاقية .

ويبين لنا عليه السلام، أن الإنسان عندما تصبح الدنيا وملذاتها هي الهدف، والغاية الأساسية الأولى عنده، فإنه سيفضلها على اتباع أوامر الله وأحكام الدين الحنيف، ويصبح بهذه الحالة عبدا لهذه الحياة، فيقول: «**مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى اللهِ تَعَالَى فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْداً لَهَا**»[١٦].وبهذه الحالة يصبح عقل الإنسان، عبدا لعواطفه ومشاعره.وقد أشار أمير المؤمنين بشكل رائع إلى ثلاث قضايا رئيسية من نعم الحياة، يسعى كثير من الناس نحوها ويهلكون أنفسهم ودينهم في سبيل الحصول عليها وهي: الثروة والسلطة والزعامة، فيقول عن أحد الناس: « قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَأَوْبَقَ دِينَهُ لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ «[١٧].وأشرط نفسه: أي هيأها وأعدها للشر والفساد في الأرض أو للعقوبة وسوءالعاقبة . أوبق دينه: أهلكه . والحطام: المال . ينتهزه: يغتنمه أو يختلسه . والمقنب: جماعة من الناس أو غيرهم. ومقنب يقوده، إشارة

للسلطة التي يتكالب عليها الكثير من الناس، بسبب أهميتها ومتعتها . وفرع المنبر: طاله وعلاه.وقد استخدم عليه السلام، جملة «منبر يفرعه»، أي يصعد المنبر ويخطب في الناس، كناية على الرفعة وزعامة الناس وأمرتهم.

ويبين الإمام كيف تتغير أخلاق الإنسان إلى الشر والرذيلة، عندما يختار هذا الإنسان الدنيا على الآخرة، فيقول: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَ قَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ وَ بَسِئَ بِهِ وَ وَافَقَهُ حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ وَ صُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ أَوْ كَوَقْعِ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ**».

بسيء به: استأنس به . المفرق: من الرأس حيث يفرق الشعر . وصبغت به أخلاقه : صار عادة له وسجية . مزبدا كالتيار: هو كالماء عنفوان جريانه وفيضانه. والهشيم: اليابس من كل شيء.

يبين عليه السلام هنا، كيف أن المنكر أصبح ملازما للفاسق، معتادا عليه، ومستأنسا به، طوال حياته، وقد أصبح هذا المنكر جزءا لا يتجزأ من أخلاقه، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى أصبح هذا الفاسق لا يكترث ولا يهتم بما يحصل للأخرين نتيجة فجوره ومعاصيه وتركه أوامر الله، وتجاوزه على حدود الشرع.

ثم يتسائل بألم عن مكان أولئك الذين يسيرون على طريق الهدى والتقوى وطاعة الله، فيجيب أنهم يتدافعون على متاع الدنيا ويتنازعون على الأشياء المحرمة، فيقول: «**أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ لِلَّهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ وَتَشَاحُّوا عَلَى الْحَرَامِ**»(١٩).ازدحموا: تدافعوا . الحطام: متاع الدنيا . تشاحوا:تنازعوا.

ثانيا: وسائل عملية لبناء النفس البشرية

إن وسائل بناء النفس البشرية تدخل في ميدان التربية الأخلاقية، التي تتمثل في مستويين. أولهما ذاتي، وهو فهم واستيعاب القيم الأخلاقية من جانب الفرد، من حيث امكانية ممارستها بصورة واعية. والمستوى الثاني، هو متطلبات المجتمع الخارجية من سلوك الفرد، وتفاعله مع محيطه. سنبين قسما من هذه الوسائل العملية.

١. قوة المثال الشخصي

يتسم المثال الذي يضربه الشخص في المجتمع، بخاصة إذا كان في موقع المسؤولية، ببالغ الأهمية في التربية الأخلاقية، ذلك من خلال أفعاله وتصرفاته وسيرة حياته. ومعنى المثال، هو شيء يقاس عليه ويتخذ نموذجا[٢٠]. ويسمى هذا الشيء أيضا المثل الأعلى، وهو الشخص الذي يهتدي به الأخرين. ونحن نقصد هنا المثل الأعلى الأخلاقي الإيجابي، الذي ينشأ نتيجة تعميم كل ما هو خير وفضيلة وحق وعدل. لذلك نجد الإمام علي عليه السلام قد ضرب لنا مثلا صارخا في الالتزام بمبادئ الدين الحنيف، حين طبقها على نفسه أولا، ثم على الآخرين. ومن هنا تبرز، وحدة القول والفعل عند الإمام، وليس الوعظ النظري فحسب، وهناك أمثلة عديدة عملية على ذلك. إذ يقول الإمام في هذا المجال: «**إِنِّي وَاللهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا**»[٢١].

وتعد عملية الإهتداء والإقتداء بالمثل الأعلى الأخلاقي أحد الأساليب التي تدفع الإنسان إلى الإلتزام بالقيم النبيلة وإصلاح نفسه كي يقترب من سمات المثل الأعلى. ولكن لماذا المثال يمتلك قوة للتأثير في سلوك الآخرين؟ يُرجع علماء

الاجتماع ذلك إلى أربعة عوامل:

١- لأن المثال مرئي. فهو لايؤثر في الذهن وحسب، بل يؤثر كذلك قبل كل شيء، في الميدان الانفعالي الحسي.

٢- المثال مُعدٍ، فهو يشكل علامة الهدف، ويجتذب، ويوقظ الهمة ويستحثها.

٣- في المثال ترد القيم الأخلاقية في وحدة تمازج مع الفعل المادي الملموس.

٤- ينطوي المثل ويقدم البرهان على وحدة القول والفعل، ويخلق جو الثقة والصدق اللذين لا يمكن بدونهما عموما أن يقوم التأثير الأخلاقي، وبالتالي التربية الأخلاقية(٢٢).

لابد من التأكيد هنا، أن فعل أي شخص يكون أكثر أثرا في نفوس الآخرين من أقواله، وهو ما نلاحظه عند اللذين يتاجرون بالمجردات، مثل العدالة والحق، دون أن يطبقوها في الواقع العملي، أو يعملوا بعكسها تماما، فهم لا أثر فعلي لديهم .لذلك نجد الإمام قد حذر من هذه الحالة بقوله: «**لاَ تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو اَلْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ وَ يَرْجُو اَلتَّوْبَةَ بِطُولِ اَلْأَمَلِ يَقُولُ فِي اَلدُّنْيَا بِقَوْلِ اَلزَّاهِدِينَ وَ يَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ اَلرَّاغِبِينَ**»(٢٣).

كما أن هذه الصفة كانت عند المتخاذلين من أنصاره، لذلك فقد ذمهم بقوله: «**كَلاَمُكُمْ يُوهِي اَلصُّمَّ اَلصِّلاَبَ وَ فِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ اَلْأَعْدَاءَ**». ثم يتعجب بقوله: «**أقولاً بِغَيْرِ عَمَلٍ**»(٢٤).

٢.تحليل وتصنيف مواطن الضعف الأخلاقي

قدّم أمير المؤمنين علي عليه السلام، وصفاً دقيقا، وتحليلا عميقا، لمواطن الضعف الأخلاقي وانحطاطه، ولرغبات الإنسان المنحرفة التي تقوده لتحقيق

أمانيه وغاياته، سواء عند مناوئيه أو أنصاره.فضلا عن ذلك، فقد صنّف هؤلاء المنحرفين إلى مجموعات حسب سلوكها وتصرفاته.

(أ) وصف للخصائص السلبية للنفس البشرية

لقد وصف الإمام النفس البشرية، وصفاً، رائعا، حيث قام بترتيب خصائص النفس بصيغة ثنائيات، كل ثنائية تتكون من حدين. الأول يمثل صفة معينة للنفس البشرية، والحد الثاني يبين طريقة تصرف الإنسان حين يتمتع بهذه الصفة، التي تكون سلبية، عادة، عند كثير من البشر. سنذكر قسما مما أشار له الإمام وهو يبين ما يحصل للإنسان في هذه الحالات:

«**فَإِنْ سَنَحَ لَهُ اَلرَّجَاءُ أَذَلَّهُ اَلطَّمَعُ**»،أي إذا حصل على ما يريد، أهانه الطمع في المزيد. «**وَإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ**»، وإن تحرك وفار به الطمع أماته الجشع، وهو شدة إرادة الشيء بشدة. «**وَإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَى نَسِيَ التَّحَفُّظَ**»، وإن سارت أحواله على نهج ما يحب ويرغب، غفل عن التحرز والتوقي والتيقظ من المضرات. «**إِن اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْرُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّةُ**»، وإن حصل على ما يريد وذهب عنه الخوف والوجل وصار آمنا على نفسه وماله، استهوته الغفلة واستولت عليه وذهبت به عن رشده[٢٥].

(ب) تصنيف النفس البشرية

هناك تصنيفات عديدة للنفس البشرية المنحرفة،ذكرها عليه السلام، في مناسبات عديدة،نستطيع استخلاصها ، لكنها قد تكون متداخلة فيما بينها وهي:

ـ المجموعة التي لايمكن الثقة بها في حمل مبادىء الدين.

بين الإمام أن هناك أربعة أصناف من الناس الذين لا يلتزمون بمبادئ

الدين وليسوا من رعاته، ولا يمكن الثقة بهم، بقوله: «**مُسْتَعْمِلاً آلَةَ اَلدِّينِ لِلدُّنْيَا وَ مُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اَللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَ بِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ اَلْحَقِّ لاَ بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ يَنْقَدِحُ اَلشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ أَوْ مَنْهُوماً بِاللَّذَّةِ سَلِسَ اَلْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ وَ اَلاِدِّخَارِ لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ اَلدِّينِ فِي شَيْءٍ**»[٢٦]. أحنائه: جمع حنو، أطراف الشيء ونواحيه. ينقدح: يخرج بقوة. أما الأصناف الأربعة فهي: الأول، يستعمل وسائل الدين لطلب الدنيا، ويستعين بنعم الله تعالى على إيذاء عباده. والثاني، يتبع أهل الحق لكن لا بصيرة له بمعرفة الحق وخفاياه. الثالث، مولع بطلب ملذات الدنيا، وسهل الانقياد للشهوة. والرابع، مغرم بجمع المال وادخاره.

ـ مجموعة الساعين لطلب السلطة

يعد تصنيف الإمام، للساعين نحو السلطة والحكم بأي وسيلة، من أهم القضايا التي تشغل الناس، فقد حددهم في أربعة أصناف بقوله: «**وَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ وَكَلَالَةُ حَدِّهِ وَنَضِيضُ وَفْرِهِ وَمِنْهُمْ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُئُولَةُ نَفْسِهِ وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ**».

كلالة حده: أي ضعف سلاحه عن القطع في أعدائه. ونضيض وفرة: قلة ماله. الضؤولة: الضعف[٢٧]. بمعنى أن الأول، لا يستطيع الوصول إلى السلطة بسبب قلة أنصاره وماله وضعف سلاحه. والثاني يستعمل القوة لتحقيق غاياته. والثالث يستخدم الدين ستارا له لطلب الحكم، اي يستخدم المكر والخداع والحيلة. والرابع ضعف حاله وانقطاع مؤيديه.

ـ مجموعة الشر والضلالة

لقد بين لنا أمير المؤمنين، أن مجموعة الشر والضلالة،تتألف من ثلاثة أصناف: أبغض الخلائق، وشر الناس، والتي ينبغي محاربتها ومقاتلتها.أما **مجموعة أبغض الخلائق إلى الله**،فهي مجموعة الضلالة والفتنة والتغرير، وتضم فئتين، كما يقول الإمام: «**إِنَّ أَبْغَضَ اَلْخَلاَئِقِ إِلَى اَللَّهِ تَعَالَى رَجُلاَنِ رَجُلٌ وَكَلَهُ اَللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ اَلسَّبِيلِ مَشْغُوفٌ بِكَلاَمِ بِدْعَةٍ وَ دُعَاءِ ضَلاَلَةٍ.... وَ رَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ اَلْأُمَّةِ عَادٍ فِي أَغْبَاشِ اَلْفِتْنَةِ عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ اَلْهُدْنَةِ قَدْ سَمَّاهُ اَلنَّاسِ عَالِماً وَ لَيْسَ بِهِ**».وكله الله إلى نفسه: كناية عن ذهابه خلف هواه فيما يعتقد، لا يرجع إلى حقيقة من الدين ولا يهتدي بدليل من الكتاب . قمش جهلا: جمعه. موضع في جهال الأمة: مسرع فيهم بالغش والتغرير . عاد: مسرع . أغباش الليل: بقايا ظلمته ، أي أنه ينتهز افتتان الناس بجهلهم وعماهم في فتنتهم فيعدو إلى غايته من التصور فيهم والسيادة عليهم مما يظنه الجهلة علما وليس به(٢٨).

باختصار إن أحد الفئتين، هي التي تسير خلف هواها فيما تعتقد، وعن قصد، والأخرى تدعي العلم والمعرفة، غرضها التحكم بالناس والسيادة عليهم. وأما **مجموعة شر الناس**،وتضم هذه المجموعة، شر الناس عند الله،وهم الظلمة كالحاكم الظالم أو الإمام الجائر، الذي يخلط الحق بالباطل، ويغيّر الأحكام حسب هواه، لذا وصفه أمير المؤمنين بقوله: «**وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِّ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً**»(٢٩). كما أن **المجموعة التي ينبغي مقاتلتها**، تضم فئتين أيضاً ،كما يقول الإمام: «وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ»(٣٠).أي أن هناك فئة تدعي ما ليس لها وتحاول الحصول عليه بشتى الطرق والوسائل . وفئة تمنع الذي عليها من واجبات.

٣. الإستقامة في المعاملات

يرشدنا أمير المؤمنين علي عليه السلام، في مبدئيته الصارمة والتزامه التام بالأحكام الإلهية، إلى أحد وسائل بناء النفس البشرية، وهي الإستقامة في المعاملات التي تتصل اتصالا مباشرا مع عامة الناس. إذ تتجلى هذه السياسة برفض جميع أنواع المساومات غير الأخلاقية، وما تتضمنه من مداراة ومحاباة ومداهنة ومصانعة، التي تؤدي إلى التساهل أو الإبتعاد عن تطبيق حدود الله في العدل والمساواة. لأن جميع هذه المسالك تستلزم بطريقة أو أخرى الكذب والغش والخداع والغدر ونقض العهد.

وقد برزت هذه المسالك أكثر في موضعين رئيسيين هما طريقة توزيع الأموال على المسلمين، وعملية اختيار ولاة الأقاليم وعمالها. ففي الموضع الأول، سار الإمام في سياسته العامة على مبدأ تقسيم الأموال بين المسلمين جميعا بالتساوي، بما فيه هو، وأهله وذوي القربى، رافضا المحاباة والمداراة لكبار القوم وغيرهم، اللذين ألفوا حياة التساهل في تطبيق حدود الله، لذلك لم يسهل عليهم مساواتهم بمن هم دونهم،فناصبوا العداء للإمام وحاربوه.على هذا الأساس فإن الإمام يقسم بالله أنه لن يصيب أي من متاع الدنيا بغير حق، بقوله: «**وَاللهِّ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَّ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَام**»[٣١] .الحسك: الشوك . السعدان: نبات بري له شوك . سهد: أرق ولم ينم بالليل . مصفدا: مقيدا. الحطام: متاع الدنيا.

أما الموضع الثاني الذي تدخل فيه المحاباة والمساومة وغيرها، هو عملية اختيار ولاة الأقاليم وعمالها. لذلك نجد أن الإمام يؤكد ويوصي أن يكون

الاختيار سليما معتمدا على الأخلاص والكفاءة والخبرة، كما يوصي واليه مالك الأشتر فيقول: «**ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً وَلَا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ**»(٣٢). أثرة: أي فضله على غيره.

وتدخل في المعاملات، أيضا وسائل المصانعة والمداهنة، التي تعني سلوك الإنسان المتلون، المنافق، ظاهره خلاف باطنه. لذلك ينهى الإمام، عن المداهنة فيقول: «**وَلَا تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ الْإِدْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ**»(٣٣). يهجم بكم: يدخل بكم بسرعة. كذلك ينهى الإمام، أنصاره، عن مخالطتة بالمصانعة، فيقول: « وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ»(٣٤).

٤. محاسبة دقيقة من النفس ومن الآخرين

من الوسائل المؤثرة في بناء النفوس وتهذيبها، التي أشار لها أمير المؤمنين، هي محاسبة الإنسان لنفسه، وتقبّل محاسبة الآخرين له، من أجل كشف أخطاء النفس وانحرافاتها وتذليلها، كي يسير الإنسان على طريق الخير والفضيلة، مبتعدا عن الرذيلة والخطأ. وقد بين لنا الإمام منافع المحاسبة الذاتية، كما أرسى لها أسسا تقوم عليها، نذكر منها: أولا، أن منافع المحاسبة الذاتية، هي بالتأكيد للإنسان نفسه، ومن ثم تنعكس على المجتمع بأسره. إذ سيكون هو الرابح، لأنه سيسلك طريق الإستقامة، وبعكسها سيكون هو الخاسر، كما يقول أمير المؤمنين: «**مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ**»(٣٥).

ثانيا، يحذر الإمام تحذيرا شديدا اللذين لا يقومون بمحاسبة أنفسهم، أنه سيأتي اليوم الذي سيحاسبه الآخرون على ما اقترفه من موبقات وانحرافات، عند ذلك لا يبقى أي مجال للتغيير أو التصحيح، فيقول: «**عِبَادَ اللَّهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ**

مِـنْ قَبْـلِ أَنْ تُوزَنُـوا وَحَاسِـبُوهَا مِـنْ قَبْـلِ أَنْ تُحَاسَـبُوا»[٣٦]. ثالثـا، يؤكـد الإمـام أن الـذي لا يسـتطيع أن يزجـر نفسـه ويبعدهـا عـن الأخطـاء والإنحرافـات، لا يمكنـه قبـول مواعـظ الآخريـن ونهيهـم لـه، فيقـول: «**وَاعْلَمُـوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُـونَ لَـهُ مِنْهَـا وَاعِـظٌ وَزَاجِـرٌ لَمْ يَكُـنْ لَـهُ مِـنْ غَيْرِهَـا لَا زَاجِـرٌ وَلَا وَاعِـظٌ**»[٣٧].

كانـت هـذه ،المحاسـبة الذاتيـة للإنسـان مـن نفسـه، لكـن هنـاك محاسـبة أخـرى، تـأتي مـن الآخريـن، مهـما كان هـذا الإنسـان، لذلـك فـإن الإمـام وهـو الحاكـم للمسـلمين يطلـب مـن أنصـاره، أن لا يـترددوا في قولهـم الحـق والعـدل ، كـما جـاء مـن كلام لـه: «**وَلَا تَظُنُّـوا بِي اسْـتِثْقَالًا فِي حَـقٍّ قِيـلَ لِي....فَـلَا تَكُفُّـوا عَـنْ مَقَالَـةٍ بِحَـقٍّ أَوْ مَشُـورَةٍ بِعَـدْلٍ**»[٣٨]. يرشـدنا عليـه السـلام هنـا إلى أمـر هـام في توجيـه النقـد أو المشـورة بـين الحاكـم والرعيـة، وهـو أنـه ليـس لديـه حـرج في الإسـتماع إلى مـا يقولـه أنصـاره، مـن حـق أو عـدل أو مشـورة، مـن ناحيـة. ومـن ناحيـة أخـرى أوصاهـم أن لا يتركـوا قـول الحـق والعـدل والمشـورة.

كـما أن المحاسـبة وهـي الرقابـة الواعيـة للسـلوك تهـدف إلى التمكـن مـن رؤيـة الإنحـراف عنـد الفـرد، وتسـمى أيضـا التقييـم، بمعنـى إثبـات تطابـق أو تبايـن التـصرف أو الفعـل مـع معايـير الأخـلاق الاجتماعيـة. لكـن هـذه العمليـة لا تجـري بيسر وسـهولة دائـماً، إنـما تواجـه صعوبـات وتناقضـات. فالإنسـان قـد يحاسـب أفعـال الآخريـن بموجـب مقيـاس مبالـغ فيـه، مثـلا بمقيـاس المثـل الأعـلى، بينـما يحاسـب أفعالـه بمقيـاس منخفـض، ناظـرا بتسـاهل وتسـامح إلى نواقصـه وعيوبـه وجوانـب ضعفـه الأخلاقـي. وفي هـذه الحـال تنشـأ محاسـبة غـير صحيحـة، فقـد تنشـأ لـدى الفـرد صفـات الغـرور وعـدم تحمـل المحاسـبة، الأمـر الـذي يـؤدي إلى الصراعـات والتوتـر بـين الفـرد والمجموعـات الأخـرى.

٥.موازين دقيقة في تعامل الإنسان مع الآخرين

لقد سار الإمام، وفقاً لقواعد أساسية، تنظم علاقة الإنسان مع الآخرين، نابعة من السيرة المحمدية، التي تحدد واجب هذا الإنسان تجاه الآخرين، وتوازن كفتي الحقوق والواجبات، القائمة على أساس أن كل ما يرغب به الإنسان لنفسه، ينبغي أن يكون للآخرين مثله، وكل ما لا يرغب به، ينبغي أن يبعده عن الآخرين، ويعامل الناس كما يجب أن يعاملونه به. فضلا عن ذلك، يبين لنا الإمام كيف يتصرف الإنسان عند قوته، وعند ضعفه، وكيف ينظر لعيوبه وعيوب الآخرين.

أولاً، توازن كفتي الواجب تجاه النفس واتجاه الآخرين.

إن المبادئ التي كان ينادي بها عليه السلام، هي إنسانية في جوهرها تنطلق من فكرة المساواة بين جميع الناس. وكما أن لكل إنسان الحق في السعادة، فإن الآخرين لهم الحق ذاته، وما لا يريده لنفسه ينبغي أن لا يفعله للغير.ففي وصيته لولده الحسن يقول : «**يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ**»(٣٩).وفي القصار من كلماته يقول، بالمعنى ذاته: «**كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ اجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ**»(٤٠). كما يحذر الإمام أيضا، الإنسان من الأعمال التي يحبها لنفسه ولكنها غير مرغوبة عند الآخرين كما جاء في كتابه إلى الحارث الهمداني بقوله: «**وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ**»(٤١) .إن هذه العلاقات الإنسانية بين الفرد والآخرين التي ذكرها الإمام تعتبر «قواعد ذهبية» في الأخلاق حسب علماء الاجتماع، ولها صيغ متماثلة، في مختلف أنحاء العالم، منذ قبل الميلاد.فمثلاً الحكيم الصيني القديم كونفوشيوس

يقول: « ما لا تريده لنفسك لا تفعله للغير». والحكيم الإغريقي طاليس يقول: «لنمتنع عن فعل ما نعيبه في الآخرين»(٤٢). كذلك الحديث المروي عن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وعلى آله، هو: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»، عن أنس بن مالك (٤٣). المشكلة هنا في تطبيق هذه المبادئ، لأن العلاقات أصبحت في كثير من الأحيان، لا إنسانية، وكل يفكر بمصلحته ، دون أن ينظر إلى مصالح الآخرين، أو لا يهتم بهم.

ثانيا: تصرف الإنسان عند قوته وعند ضعفه.

يضع لنا أمير المؤمنين منهجاً رائعاً، عن تصرفات الإنسان وسلوكه عندما يصبح قوياً، سواء من ناحية ثروته أو مكانته أو منزلته، ومدى التزامه بالقيم والأخلاق وطاعته للأوامر الإلهية. وبمقابل ذلك يبين ما هو المطلوب من الإنسان أمام الله عندما يكون ضعيفاً، فيقول: «**وَإِذَا قَوِيتَ فَاقْوَ عَلَى طَاعَةِ الله، وَإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ الله**»(٤٤). لكن ما نلاحظه، في زمننا الحالي، هو العكس تماما فالكثير من الناس، حينما يكون واسع القدرة، ينسى الواجبات الإلهية، وآخرون تهبط نفوسهم، في حالة ضعفهم وحاجتهم للمال والناس، فيرتكبون المعاصي والإنحرافات. والأمر المؤسف حقا، أن نجد من أنعم الله عليه بالكثير، يستغل هذه النعم في ارتكاب المعاصي، لذا يحذر الإمام من هذه التصرفات بقوله: «**أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ للهِ أَلَّا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ**»(٤٥). لأن أكثر ما يكون الإنسان في غفلة عن نعم الله، حين يكون مغمورا بتلك النعم، والمحزن أنه لا يعرف فضل النعم إلا بعد زوالها.

ثالثاً: نظرة متساوية لعيوب الإنسان وعيوب الآخرين.

من أسوأ الطبائع والأخلاق هي أن يوجه الإنسان الإتهامات إلى الآخرين

بعيوب،هـو يشـكو مثلهـا. لذلـك يقـول أمـير المؤمنـين : «**أَكْـبَرُ الْعَيْـبِ أَنْ تَعِيـبَ مَـا فِيـكَ مِثْلُـهُ**»(٤٦). أي أن يـرى الإنسـان سـيئات غـيره وينتقدهـا، لكنـه يفعـل مـا يأبـاه عـلى الآخريـن، ويبيـح لنفسـه مـا يحرمـه عليهـم. كـما يصـف الإنسـان الـذي يقـوم بذلـك بالأحمـق أي قليـل العقـل، بقولـه: «**وَمَـنْ نَظَـرَ فِي عُيُـوبِ النَّـاسِ فَأَنْكَرَهَـا ثُـمَّ رَضِيَهَـا لِنَفْسِـهِ فـذَاك الْأَحْمَـقُ بِعَيْنِهِ**»(٤٧).لهـذا يمـدح عليـه السـلام ،الإنسـان الـذي يفتـش عـن عيوبه،عوضـاً عـن الإنشـغال في التفتيـش عـن عيـوب الآخريـن فحسـب، فيقول:»طُوبَـى لِمَـنْ شَـغَلَهُ عَيْبُـهُ عَـنْ عُيُـوبِ النَّـاسِ»(٤٨).

٦. اتباع قادة الحـــق

مـن القضايـا التـي تسـاعد في بنـاء النفـس البشرية، هـي اتباع قـادة الحـق والصالحين مـن المؤمنـين، بخاصـة إذا كانـوا في مواقـع قياديـة ذات مسـؤولية كبـيرة. غـير أن هـذا الاتبـاع والطاعـة، ينبغـي أن يكـون عـلى درجـة مـن الوعـي والمعرفـة. فمخالفـة هـؤلاء القـادة هـو الـذي يـؤدي إلى نتائـج وخيمـة وتعطيـل تطبيـق أحـكام الشريعـة والديـن في المجتمـع. وهـذا مـا حـدث زمـن أمـير المؤمنـين عليـه السـلام، الـذي يمكـن أن نرجعـه إلى ثلاثـة عوامـل متداخلـة:

أولاً: نقص الوعي والمعرفة بأحكام الدين.

يعـد الجهـل بأحـكام الديـن الحنيـف، هـو العامـل الأسـاسي في نشـوء الإنحرافـات ومخالفـة قـادة الحـق والعـدل. وقـد قسـم الإمـام، النـاس في زمانـه إلى ثلاثـة أقسـام، منهـم هـؤلاء الذيـن ذكرناهـم فيقـول: «**النَّـاسُ ثَلَاثَـةٌ: فَعَـالِمٌ رَبَّـانِيٌّ، وَمُتَعَلِّـمٌ عَـلَى سَـبِيلِ نَجَـاةٍ، وَهَمَـجٌ رَعَـاعٌ أَتْبَـاعُ كُلِّ نَاعِـقٍ، يَمِيلُـونَ مَـعَ كُلِّ رِيـحٍ، لَمْ يَسْـتَضِيئُوا بِنُـورِ الْعِلْـمِ، وَلَمْ يَلْجَئُـوا إِلَى رُكْـنٍ وَثِيـقٍ**»(٤٩).

ثانياً: طاعة كبار القوم بغير حق.

لا يتبع كثير من عامة الناس، قادة الحق والعدل، إنما تذهب طاعتهم إلى غيرهم من كبار القوم وشخصيات يحترمونها ويرتبطون بها بعلاقات مختلفة، فهم بهذه الحالة ينقادون بها دون وعي ودون تفحص وبصيرة، لذلك نجد الإمام يحذر الناس من طاعة ساداتهم وكبراءهم، غير الملتزمين بالحق ومبادئ الدين الحنيف، فيقول: «**أَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ! الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللهَ مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُغَالَبَةً لآلائِهِ، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ إعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ**». الهجينة: الفعلة القبيحة[٥٠]، لآلائه: لنعمه.

ثالثاً: اختلاف الغايات والمقاصد.

كانت أهداف الإمام هي في إصلاح المجتمع وتطبيق حدود الله بالعدل والحق، بينما كانت غايات قسم من أنصاره، هي مصالح شخصية، لهذا يقول: «**وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً، إِنِّي أُرِيدُكُمْ للهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لأَنْفُسِكُمْ**»[٥١]. كذلك يقول: «**أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْه**»[٥٢].

٧. العمل الجماعي والابتعاد عن الانعزالية

من القضايا التي تؤثر في سلوك النفس البشرية، هي تلك القائمة على وحدة المصالح العامة والشخصية، بمعنى أن يكون الفرد للجميع، والجميع للفرد[٥٣]. وهذا يحتم الابتعاد عن الانعزالية والفردية، التي تجعل كل فرد، ذاتاً، منعزلة لا يفكر إلا في مصلحة نفسه، دون أن يعير الآخرين أي اهتمام، الأمر الذي يؤدي إلى تفكك الروابط بين النسيج الاجتماعي. وقد وصف الإمام هذه الحالة الأنانية، الانعزالية، خير وصف حين شبه الناس الغافلين بالإبل أو الغنم المعدة للذبح

لا تعرف ما يراد بها، بقوله: «**كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعىً وبِيٍّ، وَمَشْرَب دَوِيٍّ، وَإِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى لاَ تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا! إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا، وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا**».النعم: الإبل أو هي الغنم . أراح بها :ذهب بها ، السائم:الراعي.الوبي:الردي يجلب الوباء.الدوي:الوبيل يفسد الصحة، أصله من الدوا بالقصر، أي المرض.المُدى ـ جمع مدية ـ السكين، أي معلوفة للذبح.تحسب يومها دهرها:أي لا تنظر إلى عواقب أمورها فلا تعد شيئاً لما بعد يومها، ومتى شبعت ظنت أنه لا شأن لها بعد هذا الشبع(٥٤).

فضلا عما سبق فأن مفاهيم الروابط الاجتماعية تتبدل لتصبح معاكسة لمبادئ القيم الأخلاقية كما وصفها عليه السلام بقوله: «**وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ**»(٥٥).

ثالثا، انعكاسات القيم الأخلاقية على المجتمع

إن الأخلاق ،بصفة عامة، تعتبر حلقة وصل بين الفرد والمجتمع، بمعنى أن المعايير والفضائل الأخلاقية هي التي تدفع الفردي في الاجتماعي، وتضفي معنى ذا دلالة على تعدد الأفعال وجوانب السلوك في المجتمع، حيث تشكل الجوهر الأساسي للتربية الأخلاقية التي تتكون من الوعظ والإرشاد المجرد، والتطبيق الفعلي والممارسة في نواحي الحياة المتعددة، التي سنبين قسما منها.

١ .اعتماد نهج سياسي قائم على الفضيلة

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام ملتزما التزاما شديدا في نهجه السياسي، بمبادئ الشريعة الإسلامية، لا يدع مجالا لمخالفتها من أجل رغبة معينة.لهذا فهو لا يجيز استعمال الوسائل غير النبيلة على الإطلاق في سبيل تحقيق غاية معينة، الأمر

الـذي جلـب لـه تبعـات خطـيرة وألحقـت ضررا بـه، بعكـس مـا كان يفعـل مناوئيـه، فعندهـم كل شيء جائـز، طالمـا يـؤدي إلى الغايـة المنشـودة. فالكـذب والغـش والخـداع والخيانـة والسرقـة، جميعهـا مـن الوسـائل الممكنـة، غـير الأخلاقيـة، التـي قـد توصـل إلى الغايـة النهائيـة. أي أن الغايـة تـبرر الوسـيلة، حسـب ميكافيلـلي. لهـذا فهـو يـوصي ولـده الحسـن بقولـه: «**لاَ تَبِـعْ آخِرَتَـكَ بِدُنْيَـاكَ**»(٥٦). وتصـل درجـة التمسّـك بالقيـم عنـد الإمـام، إلى الحالـة التـي يحصـل ضرراً مـن وراء هـذا الإلتـزام، فيقـول: «**إِنَّ أَفْضَـلَ النَّـاسِ عِنْـدَ اللهِ مَـنْ كَانَ الْعَمَـلُ بِالْحَـقِّ أَحَـبَّ إِلَيْـهِ وَإِنْ نَقَصَـهُ وَكَرَثَـهُ مِـنَ الْبَاطِـلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْـهِ فَائِـدَةً وَزَادَهُ**». كرثـه: اشـتد عليـه الغـم بحكـم الحق»(٥٧).والحقيقـة أن العلاقـة بـين الغايـة والوسـيلة، هـي علاقـة فيهـا إشـكاليات عنـد تطبيقهـا في الواقـع العمـلي. فعنـد الإمـام «الغايـة لا تـبرر الوسـيلة»، بمعنـى أنـه يرفـض رفضـا قاطعـا اسـتخدام أي وسـيلة غـير نبيلـة، غـير أخلاقيـة. فعنـده الغايـات نبيلـة والوسـائل نبيلـة. لكـن هنـاك مـن يـرى أنـه لا يمكـن تطبيـق «الغايـة لا تـبرر الوسـيلة»، دائـما، فعندهـم يمكـن تبريـر الوسـائل بالغايـة، بمعنـى أن هنـاك مسـاومة، تتطلـب مـن الفـرد تضحيـة ببعـض القيـم الأخلاقيـة لأجـل الحفـاظ أو الوصـول إلى قيـم أخـرى مـن مسـتوى أعلى.هـذا يعنـي اسـتخدام وسـائل اضطراريـة لتحقيـق هـدف معـين، وتطبيـق مبـدأ «الـضرورات تبيـح المحظـورات».

والأمثلـة كثـيرة في الواقـع العمـلي عـلى اسـتعمال هـذا التجـاوز. لكـن هـذا يتعـارض مـع فلسـفة الإمـام والمبـادئ والقيـم التـي سـار عليهـا. ومهـما يكـن، كان مـن الأفضـل أن يقـرن اسـتعمال الوسـائل الاضطراريـة للتنـازل عـن قيمـة مـا في صالـح قيمـة أعـلى، شرطـاً وهـو اسـتئصال ضرورة اللجـوء إليـه في المسـتقبل والعمـل عـلى معرفـة أسـبابه ومنعـه نهائيـا. فضـلا عـن ذلـك ينبغـي منـع ظاهـرة تبـادل القيـم، أي عندمـا تنقلـب

الغاية إلى وسيلة، أو العكس. على سبيل المثال قيمة «الوظيفة» التي هي غاية، يستثمرها بعض الناس حتى يحققوا بها بعض المصالح، فتتحول إلى وسيلة.

٢. التشديد على مبدأ الحوار أولاً

جميع الحروب الداخلية التي حدثت زمن الإمام علي عليه السلام، جاءت بعد حوارات ورسائل متبادلة بينه وبين مناوئيه، فضلا عن ذلك كان يوصي أنصاره وولاته أن لا يكونوا هم البادئين في الحرب[٥٨].على سبيل المثال، كلّم طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما والاستعانة في الأمور بهما، وكذلك حين غضبا من التسوية بين المسلمين في قسمة الاموال[٥٩]، لقد كان ذلك قبل حرب الجمل. كذلك كلامه مع الخوارج، حين اعتزلوا الحكم[٦٠]. أيضاً بعث كتاباً إلى عمرو بن العاص، يحاول أن يهديه إلى الصواب[٦١]. أما معاوية بن أبي سفيان، فكانت للإمام رسائل كثيرة عددها ستة عشر كتاباً[٦٢].

وتأكيدا على ما ذكرناه، نجد أن أمير المؤمنين يحاول دفع الحرب وتأخيرها على أمل أن يهدي مناوئيه، كما في كلامه إلى أنصاره بقوله: «**فَوَاللهِّ، مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلاَّ وأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ، فَتَهْتَدِيَ بِي وتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي، وذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلالِهَا وَ إِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا**».تبوء بآثامها: ترجع بها . تعشو إلى ضوئه: تستدل عليه وإن كان ببصر ضعيف في ظلام الفتن فتهتدي إليه[٦٣].

٣. متابعة دقيقة للولاة والأنصار

لقد رسم أمير المؤمنين علي عليه السلام، خطة في إدارة الحكم، تتضمن متابعة إدارية دقيقة لولاته، التي تشمل الموعظة والتوجيهات والإرشادات، والتنبيه عن الأخطاء والتحذير والإنذار والتعنيف والنهي، والمحاسبة المالية.سنذكر قسما من

رسائله إلى ولاته بهذا الشأن. فمن أكثر كتبه عليه السلام شهرة في الإرشاد والتوجيه، هو كتابه إلى الأشتر النخعي عندما ولاه مصر(٦٤)، التي تعد بحق خطة متكاملة للحكم، التي ينبغي أن يقرأها ويستنير بها كل من يتصدى إلى المسؤولية، لكن مما يؤسف له نجد الكثير من أنصاره ومحبيه في زماننا الحالي لن يطبقوا ما جاء فيها. وفي كتابه إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني عامله على أردشير خُرّه، يحذره تحذيرا شديدا من المحاباة في تقسيم مال المسلمين (٦٥). وللتأكد من حسابات عماله، بعث كتاباً إلى بعض عماله يأمره برفع حسابه إليه(٦٦). وقد كتب إلى عامله على أذربيجان، الأشعث بن قيس، يأمره بالأمانة(٦٧). ومن المحاسبات الدقيقة التي قام بها الإمام، هي كتابه إلى قاضيه، شريح بن الحارث، عندما اشترى دارا بثمانين ديناراً(٦٨)، حيث أراد الإمام التأكد من أن ثمن هذه الدار، كان من مال قاضيه وحلاله، وليس من أموال المسلمين. ومن المتابعات التي تعد في غاية الأهمية من وجهة نظرنا، التي قام بها عليه السلام، جاءت في موقفين. الأول توبيخه واليه على البصرة، عثمان بن حنيف، عندما حضر إلى وليمة دعي إليها(٦٩). والتوبيخ كان بسبب حضور الأغنياء فقط إلى الوليمة دون حضور المحتاجين من الفقراء وغيرهم. أما الموقف الثاني، هو انتقاده لأحد أنصاره في البصرة وهو العلاء بن زياد الحارثي، عندما دخل عليه، ووجد سعة داره. لكن الإمام لم يمنعه من امتلاك هذه الدار الواسعة، إنما وضع شروطا لها وهي: «**تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا**»(٧٠). تقري فيها الضيف: تستقبل فيها الضيوف . تطلع منها الحقوق مطالعها: تؤدي ما افترض عليك من حقوق إلى مستحقيها. فأين نحن ما يحدث اليوم من امتلاك القصور وحضور الولائم لكبارالقوم فحسب؟

٤ .التعاطف والتراحم مع الفئات الضعيفة

لقد أكد الإمام في وصاياه على أهمية الإقتراب من الناس والإتصال المباشر معهم، بخاصة الفئات الضعيفة والمظلومين والفقراء والمحتاجين . كما بين سلبيات الإبتعاد عنهم ،وحذر من الصفة السيئة التي تصيب الذين يحصلون فضل أو نعمة أو زعامة أو منصب، إذ تتغير نفوسهم، ويزدادون تباعدا عن عامة الناس، بوجه خاص من ذوي الحاجات أو الطبقة السفلى من المجتمع.لهذا يقول في كتاب له إلى أمرائه على الجيوش: «**فَإِنَّ حَقّاً عَلَى اَلْوَالِي أَلاَّ يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ وَ لاَ طَوْلٌ خُصَّ بِهِ وَ أَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اَللَّهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ وَ عَطْفاً عَلَى إِخْوَانِهِ**»[٧١]. كما يوصي عليه السلام، بصورة تأكيد، في الإهتمام بالطبقة السفلى في المجتمع، فيقول في عهده للأشتر النخعي: «**ثُمَّ اللهَّ اللهَّ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لا حِيلَةَ لَهُمْ، مِنَ الْمَسَاكِينِ وَ الْمُحْتَاجِينَ وَ أَهْلِ الْبُؤْسَى وَ الزَّمْنَى**».البؤسى: شدة الفقر. والزمنى: وهو المصاب بالزمانة، أي العاهة[٧٢].كما يقول أيضاً في العهدة نفسها: «**وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لله الَّذِي خَلَقَكَ**»[٧٣].وهنا يشير الإمام إلى قضيتين أساسيتين. الأولى أن يفرغ الوالي جزءاً من وقته لمقابلة ذوي الحاجات والاستماع إلى مطالبهم. والثانية، هي في طريقة جلوس الوالي، إذ ينبغي أن يكون متواضعا وليس مترفعاً، متكبراً عليهم. ثم يبين عليه السلام أن لا تطول فترة احتجاب الوالي عن الرعية، لأن في ذلك سلبيات عديدة، كما يقول: «**وَأَمَّا بَعْدُ فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ وَالِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ**»[٧٤].

والشيء المؤسف، في زماننا، أن الالتزام بتوجيهات الإمام، قليلة جداً، والإبتعاد عن شريحة المستضعفين هي السائدة في المجتمع. لكننا نلاحظ العكس تماما، إذ أن المترفين والأقوياء ونحوهم، هم الذين لهم وصول مباشر إلى المسؤولين الكبار. والمفارقة هنا أن المواطن العادي لا يمكنه الاتصال هاتفيا مثلاً، بأي مسؤول، لكن في المقابل نجد أن هؤلاء المترفين والأقوياء يحتفظون بأرقام الهواتف المباشرة لمعظم المسؤولين الكبار.

٥.نقد للمواقف الحيادية

هناك فئة من الناس تتخذ موقفا غريباً نحو الصراع بين الحق والباطل، بخاصة أثناء الأزمات والمنعطفات السياسية وغيرها. إذ أنهم يستطيعوا التعرف على الحق من الباطل، لكنهم لا يرغبوا في التزام أي من هذه المسارين، لذلك يتبعوا ما يسمى بالموقف الحيادي، أو النأي بالنفس. السبب في ذلك، يعود، غالباً، لرغبتهم في المحافظة على مصالحهم ووجودهم. غير أن هذا الموقف، هو موقف غير أخلاقي، لأنه عملياً سيكون ضد الحق، وتعود فوائده في النهاية لصالح الباطل. لأن التهرب من مقاومة الباطل وفضحه، إنما يعني الوقوف عملياً إلى جانب الباطل. حدث هذا الموقف زمن الإمام علي عليه السلام، حين انتقد ضمنياً موقف كل من سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر، لأنهما لم يبايعاه، فيقول: «**إِنَّ سَعِيداً وَعَبْدَ اللهَّ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ وَلَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ**»(٧٥). هذا الموقف السلبي قد أضعف الحق وأضعف موقف الإمام عند مناوئيه. تكرر هذا الموقف أثناء قتاله لهولاء المناوئين، حين اعتزل قسم منهم القتال، فيقول عليه السلام: «**خَذَلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ**»(٧٦).على هذا الأساس، يؤكد أمير المؤمنين، ما ذهبنا إليه، وهو من لم يكن الهدى واتباع الحق دليله، جرّه الضلال إلى الهلاك،

فيقـول: «**وَمَـنْ لَمْ يَسْـتَقِيمُ بِـهِ الْهُـدَى يَجُـرُّ بِـهِ الضَّـلاَلُ إِلَى الرَّدَى**»(٧٧). ومـن المؤسـف، أن الأحـداث تتكـرر في وقتنـا الراهـن، إذ تشـهد عـلى ذلـك مواقـف معينـة لقسـم مـن الجماعـات أو الأفـراد، هـو ذاتـه الموقـف السـلبي الحيـادي، في الـصراع بـين الحـق والباطـل. ومـن خطـورة هـذا الموقـف، هـو مسـاواته بـين الحـق والباطـل. لـذا يتطلـب الأمـر جـرأة في قـول الحـق، والاتجـاه نحـو مصلحـة المجتمـع. ولا بـد مـن التأكيـد هنـا أن هـذا الموقـف الحيـادي الخاطـئ، هـو بـين الحـق والباطـل فحسـب. أمـا إذا كان الـصراع ببـن الباطـل والباطـل، أي بـين الظالمـين، فالموقـف هنـا هـو الإبتعـاد عنهـم وتجنبهـم، وعـدم نـصرة أي منهـما، كـما يقـول الإمـام في القصـار مـن كلماتـه: «**كُـنْ فِي الْفِتْنَـةِ كَابْـنِ اللَّبُـونِ، لاَ ظَهْـرٌ فَيُرْكَـب، وَلاَ ضَرْعٌ فَيُحْلَـب**»(٧٨). أمـا إذا كان النـزاع بـين أصحـاب الحـق أنفسـهم، فالصلـح والحـوار، هـو الحالـة الطبيعـة لهـا. كل هـذه المواقـف التـي ذكرناهـا تتطلـب وعيـا ومعرفـة عاليـة لتمييـز الحـق مـن الباطـل، ووضـع مقاييـس دقيقـة للتعـرف عـلى منهـج العـدل والاسـتقامة.

رابعاً: مفارقات في الأخلاق والسلوك

تشـمل مفارقـات الأخـلاق والسـلوك،تناقضات في التصرفـات وازدواجيتهـا، وتـحوّل القيـم الأصليـة إلى أضدادهـا أو تحريفهـا، إذ تتبـدل مقاييـس مفاهيـم الحيـاة والمبـادىء، إلى صيـغ أخـرى منافيـة لهـا، فضـلاً عـن اسـتغلال الحـق لتمويـه الآخريـن وخداعهـم وغشـهم. ولابد مـن القـول هنـا أن هـذه المفارقـات قـد تتداخـل مـع معضلـة الوسـائل والغايـات التـي ذكرناهـا سـابقاً.

١. تناقضات في السلوك والأخلاق.

المقصود بالتناقضات، هو أن الرذائل والموبقات والشر معنية

بالدوافع، مثلما هي معنية بالنتائج. لذلك نجد كثير من الناس يعتقدون أنهم يدافعون عن الحق والعدل، لكنهم في الواقع إنما يدافعون عن قضايا اجتذبتهم أو مصالح فردية خاصة بهم. أضف إلى ذلك هناك الأدعياء الذين يتظاهرون بمعرفة طرائق علاج وحل مشكلات المجتمع وأزَماته، لكنهم يسعون إلى تحقيق منافعهم الذاتية. وقد انتقد أمير المؤمنين، هذا التناقض بقوله: «**وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِشَرٍّ، ويُسْرٍ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِعُسْرٍ**»[٧٩]. بمعنى أنه لا فائدة بالخير الذي يناله الإنسان بالشر، ولا فائدة باليسر الذي يناله الإنسان بالرذيلة. كذلك يبين عليه السلام النتائج غير المرغوبة لهذه الأفعال بقوله: «**مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الْإِثْمُ بِهِ، وَالْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ**». أي إذا كانت الوسيلة لظفرك بخصمك ركوب إثم، واقتراف معصية، فإنك لم تظفر، حيث ظفرت بك المعصية فألقت بك إلى النار، وعلى هذا قوله: «**وَالْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ**»[٨٠].

٢. ازدواجية السلوك

إن ازدواجية السلوك هي إحدى خصال النفس البشرية المنحرفة، التي تظهر فيها الفجوة والاختلاف بين الإيمان النظري، والعمل والممارسة. لذلك نجد أن الإنسان يدعو بأقواله إلى سلوك معين، لكنه يمارس عكسه. فمثلاً يدعو ويتظاهر بالصدق ويصطنع الأمانة، لكن ليس لديه ما يمنعه أن يتخذهما ذريعة لتحقيق منافعه الذاتية فقط. تتجلى هذه الازدواجية عند كثير من الناس في كل زمان ومكان. فمثلاً يعترف أحد هؤلاء الناس، عندما سأله الإمام علي عليه السلام، عن سبب تفضيله معاوية فأجاب أننا لم نفضل معاوية لكننا فضلنا متاع الدنيا، هذا ما ذكره

أبو حيان التوحيدي في كتابه «الامتاع والمؤانسة»،بقوله: « وقال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - لرجل من بني تغلب يوم صفين: أآثرتم معاوية؟ فقال: ما آثرناه، ولكنا آثرنا القسب الأصفر ، والبر الأحمر ، والزيت الأخضر ». القسب: التمر اليابس(٨١).إن هذا الاعتراف يمثل حالة غريبة في السلوك البشري،وهو الإصرار على ترك الحق والعدل والتوجه نحو متاع الدنيا. كما أن هذه الأفعال المتناقضة تتواجد في نفس الإنسان ، في حالة نزاع دائم ، بين ما يضطر هذا الإنسان إلى فعله ، وما يريده ويرغبه داخل سريرة نفسه.لذا فإن هذا الازدواج الداخلي ، وهذه القطيعة بين النوايا الطيبة والأفعال السيئة، هي التي تؤدي إلى النفاق والرياء.

٣.تغيّر المقاييس والأحكام

في زمن الانحلال الفكري والأخلاقي ، زمن اختلاط الحق بالباطل تتبدل مفاهيم الحياة ، إذ تتحول إلى أضدادها، أو إلى تحريفها عن مسارها الصحيح، فيصبح،مثلاً، الحق باطلاً، والباطل حقاً، والغدر حُسن تدبير، وهكذا. وقد ذكر الإمام عليه السلام، ما قال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما سيحدث من بعده في تحريف الأحكام: «**يَا عَلِيُّ إِنَّ اَلْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَ يَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ وَ يَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ وَ يَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ وَ يَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ اَلْكَاذِبَةِ**»(٨٢).كما وصف عليه السلام هذه الحالة بقوله: «**وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اِتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ اَلْغَدْرَ كَيْساً وَ نَسَبَهُمْ أَهْلُ اَلْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ اَلْحِيلَةِ**». الكيس : العقل، وأهل ذلك الزمان يعدّون الغدر من العقل وحسن الحيلة(٨٣) .

خاتمـــة

بعد رحلة طويلة، مع سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، التي تخص أثر القيم الأخلاقية في السلوك الإنساني، حيث كان فيها عالماً عارفاً بسريرة الإنسان وتصرفاته وسلوكه، كما نجده في الوقت ذاته ثابتا على مواقفه المبدئية الأخلاقية النابعة من الأحكام الإلهية والسيرة المحمدية. لذلك كانت غايته إصلاح المجتمع، وتهذيب النفوس وتربيتها تربية صالحة وفقا لهذه الأحكام. غير أن جميع محاولاته في هذا المجال واجهت مقاومة شديدة من تلك النفوس المريضة الضالة، التي أصرت على تفضيل مصالحها الأنانية ومنافعها الشخصية، مستخدمين في ذلك جميع الأساليب التي لا تنسجم مع المبادئ والقيم الأخلاقية للدين الحنيف. يمكننا إذن أن نستخلص من السيرة العلوية، بعض القضايا التي تهم السلوك الأخلاقي من أهمها:أولا، إن درجة وعي الإنسان ومعرفته بأحكام الدين الحنيف، والمبادىء الإنسانية، هي ضرورة من أجل التوجه الصحيح في المجتمع وإصلاحه. ثانيا، الاعتماد على الدليل العادل والمرشد الأخلاقي الذي يعين الناس في خياراتهم ويرشدهم إلى المبادئ السليمة في السلوك والأخلاق، وتشخيص الانحرافات في المجتمع، ثم معرفة الحق من الباطل، والفضيلة من الرذيلة، والصواب من الخطأ. ثالثا، يوجد مبدأين أساسيين متصارعين يحكمان السلوك الإنساني: الرغبات الأنانية، والقيم الأخلاقية الإيجابية.رابعا، إن القيادة الجيدة الحكيمة، يبدو في كثير من الأحيان أنها لا تنجح في بيئة سيئة فاسدة، إذ يظهر ذلك بوضوح الفرق الشاسع بين القيادة الأخلاقية والجمهور المنحرف.خامسا، التأكيد على الإحساس في معاناة الضعفاء والمحتاجين، والتعاطف معهم ودعمهم ،فضلاً عن التواضع لهم. سادسا، نتيجة للتعلق الشديد بنعم الحياة، بخاصة تلك الناجمة عن استخدام

وسائل غير أخلاقية،فإنها تشكل طبع فريد عند كثير من الناس ،إذ نجد هناك من يستسلم أمام أحوال الطمع ويصبح عبداً لرغباته، وهناك من يعيش ليأكل،وهناك من يجيز في سلوكه التذبذب والانحراف عن معايير الأخلاق الحميدة. .سابعا، لا يمكن التضحية بالقيم الأخلاقية الإيجابية من أجل مصلحة أنانية شخصية.

هوامش البحث:

(١) لاوبنكبرا وبانتاه ،المعجم الفلسفي المختصر،ترجمة توفيق سلوم،دار التقدم،موسكو،١٩٨٦،ص ٣٨٢.

(٢) إقبال زكي وآخرون، المعجم الكبير،ج٦،حرف الخاء، مجمع اللغة العربية، القاهرة،٢٠٠٤، ص ٧٣٨.

(٣) أفاناسييف،أسس المعارف الفلسفية،دار التقدم،موسكو،١٩٨٥،ص٣٩٧.

(٤) محمد خير أبو حرب،المعجم المدرسي،وزارة التربية،دمشق،١٩٨٥، ص٣٢٦.

(٥) فخري الدباغ،السلوك الإنساني،كتاب العربي،١٢، الكويت،١٩٨٦،ص ٣١.

(٦) محمد عبده، نهج البلاغة،مؤسسة الأعلمي، بيروت،١٩٩٣،ص٧٠٦.

(٧) نفسه،ص٣٥٢.

(٨) نفسه،ص٣٥٢.

(٩) المعجم المدرسي، مصدر سابق،ص٩٤٢.

(١٠) السلوك الإنساني،مصدر سابق،ص٣١.

(١١) نهج البلاغة/ عبده، مصدر سابق،ص٦١٣.

(١٢) نفسه،ص٦٦٩.

(١٣) المعجم المدرسي،ص٦٥٦.

(١٤) نهج البلاغة/ عبده،ص٥٣٨.

(١٥) نفسه،ص٦٧٤.

(١٦) نفسه،ص٣٢٠.

(١٧) نفسه،ص١٠٠.

(١٨) نفسه،ص٢٩٢.

(١٩) نفسه،ص٢٩٣.

(٢٠) المعجم المدرسي،ص٩٧١.

(٢١) نهج البلاغة/ عبده،ص٣٥٢.

(٢٢) ألكسندر تيتارينكو، علم الأخلاق، ترجمة دار التقدم ، دار التقدم، موسكو،١٩٩٠ ، ص٣٤٥.

(٢٣) نهج البلاغة/ عبده، ص٦٦٢.

(٢٤) نفسه، ص٩٦.

(٢٥) نفسه ، ص ٦٤٩.

(٢٦) نفسه، ص٦٦٠.

(٢٧) نفسه، ص١٠٠.

(٢٨) نفسه، ص٧٢.

(٢٩) نفسه، ص٣٣١.

(٣٠) نفسه، ص٣٤٨.

(٣١) نفسه، ص٤٦٧.

(٣٢) نفسه، ص٥٨٣.

(٣٣) نفسه،ص١٧٨.

(٣٤) نفسه،ص٤٥٢.

(٣٥) نفسه،ص٦٧١.

(٣٦) نفسه،ص١٨٧.

(٣٧) نفسه،ص١٨٨.

(٣٨) حسين الأعلمي، شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد، مج٣، بيروت، ١٩٩٥، ص٣٠٤.

(٣٩) نهج البلاغة/ عبده، ص ٥٣٣.

(٤٠) نفسه،ص ٧١٨.

(٤١) نفسه، ص ٦١٥.

(٤٢) علم الأخلاق، ص ٢٩٣.

(٤٣) ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم،ج١، تحقيق شعيب الأرنؤوط وابراهيم باجاس،

مؤسسة الرسالة،بيروت،٢٠٠١،ص ٣٠٢.

(٤٤) نهج البلاغة / عبده، ص ٧١٤.

(٤٥) نفسه، ص ٧٠١.

(٤٦) نفسه ، ص ٧٠٥.

(٤٧) نفسه، ص ٧٠٤.

(٤٨) نفسه ، ص ٣٥٧.

(٤٩) نفسه ، ص ٦٥٩ .

(٥٠) نفسه ، ص٣٩٨.

(٥١) نفسه ، ص ٢٨٤ .

(٥٢) نفسه ، ص ٢٧١ .

(٥٣) علم الأخلاق ، ص ٢٨٨.

(٥٤) نهج البلاغة/ عبده ، ص ٣٥١.

(٥٥) نفسه ، ص ٢٣٦ .

(٥٦) نفسه ، ص ٥٢٨ .

(٥٧) نفسه ، ص ٢٧٠ .

(٥٨) نفسه ،ص ٥٠١ ، ٥٠٣.

(٥٩) نفسه ، ص ٤٣٦.

(٦٠) نفسه ، ص ١٣١ .

(٦١) نفسه ، ص ٥٥١.

(٦٢) نفسه ،ص ٧٤٦ ـ ٧٤٩.

(٦٣) نفسه ، ص ١٢٨ .

(٦٤) نفسه ، ص ٥٧١.

(٦٥) نفسه ، ص ٥٥٦.

(٦٦) نفسه ، ص ٥٥٢.

(٦٧) نفسه ، ص ٤٩٤ .

(٦٨) نفسه ، ص ٤٩١ .

(٦٩) نفسه ، ص ٥٥٨ .

(٧٠) نفسه ، ص ٤٣٩ .

(٧١) نفسه ، ص ٥٦٨ .

(٧٢) نفسه ، ص ٥٨٧ .

(٧٣) نفسه ، ص ٥٨٨ .

(٧٤) نفسه ، ص ٥٩٠ .

(٧٥) نفسه ، ص ٦٨٧ .

(٧٦) نفسه ، ص ٦٢٧ .

(٧٧) نفسه ، ص ٩٤ .

(٧٨) نفسه ، ص ٦٢٧ .

(٧٩) نفسه، ص ٥٣٨ .

(٨٠) نفسه ، ص ٧٠٠ .

(٨١) إبراهيم الكيلاني،من كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي،القسم الأول،وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق،١٩٧٨، ص ٣١٢.

(٨٢) نهج البلاغة/ عبده، ص ٣١٤.

(٨٣) نفسه، ص ١١٥ .

الإنسان
في فكر الإمام علي (عليه السلام)

أ.م.د. فلاح حسن عباس

كلية الآداب – جامعة ذي قار

المقدمة

يتكوّن هذا البحث من عدّة مباحث ناقش الباحث من خلالها عدّة مواضيع حول القيم الإنسانية المتجسدة في فكر الإمام علي عليه السلام الذي يُعد امتداداً لفكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي جاء بالرسالة الإنسانية الأخلاقية لنشر قيم العدالة والمساواة والتسامح والحوار والتعايش السلمي مع الآخر، والابتعاد عن العنف والاعتداء على حقوق الإنسان، وناقش الباحث أيضاً قضايا أخرى مرتبطة بالموضوع.

ناقش الباحث في المبحث الأول موضوعاً عن التحرر الفكري والإنساني الذي تميّز به الإمام عليه السلام، وتكلّم عن إنسانية الإنسان، وأهميتها في بناء المجتمع الصالح المستند على عماد العدالة والمساواة بين أفراده، وبيّن وقوف الإمام مع المظلومين والمحرومين في قضاياهم المختلفة، وسعيه عليه السلام لتحرير الإنسان من جميع القيود التي تحدد تحرره، وتكبّله وتحول دون عيشه بكرامة.

أمّا المبحث الثاني فجاء ليتكلم عن الآخر والتعايش السلمي الذي له الأثر الكبير في تكامل الحياة الإنسانية وتفاعل المجتمعات إيجابيًا بسبب التعدد والتنوع، وأنّ التنوع الإنساني المستند على أساس الشعوب والقبائل هو حقيقة خلقية غير مصطنعة، وليس لمجموعة بشرية أفضلية على أخرى بسبب اللون والعرق واللغة...

بينما ناقش المبحث الثالث التواضع وسعة الصدر، وهما من السجايا الإنسانية والأخلاقية التي يتصف بها الإمام عليه السلام.

كما تكلّم الباحث في المبحث الرابع عن عدالة الإمام عليه السلام، وتأكيده

عليها؛ لأهميتها في شيوع الثقة والاطمئنان، فمع العدالة والمساواة لا يشعر الإنسان بإهدار حقة ولا تفضيل عند الإمام عليه السلام بسبب القرابة أو العلاقات الاجتماعية الأخرى.

وتناول المبحث الخامس القضايا الاقتصادية والاجتماعية وأهمية التكافل الاجتماعي بين افراد المجتمع، وبه تزدهر الحياة فالإنسان أخ الإنسان والعدالة الاجتماعية أساس مهم لتحقيق مجتمع متوازن، وهي من المسائل التي أكد عليها الإمام عليه السلام.

ثم الخاتمة التي لخّص الباحث فيها أهم النتائج التي توصل اليها، كما ذكر بعض المقترحات.

المبحث الأول

التحرر الفكري والإنساني

إنسانية الإنسان عند الإمام علي عليه السلام من القضايا الأساسية التي لها دور كبير في بناء المجتمع الإنساني الصالح القائم على أسس الحياة العادلة والمساواة بين أفراده، فعند اطلاعنا على أقواله نرى بشكل جلي وقوف الإمام لنصرة المظلومين والمستضعفين ومما يدل على ذلك قوله: » الذليل عندي عزيز حتى آخذ له الحق، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه «[١] وهو تجسيد لجميع المعاني التي دعت اليها مبادئ حقوق الإنسان ونصرة الفقراء والضعفاء في هذا العالم، وما هو حجم السعادة التي تعتري الضعيف عندما يجد من ينصره ويقف معه في جميع قضاياه، ويعيد اليه حقه المغتصب من قبل القوى الظالمة، وكيف تنعكس تلك السعادة على المجتمع لتعيد اليه الثقة بنفسه ومحيطه الاجتماعي، فالذليل عند علي عليه السلام عزيز، والقوي الظالم ضعيف؛ لاغتصابه حق الآخر الضعيف، وحالة الضعف التي تعتري القوي الظالم عند استرجاع الحق منه؛ تؤدي إلى شعوره بالضعف والخنوع، وعدم تعاليه على الآخر الضعيف.[٢]

سعى الإمام عليه السلام وبشكل واقعي إلى تحرير الإنسان، وحرية الإنسان عنده هي ليست الحرية الإباحية الرعناء، بل هي حرية مقترنة بالشعور بالمسؤولية على كافة الأصعدة، كما وسّع معنى الشعور بالمسؤولية في مدارك الناس.[٣]

وفي الوقت الذي يشير الإعلام فيه بواسطة وسائلة المتطورة والكثيرة إلى أنّ دول العالم المتقدم وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية تحث الخطى نحو نشر حقوق الإنسان، وتحرير الإنسان من جميع القيود التي تحول دون عيشه بكرامة،

نشاهدها وبصورة واضحة تسعى لفرض سيطرتها وهيمنتها على العالم ولاسيّما دول العالم الثالث. فالمصالح الاقتصادية والسيطرة على منابع الربح الوفير أصبح هدفاً إستراتيجياً للكثير من دول العالم المتقدم، والسيطرة على الدول الضعيفة وعلى إمكانياتها الاقتصادية تعد من الاستراتيجيات المهمة لدى الدول القوية، فدول العالم اليوم في تسابق مستمر نحو التسلح بشتّى أنواعه؛ مؤدياً إلى نشر القلق والهلع وزعزعة الثقة بين المجتمعات الإنسانية. وإذا تأملنا بشكل واقعي لأنظمة الدول المتقدمة وبالأخص الولايات المتحدة نجد أنّ لديها وجهان: الوجه الإيجابي المشرق الذي يعكس صورة التقدم العلمي والحضاري والتكنولوجي مع قوانينها التي تؤكد على حماية حقوق الإنسان وحريته وتمتعه بالديمقراطية الليبرالية – وما للإعلام من دور في بيان ذلك وإظهار امريكا بالوجه الحسن– والوجه الآخر هو الوجه السلبي.

يقول السناتور الأمريكي الاسبق وليم فولبرايت: « لقد دأبنا في سنوات قوتنا العظيمة، على أن نحيّر العالم، إذ نقدم له في وقت ما الوجه المشرق من وجهي أمريكا، ثم ندير له الوجه الآخر، وقد نقدم له الوجهين في وقت واحد. وتنظر شعوب كثيرة في مختلف أنحاء العالم إلى امريكا على أنها قادرة على التسامح وبعد النظر، ولكنها قادرة أيضاً على أن تضمر سوء النية، وأن تكون وضيعة، وينجم عن ذلك عجز عن توقع أفعال أمريكا لدى الناس»(٤).

ويبدو جليّاً تفكك النسيج الاجتماعي في الولايات المتحدة، وتراجع بمستويات الجماعة لصالح الأنانية والفردية واللامبالاة، والجسم الاقتصادي تعرّض للتفكك أيضاً؛ بسبب عدم التكافؤ بين طبقات المجتمع. كما أنّ اهتمام الأفراد بمصالحهم الفردية والذاتية على حساب الآخرين، والاهتمام بالوسائل الاستهلاكية على

حساب الغايات الإنسانية نتج عنه تراجع الضمير الإنساني. ويبدو أنّ الولايات المتحدة تهتم بتأمين مصالحها في العالم بالدرجة الأولى، وكل ما تدّعيه حول إيمانها بمبادئ حقوق الإنسان والديمقراطية ومبادئ الحرية إنما هو لتأمين مصالحها بغية نشر هيمنتها ونفوذها على العالم.(٥)

إنّ الهدف الواضح للولايات المتحدة هو الهيمنة على العالم؛ لذلك نراها غير مترددة في فرض الاستبداد في أي مكان منه؛ لتحقيق غاياتها ومصالحها في الوقت الذي تدّعي فيه سعيها لتحقيق الحرية للشعوب، كما أنّها لا تبالي بحقوق الإنسان بغية تحقيق مصالح شركاتها العملاقة متعددة الجنسية، فهي ليست مع مبادئ أخلاقية أو إنسانية أو دينية وإنّما تسعى لتحقيق الأرباح لها، وتسعى لربط الآخرين بها لمصالحها الاستراتيجية؛ لذلك وقفت إلى جانب الحكومات الشمولية المستبدة والظالمة لشعوبها، والمصادرة لحقوقهم سواء في منطقة الشرق الأوسط، أو أمريكا اللاتينية أو في آسيا؛ لأنّ تلك الأنظمة – المستبدّة – تؤمّن مصالحها، وتنفّذ استراتيجياتها طويلة الأمد(٦)

المبحث الثاني

الآخر والتعايش السلمي

يبدو أنّ الإنسان في الزمن المعاصر وفي جميع دول العالم يعاني من أفكار وآيديولوجيات مختلفة زعزعت ثقته بأخيه الإنسان المختلف باللون أو العرق أو الدين أو الطائفة أو اللغة وغيرها. وأزمة الثقة في زمننا هذا أخذت تعصف بالمجتمعات البشرية وتهدد استقرارها، ففي الحقيقة أنّ ظاهرة تعايش الإنسان مع أخيه الإنسان المختلف؛ تؤدّي إلى التكامل في الحياة الإنسانية والوجود الكوني، فالتنافس أو الصراع بين المختلفين لا يهدف إلى إفناء الآخر أو إبادته، بل يهدف إلى إغنائه. وهذه حكمة الله سبحانه، فالتعدد والتنوع في المجتمعات يؤدي إلى نتائج إيجابية. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[٧]. وهنا تجسيداً واضحاً لاتحاد الإنسانية من حيث المصدر ووحدة منشأها، ويلغي كل ترتيب زائف من القيم والمفاهيم والممارسات التي يشوبها النقص نتيجة الفهم الخاطئ في التعامل مع الآخر المختلف بعد تقييم الإنسان وتصنيفه حسب العرق أو اللون أو الدم ... فالخطاب هنا موجّه لكل الناس دون استثناء: «**يا أيّها الناس**» والخالق واحد يؤكّد وحدة الإنسانية من النوع والهوية والجوهر:» إنّا خلقناكم». وهنا لا توجد قيمة لكل الاعتبارات الزائفة التي وضعها الإنسان التي تصادر هذه الوحدة التعددية للإنسانية من خلال مصادرة استحقاق هذا الانتماء الإنساني المشترك في التكافؤ والمساواة إستناداً إلى التنوع والتعدد في اللون والشكل والعرق... فالخالق جعل خلقه «شعوباً وقبائل».

إنّ التنوع الإنساني القائم على أساس الشعوب والقبائل هو حقيقة خلقية

غير زائفة وهو إرادة الخالق عز وجل ولم يحدث صدفة أو بسبب طفرة وراثية، وهذا التنوع الإنساني القائم على أساس النسب أو الشكل لم يأت للوجود بسبب الاعتبارات الإنسانية المتغيرة عبر المراحل الزمنية والتطور، بل يستمد وجوده من الخالق الموجد لهذا الجعل التكويني، ووفق ذلك لا تمتلك أيّ جهة حق إلغاء هذا التنوع والتعدد في الخلق، وهذا يهدينا إلى عدم الاعتراف بخصوصية أي جماعة تختلف في العرق أو اللون أو اللغة فضلاً عن الخصائص التي يشترك بها بني البشر لأنّ هذه الاختلافات طبيعية بذاتها فهي تجسّد إرادة الخالق الجاعل لهذا التنوّع.[٨]

قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ**﴾[٩].

إنّ الفاعلية الإنسانية كعلّة لهذا التنوّع والتعدد ذلك إنّ الكون لا يمكنه الحركة والتفاعل والإبداع إلاّ وفق آليات الاختلاف الذي يُنتج التنوع والتعدد بعكس التشابه والتماثل الذي يقضي على إمكانية الحركة والتدافع الكوني والوجودي المطلوب لنشوء الحياة. قال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾.[١٠]

وبناءً على ذلك فإنّ الاعتراف بالتعدد والتنوع يقودنا إلى احترام نتائجه، ومنها احترام الخصوصيات الذاتية للأفراد والجماعات البشرية الناتج عنها أشكالاً متعددة في التعبير عن ذاتها ثقافياً وحضارياً ومعرفياً... وهو يعبّر عن خصوصية الإبداع وتميّزه، ولا يعني الصراع والخلاف لإثبات من هو الأجدر والأفضل في الوجود الإنساني. إنّ التعارف أمراً إيجابياً في بناء الإنسانية الصالحة، وله دور كبير لحل إشكالية الخلاف، ووقف الصراع بين الناس « لِتعارفوا» فالتعارف مبدأ صالح يجمع الناس على الود والتسامح، وبالإمكان توظيفه لجعل الخلاف إيجابياً،

وجعل التعدد والتنوع نعمة وليس نقمة من خلال الاعتراف بالآخر، واحترام خصوصياته ليتحقق بذلك تعايشاً سلمياً حضارياً وثقافياً، ومن هنا يتبيّن ما للتعارف من أهمية كبيرة في نشر بذور المحبة والود والتعايش السلمي بين بني البشر، والتعارف ناتج عن التنوع والتعدد، ولولا التنوع لما كان التعارف، ولا قيمة له ولا وجود إلّا مع هذا الجعل التكويني، ومن ثماره تعايش الإنسان مع أخيه الإنسان بسلام ومحبة وتبادل الطاقات والخبرات وتلبية جميع احتياجات الإنسان.(١١)

ومما جاء في الوثيقة الإنسانية الجامعة لكل المعاني الأخلاقية في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الاشتر النخعي عندما أرسله لولاية مصر:» وأشعر قلبك الرّحمة للرّعية، والمحبّة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننَّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنّهم صنفان: امّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق...»(١٢).

وهنا الرسالة الحقيقية للإنسان الرسالي والمصلح الحقيقي والقائد الذي يشعر لشعور الرعية دون تمييز بينهم، وهو تأسيس لمبادئ حقوق الإنسان التي أصبحت شعارات وأبواق للكثير من حكّام العالم ولكن دون تطبيق.

فالرحمة والمحبة للرعية واللطف بهم من أسباب النجاح في إدارة الدولة ورقيها على كافة الأصعدة، ولو وجدت هذه الأسباب بصورة واقعية في العالم اليوم؛ لما شهدت دول العالم نزاعات لأسباب كثيرة ومنها، الظلم والتمييز في التعامل مع الشعوب والأقليات العرقية أو الدينية أو المذهبية... الخ

وقوله عليه السلام: «**ولا تكونن عليهم كالوحش الضاري تغتنم الفرص للإيقاع بهم، والاستيلاء على ما بين أيديهم، حيث الناس تجمعهم وإياك إمّا العقيدة، وإمّا صلة النوع والمشاعر والمظاهر**»(١٣)

وهنا تتجلى الإنسانية فالمحكوم نظير الحاكم في الإنسانية. والاختلاف بالعرق واللغة والدين والفكر ليس مسوّغاً للحاكم ظلمه للرعية.

لقد أكّدها الإمام عليه السلام منذ ذلك الوقت؛ لتكون منهجاً في دولته العادلة بعمقها الحضاري والإنساني والفكري. وهو عكس ما نلاحظه اليوم في الكثير من الدول لاسيّما بلدان العالم المتقدم التي تعاني تمزّقاً في نسيجها الاجتماعي، وتجسد ذلك من خلال ظهور الكثير من الأفكار التي روّجت لفكرة الصِدام بين الحضارات الإنسانية المختلفة وأبرزها اطروحة صِدام الحضارات للكاتب صموئيل هنتنجتون الذي اعتبر الحضارات قبائل إنسانية كبيرة وصدام الحضارات هو صراع قبلي على نطاق عالمي والفروق الثقافية هي الاساس في التصنيف والتمييز بين بني البشر في الزمن المعاصر، فالهوية الثقافية عنده تتحدد بالتضاد مع الآخرين وفي الحروب تترسخ ...[١٤] .

وفي الحقيقة أصبح الإنسان المعاصر يشعر بالمشكلة الاجتماعية أكثر من شعوره بها في المراحل التاريخية السابقة، كما أصبح أكثر وعيًا، ويتحسس المشكلة بشكل أشد من السابق كما فهم تعقيداتها بشكل كبير، فالمشكلة الاجتماعية هي من صنع الإنسان كما أثبت التاريخ من خلال إسقرائه بأنّ الحياة كلما أخذت بالتطور تزداد مشاكلها وتعقيداتها- وهذا ما نلاحظه في زمننا المعاصر حيث تزايد وتصاعد نسبة المشاكل بشتّى أنواعها بسبب التقدم التكنولوجي والأنترنت والإعلام- فالإنسان المعاصر سيطر بشكل كبير على الطبيعة،[١٥] وهذه السيطرة أدّت إلى تغيّرات كثيرة في النظام الاجتماعي، وهذا ما تعانيه الكثير من المجتمعات لاسيّما مجتمعات العالم المتقدم، فضلاً عن وقوع مجتمعات العالم الثالث، أو المجتمعات الفقيرة تحت موجات من الغزو الثقافي والفكري والحضاري المفروض بشكل مباشر أو غير مباشر وبطرق مختلفة.

المبحث الثالث

التواضع وسعة الصدر

التواضع سمة بارزة في حياة الإمام عليه السلام، وهو فيض من أخلاقه العالية وقيادته الصالحة للمجتمع فهو القائد والمصلح، كان يرتدي الملابس البسيطة، ويأكل خبز الشعير واللبن، ويرقع ثوبه البالي[١٦] وهو القائد العادل للمجتمع، المتمكّن من أسباب الدولة الاقتصادية وغيرها، وتواضعه نابع من جوهر شخصيته وسجاياها، لا يبتغ بذلك إتباع اسلوب متصنِّع كما يفعله الكثير من قادة العالم على اختلاف المراحل الزمنية.

فإحساسه بالرعية ومعاناتها وعدالته الواقعية؛ جعله يعيش واقع الحياة الاجتماعية وما يترتب عليها من إجراءات تستوجب من القيادة العادلة اتخاذها؛ كونها جزء من ذلك المجتمع تتأثّر بما يتأثّر به.

وهنا يستحسن الإمام تواضع الأغنياء تجاه الفقراء بقوله:» ما أحسن تواضعَ الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله! وأحسنُ منه تِيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله»[١٧] وتِيه الفقراء أحسن: «لأنّ تيه الفقير وأنفته على الغني أدل على كمال اليقين بالله، فإنّه بذلك قد أمات طمعاً ومحا خوفاً؛ وصابر في بأسٍ شديد، ولا شيء من هذا في تواضع الغني»[١٨]

وقوله عليه السلام: «آلة الرياسة سعة الصدر»[١٩] فيه بيان واضح للذين يتصدّون لإدارة الدول والمؤسسات والموظفين كل حسب مسؤولياته فهنا يؤكد الإمام عليه السلام على التحلّي بمكارم الأخلاق، والسماح للرعية بالتعبير عن آرائهم، واحترام وجهات النظر، وتقبّل النقد واحتواء الآخرين، واستيعابهم

ومعالجة الأمور بتقديم المقترحات والحلول، وهو اسلوب حضاري ناجح ومهم للقائد ويعكس عمقه الحضاري والثقافي والإنساني والاجتماعي، وبعده المعنوي، وهو دعوة إلى التحلّي بالصّدق والتسامح والعفو والرحمة والابتعاد عن الغضب والسيطرة على النفس، وعدم إصدار الاحكام على الأشياء في حالة الغضب، وعدم مقابلة الرعيّة بالمِثل فلا يقابل الإساءة بالإساءة بل ينطلق بتعامله مع المسي من موقع أبوي شامل وكان يمتلك بعد نظر ويحلل الأمور والمواقف تحليلاً واقعياً سليماً بعيداً عن الأهواء الشخصية والاستبداد بالرأي، فذلك من الأمور المهمة بالنسبة للقائد والمربّي الناجح.(٢٠)

وقوله عليه السلام: «ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتِكم وكبرائِكم الذين تكبّروا عن حسبِهِم وترفعوا فوق نسبِهِم»(٢١) وهنا يحذر الإمام عليه السلام المجتمع بشكل صريح بعدم طاعة المتكبرين والمترفعين على المجتمع. وهو بيان لسادة وقادة المجتمع أن يكونوا قريبين من تطلعات مجتمعاتهم، وأن يتحسسوا معاناتهم وآلامهم وهمومهم ولا يضعون أنفسهم في أبراج عاجيّة ولا ينظرون إلى الناس من قمم عالية ليستصغروا حجمهم ويقللوا شأنهم.

المبحث الرابع

العدل

سعى أمير المؤمنين عليه السلام بشكل واقعي إلى إشاعة العدل والمساواة بين الناس دون تفريق وتمييز بينهم لأسباب مختلفة. ووقف بمسافة واحدة من الرعيّة، وكان معارضاً لسياسة عمر في التفضيل؛ لأنّ العباد عباد الله، والمال مال الله، وهم شركاء فيه على قدر الجهد.

إنّ الناس سواسية عنده وكان يرفض سياسة التمييز القومي، والاستعلاء القبلي (القرشي)؛ كونها تريد تحويل تراث النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكاسب خاصّة، لانّ الإسلام دين جاء للناس جميعاً، وهو لا يفرّق بين الناس على أساس عرقي أو قومي، وكان الإمام عليه السلام في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أساس متين من الأسس التي بني عليها الإسلام وقاعدة (العدل أساس الحكم) من القواعد الأساسية التي سعى لتطبيقها، وتثبيتها؛ ليحقق بذلك العدالة بين الناس في جميع مجالات الحياة لاسيّما المجال الاقتصادي.[٢٢]

يقول عليه السلام: «**ألا وأيّما رجل استجاب لله ورسوله فصدّق ملتنا، ودخل ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، والمال مال الله؛ يُقسّم بينكم بالسويّة ولا فضل فيه لأحد على أحد وللمتقين عند الله أحسن الجزاء**».[٢٣]

يُعد المنهج العادل في الحكم وتوزيع ثروات بيت المال على الناس بلا فروق وتمييز بين الناس على أساس القرابة أو غيرها من الأمور، هو- المنهج- المطبّق في عهده؛ لذلك نرى أنّ الإمام عليه السلام صادر ما وهبه عثمان من الأموال

الكثيرة لطبقة الأرستقراطيين، وأبلغهم في سياسته في توزيع الثروات:

«أيها الناس! إنّما أنا رجل منكم، لي ما لكم وعلّي ما عليكم، ألا وإنّ كل قطيعة أقطعها عثمان وكلّ مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحق القديم لا يُبطله شيء، ولو وجدته وقد تُزُوِّج به النساء، وملك الإماء، وفرّق بين البلدان لرددته. فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحق فالجور عليه أضيق»(٢٤)

«أيها الناس.. ألا يقولنّ رجال منكم غداً؛ قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار وفجّروا الأنهار وركبوا الخيل واتّخذوا الوصائف المرقّقة، اذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصونهم إلى حقوقهم التي يعلمون: حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا! ألا وأيّما رجلٍ من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله يرى أنّ الفضل له على سواه بصحبته، فإنّ الفضل غداً عند الله، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يُقسم بينكم بالسويّة ولا فضل فيه لأحد على أحد»(٢٥).

وهذا الأمر زعزع المتنفذين من المجتمع الذين أساؤوا لصورة المسلم الحقيقي المتمثلة بالنبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه الأبرار، ويبدو أنّ ردة فعل المتنفذين جعلتهم يساومون الإمام عليه السلام على أن يطيعوه مقابل غض النظر عن ما سلف منهم، فبعثوا اليه الوليد بن عقبة بن أبي معيط،(٢٦) فقال للإمام (عليه السلام): «يا أبا الحسن! إنّك قد وترتنا جميعاً، ونحن إخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنّا ما أصبناه من المال أيّام عثمان، وأن تقتل قتلته، وإنّا إن خفناك تركناك فالتحقنا بالشام»(٢٧).

فردّ عليهم الإمام (عليه السلام) قائلاً: «فأما هذا الفيء فليس لأحد فيه أثرة، وقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله وأنتم عباد الله المسلمون، وهذا كتاب الله به

أقررنا وله أسلمنا وعهد نبينا بين أظهرنا فمن لم يرض به فيتولّ كيف شاء»[٢٨].

وهذا دلالة حقيقة للقائد العادل الذي لا يميّز بين الرعية والمتمسّك بالنهج الذي خطّه وسار عليه لإحقاق الحق الذي يؤدّي بدوره إلى ترسيخ الأسس الحقيقة للثقة التي يحتاج إليها الإنسان في عالمنا المعاصر بشكل كبير وبصورة مستمرة، كما أكّد إتّباعه مبدأ العدل في توزيع الثروات على الرعية، وبينّ لهم بأنّ التقوى والسبق بالإسلام لا تمنح من يتمتع بها امتيازات دنيوية، فالناس سواسية في هذه الدنيا، والله سيجازي من له فضل السبق بالإسلام. وبذلك جسّد الإمام أروع الصور لروح المواطنة الحقيقية بين الرعيّة. أنتم أ

وذكر ابن الأثير أنّ الشعبي قال: «وجد علي درعاً له عند نصراني فأقبل إلى شُرَيْح وجلس إلى جانبه وقال: لو كان خصمي مسلماً لساويته، وقال: هذه درعي. فقال النصراني: ماهي إلّا درعي ولم يكذِب أمير المؤمنين.

فقال شريح لعلي: ألك بيّنة؟ قال: لا. وهو يضحك فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيراً ثم عاد وقال: أشهد أنّ هذه أحكامُ الأنبياء أمير المؤمنين قدَّمني إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه. ثم أسلم واعترف أنّ الدرعَ سقطت مِن عليّ عند مسيره إلى صفين»[٢٩] هذه القصة تؤكد أيضاً قيادة الإمام عليه السلام العادلة والإنسانية. وهذا نموذج رائع للإنسانية في اسلوب التعامل مع الآخر وعند مقارنة ذلك بما يفعله حكّام الكثير من البلدان لوجدنا فارق كبير وهوّة واسعة.

كما ذكر التأريخ أروع الأمثلة والعبر التي تجسد وتعكس عدالة الإمام علي (عليه السلام) مع كافة طبقات المجتمع، ومنها: روي أنّ عقيل أخ الإمام عليه السلام، كان ضريراً أتى إلى الإمام يوماً يطلب صاعاً من القمح من بيت المسلمين زيادة على حقّه، وكرر طلبه على علي عليه السلام، فأحمى الإمام حديدة على النار،

وأدناها منه، ففزع منها عقيل، فوعظه الإمام عليه السلام: «[٣٠] يا عقيل أتئنّ من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرّني إلى نار سجّرها جبّارها لغضبه! أتئنّ من الأذى ولا أئن من لظى»[٣١]. ومن المواقف الفريدة التي جسّدتها إنسانيته وعدالته ما روي عنه عليه السلام، بلغه أنّ واليه على البصرة عثمان بن حنيف دُعي إلى وليمة قوم من أهلها، فذهب اليها، فأرسل اليه الإمام علي عليه السلام كتاباً تأديبياً[٣٢] يجسّد فضائل الإنسانية السامية التي تنادي بها قوانين حقوق الإنسان والعدالة في إدارة الدولة والمؤسسات التابعة لها، ووقوف الحاكم تجاه الرعية من موضع واحد: « أما بعد، يا ابن حنيف: فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان. وما ظننت أنك تستجيب إلى طعام قوم، عائلهم مجفوّ، وغنيّهم مدعوّ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه. ألا وإنّ لكل مأموم إماماً، يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفّة وسداد»[٣٣].

وقوله عليه السلام: «**أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومَن لكَ فيه هوى من رعيتك؛ فانَّك إلّا تفْعلْ تَظْلِمْ! ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عِبادِهِ، ومن خاصمه اللهُ أدحضَ حُجَّتَه... وليكن أحبُّ الأمورِ إليك أوسطها في الحقِّ، وأعمها في العدل وأجمعها لرضا الرعيّة**»[٣٤]

اتصف الإمام عليه السلام بأنبل الصفات وأروعها، كان يوصي بإقامة الحق وكان لا يؤمن بنسبية الحق وفقاً للبيئة والمحيط، والحدود الجغرافية المصطنعة بل كان يؤمن به منهجاً شاملاً لا تحده حدود، والحق عنده لا يخضع للإرادة

والهوى[٣٥]فهـو يحث عـلى الحـق في كل زمـان ومـكان، وفي كل الاحـوال عنـد الرضـا، وفي حالـة الغضـب وعـلى الصديـق والعـدو، فهـو يتعامـل معهـم عـلى أسـاس العـدل والحـق:

«عليكم بكلمة الحقِّ في الرِّضا والغضب، وبالعدل على الصّديق والعدو». [٣٦]

وهنـا دعـوة لإشـاعة الحـق بـين النـاس، والتعـاون بـه، والأخـذ عـلى يـد الظـالم السـفيه، بسـبب إسـتهانته بحقـوق الآخريـن فبالحـق يقـف المظلـوم بوجـه الظـالم، ولإحقـاق الحـق دور كبـير في تغـير حالـة الفـرد والمجتمـع مـن السـلب إلى الإيجـاب، وبالحـق تهـاوت حكومـات ظالمـة كثـيرة عـلى المراحـل الزمنيـة المختلفـة والتأريـخ الإنسـاني شـهد الكثـير مـن الثـورات التـي غـيّرت مـن أحـوال المجتمعـات:

«تعاطوا الحق بينكم وتعاونوا به وخذوا على يد الظالم السفيه»[٣٧]

وقولـه (عليـه السـلام): «**ولا تضيّعـنَّ حـقَّ أخيـك اتـكالاً عـلى مـا بينـك وبينـه؛ فإنّـه ليـس لـك بـأخٍ مـن أضعـت حقّـه**»[٣٨] فيـه حـث لعـدم تضييـع حقـوق الاخـوان والأقربـاء مسـتغلاً بذلـك المعرفـة والقرابـة أو صلـة الرحـم.

المبحث الخامس

القضايا الاقتصادية والاجتماعية

يؤكد الإمام علي (عليه السلام) على التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع البشري، وعلى أن يشعر أفراده ببعضهم البعض، فلا يصح أن يعيش الغني متنعماً بالنعم الوفيرة تاركاً أخاه الإنسان الفقير يكابد قساوة الحياة وآلام الحاجة والحرمان. فقوله عليه السلام: «فما جاع فقير إلّا بما متّع به غني والله تعالى سائلهم عن ذلك»(٣٩)، وقال: «ما رأيت نعمة موفورة إلا وإلى جانبها حق مضيَّع»(٤٠) فالعدالة الاجتماعية من القضايا المهمة التي أكد عليها الإمام علي عليه السلام، والتكافل الاجتماعي أحد أسبابها، فإذا أخذت الدول بإنشاء مؤسسات عادلة تعنى بأمور الفقراء والنظر في قضاياهم الاجتماعية وإيجاد الحلول لهم، لعاشت المجتمعات البشرية بأمن اقتصادي ونفسي مستقر. وكذلك تقل الفوارق الطبقية بين بني البشر. لكن الذي يحصل- في زمن الحداثة وما بعدها- انّ الكثير من المجتمعات الفقيرة يعاني أبناءها من الفقر والبؤس وتفشّي الأمراض المختلفة، بينما تعيش مجتمعات العالم المتقدم برخاء اقتصادي. إلّا أنّها تعاني من أزمة الثقة ومن ثم عدم الاطمئنان فالإنسان في تلك المجمعات كأنّه تحوّل إلى آلة.

والأنباء عن الممارسات عن حرق ملايين الأطنان من الحنطة وبعض المواد الغذائية حفاظاً على الأسعار، وجعل الدول الفقيرة في تبعية مستمرة للدول الغنية في الوقت الذي يتعرض فيه الكثير من البشر وفي مناطق مختلفة من العالم إلى الموت بسبب الفقر والمرض والجوع، دليل على الممارسات اللا إنسانية للدول الإمبريالية كما عانت – ولا تزال – الكثير من المجتمعات ويلات الحروب المدمرة بسبب التعصب القومي والعرقي مثال ذلك نظرية صفاء العرق الجرمني الآري التي كان

شعارها: (المانيا فوق الجميع)، وكذلك الدعاوى الفاشية التي دمّرت الكثير من البشر باسم التعصب القومي والعنصري.(٤١)

وفي قوله عليه السلام: «خالطوا الناسَ مُخالطةً إن متّم مَعَها بكوا عليكم، وإن عشتم حَنّوا اليكم»(٤٢) دعوة واضحة وصريحة إلى إقامة علاقات إنسانية واجتماعية محمودة بين الناس، بالشكل الذي يكون فيه الإنسان مؤثراً بشكل إيجابي بالآخر أيا كان، فبموته وفراقه يشعر الآخر بفراغ مكانه، ويحزن لذلك بسبب الإحساس الإيجابي للعلاقات الإنسانية الصالحة وتأثيرها في النفس البشرية على الرغم من اختلاف الرؤى والأفكار، والتأثير الإيجابي في الآخر لا يتم بصورة عفوية أو عن طريق الصدفة، إنما هو بسبب عوامل اجتماعية وإنسانية نبيلة تضفي للحياة روحها الحقيقية وجمالها الروحي، وبآداب العشرة الصالحة يحنّ الإنسان لأخيه الإنسان، وبالتفاعل الإنساني تكتمل الحياة بسلام وود بين بني الإنسان(٤٣).

وقوله عليه السلام: «الصدقة دواء منجح، وأعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم في آجلهم»(٤٤) دعوة صادقة إلى التصدّق وبذل الأشياء المادية والمعنوية لمن يستحقها؛ مما تساعد على رفد الإنسان بفرص الحياة الكريمة وتؤدّي إلى تواصل وتقارب أفراد المجتمع، وتعمل على التقليل من الجرائم والمشاكل التي تحدث بسبب الفقر والعوز وبهذا يكون لها دور كبير في إشاعة الأمن والاطمئنان والثقة بين أفراد المجتمع(٤٥).

إنّ تطبيق العدالة والمساواة يحتاج إلى أجهزة وأدوات وعناصر مؤمنة بالعدل والمساواة في الحقوق والواجبات، والمساواة تعني بناء علاقات عادلة ومستقرة بين الثروة الاجتماعية والمجتمع ومنع تركز الاموال عند طرف صغير وحرمان الطرف الآخر منه، فمحدودية الثروة الاجتماعية، والأزمات التي يتعرض لها

الإنسان كالحروب، والمجاعات، والامراض والأوبئة والكوارث الأخرى جعلت من العدالة الاجتماعية أن تكون حقاً لجميع أفراد المجتمع؛ كون الثروات تنفذ بمرور الزمن ويهلك الاثرياء، ويبقى المجتمع، ويستمر بفقره وبؤسه إذا لم يكن هناك عدل ومساواة لذا فالعدل يحفظ المجتمع من الأضرار بأنواعها وفي كل الأوقات لاسيّما العصيبة.[٤٦]

كما يبيّن الإمام عليه السلام بأنّ على الحاكم تطبيق القانون بعدالة بين الرعية أي أنّ الأغنياء وأصحاب الجاه ممن لهم مكانة اجتماعية مرموقة أو مناصب معينة، والفقراء والطبقات الكادحة من الشعب يكونون بموضع واحد قبال القانون: «ولا يدعونَّك شرف امرئٍ إلى أن تعظِّم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعة امرئٍ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً».[٤٧] وهنا يحث الحاكم على الاهتمام بالطبقات الفقيرة والكادحة من المجتمع: «ثم الله الله في الطبقة السُّفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمني...»[٤٨] ويؤكد الإمام على السلم المجتمعي، وعدم سفك الدماء وهنا دعوة إلى نبذ العنف والاقتتال بين الناس، على عكس ما نراه اليوم من ممارسات العنف في مناطق كثيرة من العالم وتحت عنوانات مختلفة، والتعامل المزدوج من قبل بعض قادة الدول المتقدمة تجاه الجماعات الإرهابية المتطرفة وحسب مصالحها: «إيَّاك والدِّماء وسفكها بغير حلِّها فإنَّه ليس شيء أدنى لنقمة، ولا أعظم لتبعه، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقِّها»[٤٩].

كما يدعو الإمام عليه السلام إلى الابتعاد عن الاحتكار لكي لا يتزعزع الاقتصاد ومن ثم يجوع الناس، وتتردى حالة المجتمع فيؤثر على تماسك نسيجه الاجتماعي، ويتفشّى بذلك الاستغلال من قبل التجار والأغنياء بأبشع صوره

وهو ما يتنافى مع المبادئ الإنسانية في دولته العادلة: «فامنع من الاحتكار فانَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، منع منه. وليكن البيع بيعاً سمحاً: بموازين عدلٍ، وأسعارٍ لا تُجحفُ بالفريقينِ منَ البائعِ والمبتاع»[٥٠]

وقوله عليه السلام: «لا تستح من إعطاء القليل فإنّ الحرمان أقل منه»[٥١] يمثّل دعوة إلى أن يساهم الإنسان ضمن حدود قدرته وإمكانياته المادية والمعنوية، وأن لا يستحي عند عدم قدرته على إنفاق المزيد في الوقت الذي يرى فيه آخرين أكثر إنفاقاً، وإنّ بعض الأغنياء ممن يسعون لتحقيق شهرة وظهور ووجاهة اجتماعية قد لا يشارك ببذل القليل؛ كونه ينقص من مكانته الاجتماعية فيتهرب من الإنفاق بطريقة أو بأخرى لكي لا يُنتقد من قبل الآخرين، ولا يعيّرونه بالقلة أو الإفلاس.

وفي قوله عليه السلام: «القناعةُ مالٌ لا ينفد»[٥٢] قاعدة اقتصادية واجتماعية ترتقي بالإنسان إلى درجات عالية في سلّم السعادة النفسية والروحية والاطمئنان والثقة بالنفس، وفيها فيض من الطاقة الإيجابية تتحلى بها النفوس السائرة عليها، وهي حث إلى الناس للرّضا في ما يتيسر لهم من الأشياء والاكتفاء بما موجود، وعدم اللهفة وراء المفقود، فالتعوّد على القناعة تحصّن الإنسان، وتجعله متمكناً مما سيتعرض له من محن وأزمات في الحياة: كالفقر والمرض ... والأمور المعنوية، كالقيمة الاجتماعية... إنّ القناعة والرضا عاملان مهمان وفاعلان في جعل الإنسان في حالة ثقة دائمة بنفسه وراحة ووضع نفسي مستقر، حيث يبرمج الإنسان حياته وفق إمكانياته ومؤهلاته الاقتصادية والاجتماعية المتوفرة مع سعيه المشروع لتحسين أحواله المعيشية، بعكس الإرباك والتخبط الذي يسببه القلق والسعي وراء الأشياء المفقودة التي تكون خارج حدود إمكانياته ومؤهلاته لتحصيلها.[٥٣]

كما حث الإمام الآباء بعدم فرض عاداتهم وتقاليدهم على الجيل الذي يأتي بعدهم؛ كونهم سيعيشون في زمن يختلف عن زمنهم: «علّموا أولادكم على غير عاداتكم فإنَّهم خلقوا لزمانٍ غير زمانكم»[٥٤] فأفكار الناس وأنماطهم الاجتماعية وطرق عيشهم تتعرض إلى تغيّرات فهنالك الكثير من العادات والأمور التي تتعلق بأنماط الحياة وثقافة المجتمع تكون لائقة في زمنٍ ما ومستهجنة في زمن آخر، فمواكبة التقدم الحضاري والفكري المقترن بالحفاظ على القيم الإنسانية النبيلة التي دعا لها جميع الأنبياء ضروري لتقوية البنية الفكرية والحضارية للمجتمع ، كما أنّ الكثير من العادات والتقاليد بحاجة إلى غربلة لتحديد المفيد من الضار.[٥٥]

وفي الجانب الإداري نرى أنّ الإمام عليه السلام قام بإصلاحات مهمة وعادلة، وقد حدد لذلك مواصفات خاصة لبعض أصحاب المناصب والذين يتصدون لإدارة وقيادة المجتمع، ومن جملة ما قاله عليه السلام: «إنّه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلّهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتّخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع ولا المعطّل للسنّة فيهلك الأمّة»[٥٦]

وعلى هذا الأساس المتين والوصف الرصين للمواصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها القائد فقد استغنى عن خدمات بعض الولاة من الذين لا يتحلّون بهذه المواصفات كما بيّن الأسباب:» ولكنّي آسي أن يلي أمر هذه الأمّة سفهاؤها وفجّارها فيتخذوا مال الله دولاً، وعباده خَوَلاً، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً، فإنّ منهم الذي قد شرب فيكم الحرام....»[٥٧] وعلى خلاف ذلك:» لقد سبق للخليفة عثمان أن قرّب ممّن طردهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو

أقصاهم، لقد ردّ عمه الحكم بن أُميّة إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصبح يسمّى طريد رسول الله، وآوى عبد الله بن سعد بن أبي سرح وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أهدر دمه، وولّاه عثمان مصر كما ولّى عبد الله بن عامر البصرة، فأحدث فيها من الأحداث ما جعل المؤمنين ينقمون عليه وعلى عثمان»[٥٨]

الخاتمة

توصّل الباحث من خلال البحث إلى النتائج والمقترحات الآتية:

جسّد الإمام علي عليه السلام جميع القيم الإنسانية النبيلة، وإن فكره وسيرته امتداد لفكر وسيرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله).

سعى الإمام عليه السلام إلى تحرير المجتمع فكريا وحضاريا وعمل على نشر وتطبيق مبادئ حقوق الإنسان والتسامح واحترام الرأي الآخر، كما عمل على إرساء أسس العدالة والمساواة بين الناس، وحث على التعايش السلمي والمجتمعي؛ لأثره الكبير في تكامل الحياة الإنسانية.

وقوف الإمام (عليه السلام) في جميع مراحل حياته مع قضايا الفقراء والمظلومين والمحرومين.

إنّ التنوّع والتعدد ليس مدعاة إلى الخلاف والصراع، وإنّما يثري الحياة الاجتماعية بالإبداع والتفاعل، وليس لفئة اجتماعية أفضلية على أخرى بسبب اللون أو العرق أو اللغة..

إنّ للتكافل الاجتماعي والعدالة الاجتماعية والتسامح دور كبير ومهم في ترسيخ الاواصر الاجتماعية وحفظ النسيج المجتمعي.

الحاجة الماسّة لإنشاء مؤسسات ثقافية وفكرية وبحثية تأخذ على عاتقها نشر مبادئ حقوق الإنسان والتسامح والتعايش السلمي والمجتمعي واحترام الرأي الآخر والعدالة والمساواة التي دعا اليها الإمام عليه السلام وجسّدها في حياته، ونبذ العنف والتطرف والإرهاب بشتى أنواعه.

هوامش البحث:

١. نهج البلاغة: صبحي الصالح: ٨١.
٢. ينظر: ملامح من عبقرية الإمام:١٩٢
٣. للإطلاع بشكل أكثر، ينظر: الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية: ١٥٧.
٤. ينظر: التحديات الكونية ومتطلبات ترميم الحضارة: ١٣٨
٥. ينظر: التحديات الكونية ومتطلبات ترميم الحضارة: ١٣٩- ١٤٠
٦. ينظر: التحديات الكونية ومتطلبات ترمبم الحضارة: ١٤٠.
٧. الحجرات: ١٣.
٨. ينظر: التعدية الدينية في الفكر الإسلامي: ٣٤-٣٦.
٩. الروم: ٢٢.
١٠. الحج: ٤٠.
١١. ينظر: التعددية الدينية في الفكر الإسلامي:٣٦-٣٨.
١٢. نهج البلاغة:ج٣: ٩٣.
١٣. ملامح من عبقرية الإمام: ١١١.
١٤. ينظر: صدام الحضارات: ١٠.
١٥. ينظر: الإسلام يقود الحياة: ١٦-١٧.
١٦. ينظر: الإمام علي بن أبي طالب علي السلام أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام:١٧٣
١٧. نهج البلاغة: ج٣: ٢٥٠.
١٨. نهج البلاغة: ج٣: ٢٥٠.
١٩. نهج البلاغة: ج٣: ١٩٤.
٢٠. ينظر: أخلاق الإمام علي عليه السلام: ج٢: ٧-٨.
٢١. نهج البلاغة: ج٢: ١٦٦.
٢٢. ينظر: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام: ٢٢٨
٢٣. المصدر نفسه.

٢٤. روائع نهج البلاغة: ٩٥.

٢٥. روائع نهج البلاغة: ٩٥.

٢٦. يُنظر: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام: ٢٢٩

٢٧. المصدر نفسه:٢٢٩.

٢٨. المصدر نفسه: ٢٣٠.

٢٩. الكامل في التاريخ: المجلد الثالث: ٢٦٥.

٣٠. ينظر: أهل البيت ع ومصلحة الإسلام العليا: ١١٢.

٣١. نهج البلاغة: تح صبحي الصالح: ٣٤٧.

٣٢. ينظر: أهل البيت ع ومصلحة الإسلام العليا: ١١٢

٣٣. نهج البلاغة:ج٣: ٧٨-٧٩.

٣٤. نهج البلاغة: ج٣: ٩٥-٩٦.

٣٥. ينظر: ملامح من عبقرية الإمام: ٤٥

٣٦. روائع نهج البلاغة: ٢١٤.

٣٧. روائع نهج البلاغة: ٢٢٦.

٣٨. نهج البلاغة: ج٣: ٦٠-٦١.

٣٩. نهج البلاغة: ج٣: ٢٣١.

٤٠. ملامح من عبقرية الإمام: ٩٩.

٤١. ينظر: الحرية بين الدين والدولة: ١١-١٢

٤٢. نهج البلاغة: ج٣: ١٥٣.

٤٣. ينظر: أخلاق الإمام علي عليه السلام: ١٦٦.

٤٤. نهج البلاغة:ج٣: ١٥٣.

٤٥. ينظر: أخلاق الإمام علي عليه السلام: ٢٠٧-٢٠٨.

٤٦. ينظر الامام علي بن أبي طالب عليه السلام أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام: ٢٢٦.

٤٧. نهج البلاغة: ج٣: ١٠٣.

٤٨. نهج البلاغة: ج٣: ١١١.

٤٩. نهج البلاغة: ج٣: ١١٩.

٥٠. نهج البلاغة: ج٣: ١١٠-١١١.

٥١. نهج البلاغة: ج٣: ١٦٥.

٥٢. نهج البلاغة: ج٣: ٢٦٦.

٥٣. ينظر: أخلاق الإمام علي عليه السلام: ج١: ٢٥٤.

٥٤. ملامح من عبقرية الإمام: ١٥٨.

٥٥. ينظر : المصدر نفسه

٥٦. نهج البلاغة: تح:صبحي الصالح: ١٨٩.

٥٧. نهج البلاغة: ج٣: ١٣١-١٣٢.

٥٨. الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام:٢٣٢.

المصادر والمراجع

١. ابـن الأثـير، الكامـل في التاريـخ، تحقيـق أبي الفـداء عبـد الله القـاضي، المجلـد الثالـث، دار الكتـب العلميـة، بـيروت- لبنـان.

٢. جـورج جـرداق، الإمـام عـلي عليـه السـلام صـوت العدالـة الإنسـانية،اختصره وحققـه حسـن حميـد السـنيد، مطبوعـات دار الأندلـس- النجـف الأشرف، بـيروت- لبنـان، الطبعـة الاولى، ٢٠١٠.

٣. جـورج جـرداق، روائـع نهـج البلاغـة، مؤسسـة دائـرة معـارف الفقـه الإسـلامي، الطبعـة الثالثـة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٤. حسـن السـيد عـز الديـن بحـر العلـوم، التعديـة الدينيـة في الفكـر الإسـلامي، العـارف للمطبوعـات، الطبعـة الاولى، ٢٠١١م.

٥. صامويـل هنتنجتـون، صـدام الحضـارات، إعـادة صنـع النظـام العالمـي، ترجمـة: طلعـت الشـايب، الطبعـة الثانيـة، ١٩٩٩.

٦. صبحـي الصالـح، نهـج البلاغـة، دار الكتـب المصريـة- القاهـرة، دار الكتـاب اللبنـاني- بـيروت، الطبعـة الرابعـة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٧. عـادل الأديـب، الإمـام عـلي بـن أبي طالـب عـلي السـلام أدوار محوريـة وقيـادة متميـزة في الإسـلام، مطبعـة المغرب،الطبعـة الاولى،١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٨. فاضـل الصفـار، الحريـة بيـن الديـن والدولـة، دار سـحر للطباعـة والنـشر والتوزيـع، كربلاء المقدسـة، العـراق، الطبعة الثانيـة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٩. فـؤاد كاظـم المقـدادي، أهـل البيـت عليهـم السـلام ومصلحـة الإسـلام العليـا،

المؤسسة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى، مطبعة الهدى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م

١٠. محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر (قدس سره).

١١. محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان، أخلاق الإمام علي عليه السلام، ج١-ج٢، دار المرتضى، الطبعة الثامنة، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

١٢. محمد عبدة، نهج البلاغة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج١، ج٢، ج٣، مطبعة الإستقامة، مصر.

١٣. مهدي محبوبة، ملامح من عبقرية الإمام، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٤١. هادي المدرسي، التحديات الكونية ومتطلبات ترميم الحضارة، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

الخطاب الوعظي وهدفهُ الإصلاحي
في سيرة الإمام عليه (عليهِ السلام)
(جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجا)

إعداد الباحثان
أ.م .د أنسام غضبان عبود الباهلي
كلية الآداب / جامعة البصرة
م. قاسم عبد سعدون الحسيني
كلية التربية / جامعة ميسان

المقدمة

تُعد خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، منهلاً ثراً لكثير من المعارف والحكم التي تناقلتها الألسن وتعلقت بها القلوب مشغوفة بظاهرها الأنيق وباطنها العميق وأسرارها التي تدفقت من علم الإمام علي عليه السلام ، بحراً متلاطماً يغدق فيضهُ على الأزمنة ، يحدث كل زمان بلسانه حتى يوم الناس هذا ، يُسلط البحث الذي بين أيدينا الضوء على واحدة من تلك الخطب ، وهي خطبة الوسيلة التي اجتمعت فيها جواهر من الكنوز البلاغية لأمير المؤمنين عليه السلام ، وحكمهِ البليغة ، وقد تناول الباحثان جوانب مهمة من هذهِ الخطبة ، واقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة ، تناول المبحث الأول مفهوم الخطاب الوعظي وأدواتهِ ، أما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان النهج الوعظي في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، كما تناول المبحث الثالث ، خطبة الوسيلة في محاور عدة وهي :-

١. سندها وأهم مصادرها .
٢. عنوانها وتاريخها .
٣. محورية قضية الإمامة في خطبة الوسيلة .
٤. جوانب من الخطاب الوعظي في خطبة الوسيلة .

ونحن نأمل في عملنا هذا ذكر شيئاً بسيطاً من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ودوره الكبير في تهذيب النفس وبناء شخصية الإنسان، تربية إسلامية تتوافق مع تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف .

المبحث الأول
مفهوم الخطاب الوعظي وأدواتهِ

الإطار اللغوي والاصطلاحي

الخطاب لغة : الخطب سبب الأمر ، والخطاب مراجعة الكلام والخطبة مصدر الخطب[١] ، وفي خطبِ الخاء والطاء والباء أصلان أحدهما الكلام من اثنين ، يُقال خاطبهُ يخاطبهُ خطاباً والخطبة من ذلك[٢] ، والخطب الأمر يقع وإنما سُمي ذلك لما يقع من التخاطب والمراجعة وخطب الخاطب على المنبر ، يخطب خطبة ورجل خطيب حسِن الخطبة والجمع خُطباء[٣] .

المعنى الاصطلاحي : الخطاب في معناه الاصطلاحي يقترب كثيراً من المعنى اللغوي ، فالخطاب هو اللفظ المتواضع عليهِ المقصود به إفهام من هو مُتهيئ لفهمهِ، أحترز باللفظ على الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة عن الألفاظ المهملة، وبالمقصود به الإفهام عن كلام يُقصد به إفهام المستمع فإنهُ لايسمى خطاباً، وبقوله لمن هو مُتهيئ لفهمهِ عن الكلام لا من لا يفهم كالنائم ، والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع وعلى مدلولها القائم بالنفس ، فالخطاب أما الكلام اللفظي ، أو الكلام النفسي الموجه نحو الغير للإفهام[٤] .

والخطابة قياس مركب من مقدمات مقبولة ، أو مظنونة من شخص معتقد فيه ، والغرض من ترغيب الناس فيما ينفعهم معاشاً ومعاداً كما يفعلهُ الخطباء الوعاظ[٥] .

من خلال ما ورد من تعريفات نستطيع أن نقول بأن الخطاب عملية تفاعلية تتم بين طرفي الخطاب ، وهي المتكلم والمخاطب (المرسل والمتلقي) وهذهِ هي

عناصر الخطاب[٦] . وتخضع عملية التواصل بالخطاب لشروط عدة هي :

١. الإفهام باللفظ .
٢. أن يكون المتلقي (المُخاطب) متهيئ لفهم المرسل (المتكلم) .
٣. أن يكون المرسل (المتكلم) معتقداً فيهِ .
٤. أن تكون الرسالة (الخطاب) يحمل مضامين مقبولة لدى المتلقي (المُخاطب) .
٥. أن للخطاب أهداف يتوخاها الخطيب من خطابهِ بحسب نوع ذلك الخطاب[٧] .

والملاحظ هنا تعدد الآراء والمواقف النقدية المعاصرة في تعريف الخطاب ، فالخطاب هو الصيغة التي نختارها لتوصيل أفكارنا إلى الآخرين ، والصيغة التي نتلقى بها أفكارهم ، فينبثق من المفهوم الضيق إلى الرحب ليدل على ما يصدر عن المرسل من كلام أو إشارة أو أبداع فني ، والخطاب يتجاوز حدود اللغة المنطوقة ليضم تحت جوانحهِ كل ما نعبر بهِ عن أنفسنا للآخرين ، وعلى ما يعبرون لنا بهِ عن أنفسهم ، فيولد عندنا لُغتين : منطوقة وغير منطوقة ، ونوعين مباشر وغير مباشر أيضاً ، فيتنوع الخطاب[٨] وتختلف أشكاله ومضامينه وحالاتهِ الدلالية وهو في كل حالة يخضع لقواعد وقوانين مما يستلزمهُ التبليغ من تقنيات ظاهرة أو خفية عمدية أو عفوية ، مما يلجأ إليهِ المرسل لتأمين بلوغ مقصود إلى المتلقي بأكبر قدر ممكن من الوضوح والمفهومية والمقبولية ، أي أنه يعمل على ضمان أفضل حد ممكن من المقروئية لخطابهِ[٩] . وقد تعددت أنواع الخطاب بحسب مضامينه إلى عدة انواع وتقترن بعدة أوصاف مثل : الخطاب السياسي ، الديني ، الصوفي ، التاريخي ، الاجتماعي والثقافي وغير ذلك[١٠] .

الوعـظ . الأصـل اللغـوي : الـواو والعـين والظـاء كلمـة واحـدة ، فالوعـظ التخويـف والعظـة ، والاسـم منـه قـال الخليـل هـو التذكـير بالخـير ومـا يـرق لـه القلـب[١١] ، والوعـظ هـو النصـح والتذكـير بالعواقـب ، نقـول وعظتـهُ وعظـاً وعظتـهُ فأتعـظ أي قِبـل الموعظـة[١٢] .

المعنـى الاصطلاحـي : الوعـظ هـو اهتـزاز النفـس بموعـود الجـزء ووعيـدهُ ، وقيـل التذكـير بالخـير فيـما يـرق لـه القلـب ، والوعـظ زجـر مقـترن بتخويـف ودعـوة الأشـياء بـما فيهـا مـن العـبرة للانقيـاد للإلـه الحـق بـما يخوفهـا ، فالوعـظ تذكـير بالعقـاب والثـواب مقـترن بالترغيـب والترهيـب للوصـول إلى الطاعـة والانقيـاد لإلـه الحـق بـما يخوفهـا[١٣] . فهـا هـو موضـوع الوعـظ وهدفـهُ ولا يكـون الوعـظ إلا بواسـطة الخطـاب ، فالخطـاب وسـيلة لنقـل الموعظـة وهـو بهـذا يرتبـط ارتباطـاً وثيقـاً بالخطـاب . ويُـدرس الخطـاب بأنواعـهِ في ميـدان الدراسـات اللسـانية في إطـار نظريـة تُعـرف بالنظريـة التواصليـة أو التداوليـة ، وفـق منهجيـة تتنـاول الجانـب الوظيفـي والتـداولي والسـياقي في النـص أو الخطـاب ، وتـدرس مجمـل العلاقـات الموجـودة بـين المتكلـم والخاطـب مـع التركيـز عـلى البعُـد الحجاجـي والإقناعـي وأفعـال الـكلام داخـل النـص[١٤]، فهـي تهتـم بالمتكلـم ومقاصـدهِ بعـدَّهِ محـركاً لعمليـة التواصـل ، وتراعـي حـال السـامع أثنـاء الخطـاب ، كـما تهتـم بالظـروف والأحـوال الخارجيـة المحيطـة بالعمليـة التواصليـة ضمانـاً لتحقيـق التواصـل ولتسـتغلها في الوصـول إلى غـرض المتكلـم وقصـدهِ مـن كلامـهِ[١٥].

أثر الخطاب وأهميته في بناء الأمة:

تـؤدي الخُطـب غايـة مهمـة في حيـاة الأمـة فهـي وسـيلة لإيصـال رسـالة تختلـف مضامينهـا ومعطياتهـا بحسـب أهدافهـا أو غاياتهـا ، وهـي بالتأكيـد تلامـس الواقـع الاجتماعـي والسـياسي والفكـري لعامـة النـاس عـلى اختـلاف طبقاتهـم ومسـتوياتهم

وتوجهاتهم، وهي بهذا ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالواقع المُعاش للفرد والجماعة فلا تخرج في مسارها في هذهِ الأطر ، وأن تنوعت موضوعاتها الدينية، التربوية، السياسية والثقافية.

لابد ان يكون للخطاب أثرهُ وانعكاسهُ في المجتمع سلباً وإيجاباً فقد يُعبأ الخطيب جمهوره للثورة على ظاهرة اجتماعية منبوذة ، أو سلوك منحرف هدام ، أو عادات اجتماعية ممقوتة عفا عليها الزمن وعرتها يد الإصلاح والتهذيب ، او دعوة للثورة على الظلم والدفاع عن المظلومين ، والجهاد لنصرة الدين والذود عن الوطن ، أو تحفز النفوس للتخلص من أمراضها وتطهيرها من أدرانها للوصول بها إلى أعلى مراتب الكمال الذي خلقت لأجلهِ ، فالخطاب في هذا الإطار يسير في مسار إيجابي يتوخى الإصلاح والتركيز على البعد الروحي والإنساني في حياة الفرد والمجتمع ، وقد يسير الخطاب في مسار سلبي غير مُعلن بل متلبس بلباس الفضيلة ، ونصرة الحق والدفاع عن الإنسان ومساندة القيم النبيلة وتوحيد الأمة وحقن دماء أبنائها ووئد الفتن ومتخفياً دون إظهار أهدافهِ الحقيقية ، وإنما يحاول التمويه[١٦] ، عن المقاصد والغايات التي وجد لأجلها وعادة ما يكون أصحاب هذا الاتجاه أصحاب السلطة وحاشيتهم وأنصارهم ، أو من هم في ركابهم[١٧] ، من وعاظ السلاطين وصنائعهم واللاهثين وراء مصالحهم وغاياتهم المشبوهة ، وقد يستغل هؤلاء عواطف الجماهير فيوجهون خطابهم لصالح قضية باطلة[١٨] .

إمكانيات الخطيب وأدواته:

لابد للخطيب من امتلاك الأدوات التي تمكنهُ من التأثير في الجمهور وشدهم نحو خطابهِ واقتناعهم بما يدعو إليهِ[١٩]، ومن أهم هذهِ الأدوات وأكثرها تأثيراً على المخاطب هي اللغة ، فالخطاب بحاجة إلى بلاغة وخطيب ضليع في فهم القضايا

والتعبير عنها ، ولا بد ان يكون خطابهِ أكثر انسياباً، وتدفقاً دون تكلف في الخطاب ، وأن يتصف بعمق انتمائه إلى القضية التي يتحدث عنها ، وإلى من يمثلهم أو ينوب عنهم ، فالخطيب هو الذات المحورية في أنتاج الخطاب لأنهُ هو الذي يتلفظ به ويجسد ذاتهِ من خلال بناء خطابهُ ، وهو الذي يوظف اللغة في مستوياتها المتمايزة بتفعيلها في نسيج خطابه ذلك التفعيل الذي ينوع طاقاتها الكامنة[٢٠].

أن طبيعة الخطاب الوعظي أنه خطاب مؤثر يعمل على مخاطبة القلوب وتليينها وخشوعها ، وإحداث التأثير على جمهور المتلقين في عملية التواصل اللغوية وهو أهم أهداف اللغة التي يشير إليها فلاسفة اللغة المعاصرين، ولكن التأثير الوجداني الذي يمكن أن يُقاس حصولهُ وتحقيقهُ من خلال المشاهدة (البكاء أو فيضات الدموع، أو الإقبال الشديد على الواعظ)، او من خلال شعور المتلقي الداخلي (حضور القلب وخشوعه أو فرحهِ أو سرورهِ)، أو من خلال التأثير بعيد المدى والذي يكون بتعديل السلوك من السلب للإيجاب أو التدرج الحسن إلى الأحسن[٢١].

أن مفهوم التأثير لا يمكن تحديدهُ بمقادير محددة تظهر جملة وتختفي جملة، بل لكل متلق ما يخصهُ من تأثير، وما يترتب على التأثير من نواتج سلوكية واستجابات شرطية، وإذا حاولنا أن نبحث عن سر التأثير في الخطاب الوعظي يمكننا أن نضع أيدينا على سببين الأول: سحر الخطاب، والثاني : سحر الأداء ، وقد شبه الخطاب بالسحر وامام السحر يصبح المتلقي مكتوف اليدين تستمليه رقئ الكلام وجماليات اللغة وصرف الأمور في ظواهرها ولا يمتلك المتلقي إلا أن يلين قلبهُ وتذرف عيناه[٢٢]. والوعظ المتمكن من أدواتهِ اللغوية يسير في هذا الفلك ألتأثيري على المخاطبين ، بما يحويهِ من أدبية تكمن في : المجاز والذي من

شأنهِ ان يقرب البعيد القريب ويصور الحسي ويكون قاموساً جديداً للمتلقي يرى من خلاله الأشياء والتشبيهات بطرائقها المختلفة ، وما يلحق بها من ضرب الأمثال ، كذلك النظم على مقتضى المعاني النحوية ويقصد بها سياق الجمل على هيأة مخصوصة من تقديم وتأخير وذكر وحذف وغير ذلك والاعتماد على الجمل القصيرة غالباً ذات القرع والإيقاع المؤثر على السمع ، وكذلك استخدام الجمل الإنشائية بنوعيها، إذ أن هذهِ الجمل درٌعلى مخاطبة الوجدان واستثارة العواطف والاستشهاد والتضمينات من القرآن والسنة النبوية، وبليغ الكلام شعراً ونثراً(٢٣).

أن للايجابية أو التلميحية في اللغة دورها القوي والمؤثر في الخطاب، وهي تختصر معانٍ جمة ، وأفكاراً عميقة في كلمة أو كلمات قصيرة(٢٤)، حيث أنها أحد أهم استراتيجيات الخطاب التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يُغاير معنى الخطاب الحرفي لينجز بها أكثر مما يقوله ، إذ يتجاوز قصدهُ مجرد المعنى الحرفي لخطابهِ فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمراً بذلك عناصر السياق(٢٥)، وبهذا يكون مصدر قوة اللغة الذاتية كونها تحتوي طبقات من المعنى في كل عنصر من عناصرها ، فالطبقة الأولى ما تشير إليهِ الكلمات مباشرة أو ما يسمى الدلالة الذاتية ، والطبقة الثانية ما تتضمنهُ أو توحي بهِ أو ما يسمى الإيحاء(٢٦).

أما الأداة الثانية التي يجب أن يمتلكها الخطيب فهي مهارة الأداء أو ما أشير إليهِ سلفاً (بسحر الأداء) وهذهِ الأداة لها ارتباط وثيق بشخصية الخطيب ومدى قوتها وتأثيرها ومكانتها في نفوس المخاطبين فهي بناء مختلط من الذكاء والإبداع والثقة ، فالطريقة التي يعبر بها المتحدث عن نفسهِ لها تأثير في صورتهِ وبخاصة على المدى الطويل(٢٧).

أن مهارات الأداء الخطابي كثيرة جداً، وأهمها استخدام الصوت خفضاً ورفعاً

بطريقة مؤثرة يتفاعل الخطيب بها مع إيقاع كلماتهِ ووقعها في النفوس ، ويضاف إلى الصوت وحسنهِ تعبيرات الجسد وحركاتهِ وإيماءاتهِ وما يظهر عليهِ من ملامح التأثير حماساً وحزناً ، وكذلك حسن الوقف على الجمل تامة غير منقوصة مع الابتعاد عن أللحن والخطأ كل ذلك وغيرهِ من مهارات إذا أحاط بها الواعظ علماً وتطبيقاً مع لغة راقية كان التأثير في أوجه وقوتهِ(٢٨).

لابد للخطيب الواعظ أن يكون عالماً حكيماً ، ذلك أن الجاهل لا يعرف ما يعظ بهِ وغير الناصح ربما يتخير من الكلام ويستخدم من البيان ما له فيه غرض وغاية ومنفعة صلُح به الناس أم فسدوا كما أن غير الحكيم ربما كان ضرره اكبر من نفعه لو وضع وعظه في غير محله وإيرادهُ في غير موقعهِ. أن الواعظ حكمة والحكمة إذا أعطيتها لغير أهلها فقد ضيعتها وظلمتها والواجب أن يعطى لكل ما يناسبهُ وما ينتفع به ويفهمهُ(٢٩) .

المبحث الثاني

النهج الوعظي في سيرة الإمام علي (عليهِ السلام)

كان البعد الوعظي حاضراً في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام ، ولم يقتصر على الجانب النظري الذي طغى على خطبهِ وكلماتهِ بل شمِل أيضاً الجانب العملي في كل جزيئية من تفاصيل حياتهِ الشريفة(٣٠) ، وهو بهذا يقدم درساً تطبيقياً للأمة إذ لا يكفي أن يكون الواعظ واعظاً بلسانهِ دون عملهِ ، كما أنه عليهِ السلام يتمثل بالنهج القرآني دستوراً للحياة ورائداً للسير في طريق الإصلاح ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾(٣١) ، فالقول والعمل في منظور أمير المؤمنين صنوان يعضد احدهما الآخر لايفترقان إلا أن يكون النفاق والرياء قريباً لهما ، وقد آثر عنه دعائهِ عليه السلام ((اللهم إني أعوذ بك من أن تُحسن في لامعة العيون علانيتين ، وتقبح في أبطن لك سريرتي ، محافظاً على رئاء والناس من نفسي بجميع ما انت مطلع عليهِ مني فابدي للناس حُسن ظاهري وأفضي إليك بسوء عملي ...))(٣٢) .

حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام على أن لا يترك مناسبة أو يضيع فرصة إلا واغتنمها موعظة الناس وتذكيرهم بما ينتظرهم من الثواب والعقاب على حسِن عملهم أو قبيحهُ لإدراكهِ عميق اثر الموعظة وأهميتها ولهذا فقد جاء في وصيتهُ لأبنهِ الإمام الحسن عليه السلام قولهُ : ((أحيي قلبك بالموعظة...))(٣٣) ، كما روي أنه قلما أعتدل به المنبر إلا قال أمام خطبتهِ ((أيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثاً فيلهو ولا ترك سُدى فيلغو وما دُنياه التي تحسنت له بخلفٍ من الآخرة التي قبحها سوء النظر عنده...))(٣٤)، فهو لايبدأ حديثه إلا بالموعظة والتذكير ، وهذهِ هي الرسالة التي بُعث بها الأنبياء وسار بها

المصلحون بين الناس ليحيوا في ضمائرهم ما أماتتهُ الغفلة ودفنهُ ركام الذنوب والآثام ، وهو قولهُ عليهِ السلام : ((فبعث فيهم رسلهِ وواتر إليهم أنبياءه ليستادوهم ميثاق فطرتهِ ويذكروهم من نسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول ...))(٣٥) .

خاطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام الناس على قدر عقولهم، لأنهُ كان يدرك أن قدرات البشر الاستيعابية ، وتركيبهم النفسي يختلف فيما بينهم، وقد آثر عنه قولهُ : ((حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون ان يكذب الله رسولهُ...))(٣٦)، ولو ان الإمام أراد أن يفيض عليهم بغزير ما كان يحمل صدرهُ من علم لأضر بهم ذلك ولكنه علم بما يصلحهم وهو القائل : ((بل اندمجت على مكنون علم لو بحت بهِ لاضطربتم اضطراب الأرشية(٣٧) في الطوي البعيدة...))(٣٨) ، ولكنهُ عليهِ السلام بالرغم من ذلك ترك باب السؤال مفتوحاً لكل باحث عن الحقيقة وكان يقول وهو يضرب على صدرهِ :((سلوني قبل أن تفقدوني فأن بين جنبي علماً ...))(٣٩)، ولهذا نرى أن الإمام لم يبخل بالإجابة عن ما كان يُسأل عنهُ فكانت إجاباتهِ بمثابة بحر متلاطم من العلم والحكمة(٤٠) ، لم يكن سلام الله عليهِ ناصحاً أميناً لأصحابهِ ، ومن تبعهُ فحسب بل انه بذل النصح لأعدائهِ أكثر مما بذلهُ لغيرهم ليلقي عليهم الحجة ويؤدي ما عليهِ من حق الرعية على الإمام الرفيق بهم الحريص على استنقاذهم من الضلالة وحيرة الجهالة والمآلِ إلى النار ، ففي حرب الجمل لم يترك منفذاً للدخول في السلم وحقن دماء المسلمين إلا ولجه وقد بعث إلى الزبير بن العوام(٤١)، وهو من هو فيمن ألب عليهِ ، يدعوه بلين القول ويذكرهُ بالرحم التي بينهما وبمكانه عليهِ السلام من رسول الله صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم ، وأنه لم يحد عن نهجه ، ولم يغير بعده فعلى ما يقاتله الناس

ونلمس في خطابه إليهِ على لسان عبد الله بن عباس[٤٢]، أسلوباً يفيض محبة ورحمة ويمتزج فيه العتاب بالألم على غير ما توقع من زعماء الحرب وإبطالها من أسلوب التهديد والوعيد والترهيب والغلظة في العقول وهو يخاطب الزبير : ((يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق ، فما عدا على ما بدا ...))[٤٣] ، ولكن الزبير لم يرتدع ولم يرجع عن غيهِ ، ولم يترك الإمام محاولة أخرى لردهِ ، وكان ذلك في ميدان القتال حين خرج أمير المؤمنين عليهِ السلام حاسراً منوهاً انه لايُريد قتالهُ فناداه : يا زبير اخرج إليَ فخرج إليهِ شاكاً سلاحه ظناً منه أن الإمام يُريد قتالهِ ولكنه عليه السلام عانقهُ وذكرهُ بحديث رسول الله صلى الله عليه وآلهِ وسلم بأنه ـ أي الزبير ـ سيُقاتل علياً وهو له ظالم فاستغفر الزبير وقال : والله لو ذكرتها ما خرجت ، فقال الإمام : يازبير أرجع ولكن الزبير أبى وقال : هذا والله العار الذي لا يغسل وكان أنه لو رجع سُيرمى بالجبن والتخاذل ، فقال له الإمام : أرجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار فرجع الزبير ، ثم كان ما كان من اتهام ولدِهِ عبد الله[٤٤] له بالجبن وأنه خاف على نفسهِ سيوف آل أبي طالب ، ثم قتل عمر بن جرموز[٤٥] له[٤٦] .

أما طلحة بن عبيد الله[٤٧] فقد حاول الإمام رده وهو الآخر حين رجع الزبير فنادى : يا أبا محمد مالذي أخرجك؟ قال الطلب بدم عثمان قال الإمام عليهِ السلام قاتل الله أولانا بدم عثمان أما سمعت رسول الله يقول : اللهم والِ من ولاه وعادِ من عاده وأنت أول من بايعت ثم نكثت ، وقد قال الله عز وجل ((ومن ينكث فإنما ينكث على نفسهِ ...))[٤٨] ، فقال استغفر الله ثم رجع فلما رآه مروان بن الحكم[٤٩] قال: رجع الزبير ويرجع طلحة فرماه في أكمله فقتله[٥٠] .

وفيما كتب الإمام (عليه السلام) إلى معاوية بن أبي سفيان ما ينبأ عن تلك

السيرة في بذل النصح والموعظة للموالي والمخالف على حد سواء ، إذ كتب إليهِ يقول: ((وكيف أنت صانع إذ تكشفت عنك جلابيب ما أنت فيهِ من دُنيا قد تبهجت بزينتها وخدعت بلذتها ، دعتك فأجبتها وقادتك واتبعتها ، وأمرتك فأطعتها ، وانه يوشك أن يقفك واقف على ملا ينجيك منه منجٍ فأقعس عن هذا الأمر ... ، ولا تمكن الغواة من سمعك ، والا تفعل أعلمك ما أغفلت من نفسك...))[٥١] .

في حربه عليه السلام لم يكن أقل رغبة ولا حرصا على هدايتهم بالتذكير والموعظة ، وكانوا بعد منصرفه من صفين[٥٢]، قد اجتمعوا بحروراء[٥٣]فأرسل إليهم أبن عباس يناظرهم فلم يرجعوا ، ثم ذهب إليهم بنفسهِ فناظرهم ووعظهم وكانوا ثمانية آلاف وقيل أثنا عشر ألفاً[٥٤]،فرجع منهم ألفان[٥٥]، كما أنه خطب فيهم يوم النهروان وقبل أن يبتدئهم بقتال[٥٦]قائلا : ((فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى هذا النهر ، وباهضام هذا الغائط على غير بينة من ربكم، ولا سلطان مبين معكم، قد طوحت بكم الدار واحتبتكم المقدار ، وقد كنت نهيتكم عن هذهِ الحكومة فأبيتم على إباء المخالفين المنابذين ...))[٥٧] .

واجه الإمام مجتمعاً عانى من كثير من السلبيات والأمراض الاجتماعية الخطيرة ، والتي كانت موجودة قبل بعثة النبي محمد (صلى الله عليه وآله)[٥٨]، وقد استطاع رسول الله أن يُغير كثيراً من القيم والعادات والأعراف التي ابتدعتها جفوة الصحراء وطبائعها القاسية ، وأن يُسير بهذا المجتمع قُدماً في طريق الإصلاح والانفتاح على القيم الإسلامية التي تجعل من الإنسان قيمة عليا وكرامة لاتُمس، إلا أن ذلك المشروع الإلهي العظيم قد أنحرف عن مسارهِ بوفاته ، فقد أبت الزعامات القرشية وأنصارها من القبائل الأخرى التي سكنت على مضض

حتى حين أن يسير المجتمع سيرته التي بدأت مع البعثة النبوية الشريفة ، وما أن أغمض النبي عيناه راحلاً حتى تكشفت مكامن الصدور وكان ما كان من أمر السقيفة(٥٩)، وسلبت الإمام علي عليه السلام حقهُ بالخلافة واستقبال عهد جديد ، تُعد فيهِ العصبية القبلية والطبقية الاجتماعية أساساً ومرتكزاً يتبناه المجتمع شكلاً ومضموناً في نظمهِ السياسية والإدارية والاجتماعية(٦٠).

كان عهد الخليفة الأول أبو بكر والثاني عمر بن الخطاب ممهداً لما أثمر في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان(٦١)، الذي بلغت فيهِ الأوضاع غايتها في الابتعاد عن النهج النبوي والإسلام المحمدي الأصيل الذي تمثلهُ النبي محمد طيلة فترة حياتهِ المباركة وقد بدا واضحاً كيف أن تلك السياسة تمخضت عن إثراء طبقة دون أخرى فمن أنثالت عليهم غنائم الفتوح وأموال الخراج والجزية وغيرها(٦٢)، على حساب فقر الأكثرية وتردي أحوالهم وتفاقم مشكلات التفاوت الطبقي وتداعياته، وعادت الأيدلوجية القبلية المتعصبة المقيتة تنتج قيمها ومتبنياتها الفكرية في ظل نظام يحتضنها ويروج لها ، ولعل مقولة سعيد بن العاص(٦٣) ((إنما السواد بستان لقريش...))(٦٤)، تكشف عن معالم الذهنية القرشية المتطرفة وابعاد منظورها الاستعلائي الذي بقي مغموراً برواسب الماضي وجاهليتهُ الجهلاء وان توشح بثوب الإسلام . وتحدثنا كتب التاريخ عن حجم الثروات التي جمعها ارستقراطيون قرشيون من امثال الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ومروان بن الحكم وأبو سفيان وابناؤه(٦٥)، وعمر بن العاص (٦٦) فمن شغلوا مناصب في دولة الإسلام محاولين تكريس تلك السياسة التي خُطط لها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم ، من أجل الرجوع بالأمة إلى ما كانت عليهِ قبل الإسلام (يعطى رقم) (٦٧).

حفلت خطب الإمام علي عليهِ السلام بالكثير من الإشارات تصريحاً وتلميحاً عن الأوضاع السياسية والاجتماعية ، وما تركتهُ من أثار سيئة على المجتمع حتى بعد توليهِ الخلافة سلام الله عليهِ ، إذ لم يستطع المجتمع أن يتخلص من تلك الآثار سيما وأن قادة الحزب القرشي المتنفذون ما فتئوا يعارضون السياسة الإصلاحية التي تبناها الإمام وأعلنها حين أختارهُ الناس للبيعة بعد مقتل الخليفة عثمان قائلاِ: ((أعلموا أني أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغِ إلى قول القائل ، وعتب العاتب...))[٦٨] فكان اول ما بدأ بهِ برنامجهُ الإصلاحي تغيير ضوابط توزيع العطاء وأعادتهِ إلى ما كان عليهِ أيام رسول الله صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم ولقد أفرز هذا الأجراء معارضة شديدة من الزعامات القرشية الذين كبُر عليهم أن يساوى بهم غيرهم بدعوى سبقهم في الجهاد ونصرة الإسلام وهذا ما صرح به طلحة والزبير عندما سألهم الإمام عن أسباب خلافهما له بقولهم ((أنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى علينا بأسيافنا ورماحنا وأوجفنا عليهِ بخيلنا أو رجلنا وظهرت عليهِ دعوتنا ...))[٦٩]، فكان رد الإمام حاسماً بقولهِ: ((قد وجدت أنا وأنتما رسول الله يحكم بذلك ... وأما قولكما جعلت فيئنا وما افاءته سيوفنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا ، فقديما سبق قوم إلى الإسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم فلم يفضلهم رسول الله... والله موفٍ السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم))[٧٠] .

يمكننا أن نلمح في خطب الإمام أشارات واضحة لأسباب الفساد ومكامن الداء التي أنهكت المجتمع الإسلامي وأضعفت وازعهِ الديني وأفسدت منظومتهِ القيمية فتسربت إليهِ الأسقام وعصفت بهِ ريح الهمجية الجاهلية ، وفي مواعظهِ عليه السلام تفصيلات وافية وإيضاحات كافية لرسم صورة واضحة تغني عن

الشرح الطويل ومن اصدق منه عليهِ السلام في كشف الحقائق وتوضيح ما طمس وما غُيب ففي خطبة له عليهِ السلام بعد مقتل محمد بن ابي بكر يُبين ما كان من أحداث وقعت له مع من سبق من الخلفاء وما جرى على الأمة بعد مصيبة فقد رسول الله ، غذ يقول بعد أن يُبين منزلتهُ صلى الله عليهِ وسلم وفضلهُ على الأمة وما كان بعد وفاتهِ من أحداث السقيفة: ((فلبثت بذاك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى صحف دين الله وملة محمد صلى الله عليهِ وسلم فخشيتُ أن لم انصر الإسلام وأهله أن رأى فيهِ ثلماً وهدماً يكون المصاب بهما عليّ أعظم من فوات ولاية أموركم ... فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعتهُ ونهضت فيتلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق...))[٧١]، ثم يتحدث بعد ذلك عن مسيرتهِ مع الخليفة الثاني عمر وكيف صرف الأمر عنه إلى عثمان تمهيداً لأن تكون الخلافة في بني أمية بقولهِ عليهِ السلام :((وأخرجوني منها رجاء أن ينالوها إذ يئسوا أن ينالوا بها من قبلي ...))[٧٢] ، ثم يعرض إلى ما جرى من قتل عثمان وبيعة الناس له ونكث الناكثين والقاسطين والمارقين[٧٣]، وتُعد هذهِ الخطبة وثيقة تاريخية لأحداث تلك الفترة العصيبة من تاريخ الإسلام ، كما عرض في خطبتهِ المعروفة بالقاصعة لطرف من التاريخ السياسي والاجتماعي عن المسلمين في تلك الفترة في أطار وعظي بليغ أختص بذم الكبر والعصبية والحمية وتمكنها من الكثير من المسلمين حتى ذهبت بدينهم فربط بين الغنى والعصبية . يقول (عليهِ السلام): ((وأما الأغنياء من مترفة الأمم فتعصبوا لإثارة مواقع النعم فقالوا : نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين ...))[٧٤]، في أشارة إلى الزعامات التي أتخمتها الأموال التي جُمعت بغير حق فباع أصحابها دينهم بدنياهم دون النظر إلى مصلحة الأمة ، ومثل هذه المضامين أيضاً جاءت في الخطبة المعروفة بالشقشقية[٧٥] .

المبحث الثالث
خطبة الوسيلة

١ـ خطبة الوسيلة . سندها وأهم مصادرها

أقدم المصادر التي وردت فيها الخطبة هو كتاب الكافي للكليني[٧٦]، المتوفي سنة ٣٢٩هـ ، كما وردت بعض مقاطع الخطبة في كتاب التوحيد والامالي للشيخ الصدوق[٧٧] المتوفي سنة ٣٨١هـ، كذلك فقد وردت في كتاب تحف العقول عن آل الرسول لأبي محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني[٧٨] وهو من اعلام القرن الرابع الهجري ، أما الشريف الرضي[٧٩] المتوفي سنة ٤٠٤هـ فلم يذكر الخطبة في كتابهِ نهج البلاغة بعنوان مستقل ، لكن معظم عباراتها ورد في باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليهِ السلام ومواعظهِ ، ويوجد هناك بعض الاختلافات في عبارات الخطبة بين الزيادة والنقصان في هذهِ المصادر ولكن هذهِ الاختلافات لاتغير في جوهر معانيها ، وقد نقلت معظم المصادر المتأخرة الخطبة عن كتاب الكافي[٨٠] ، وأشار العلامة المجلسي الثاني[٨١] المتوفي سنة ١١١١هـ في كتابهِ مرآة العقول عن شرحهِ لها بأن سندها ضعيف لكن قوة مبانيها ورفعة معانيها تشهد بصحتها ولا تحتاج الى سند ، أما سند الخطبة كما ورد عند الشيخ الكليني[٨٢]، عن محمد بن علي بن معمر[٨٣] عن محمد بن علي بن عكابة التميمي[٨٤] عن الحسين بن النضير الفهري[٨٥] عن أبي عمر الاوزاعي[٨٦] عن عمر بن شمر[٨٧] عن جابر بن يزيد[٨٨] عن الإمام أبي جعفر الباقر عليهِ السلام ، بالرغم من ضعف سند هذهِ الخطبة إلا أن المتمعن في مضامين متنها يُدرك أنه لأمير المؤمنين عليهِ السلام لما عُرف عن بلاغتهِ وعمق معاني كلامه عليهِ السلام وهو ما أشار إليهِ العلامة

المجلسي فيما سلف[٨٩]، كما أن المنهج الذي يتبعهُ الإمام في هذهِ الخطبة هو ذاتهُ الذي نراه في خطبة الأخرى[٩٠]، وسنعتمد في دراستنا للخطبة على كتاب الكافي للشيخ الكليني لأنه أقدم المصادر التي نقلت الخطبة وأوثقها بالنسبة لغيرها[٩١].

٢ـ خطبة الوسيلة عنوانها وتاريخها

يبدو أن عنوان الخطبة قد استوحى مما جاء في أحدى فقراتها التي اشتملت ذكر الوسيلة ومقامها وكيفيتها ومن عليها[٩٢]، وهي الدرجة التي وعد الله نبيهُ في الجنة وقد وصفها الإمام عليهِ السلام بقولهِ: ((إلا وان الوسيلة على درج الجنة وذروة ذوائب الزلفة ونهاية غاية الأمنية لها ألف مرقاة ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس الجواد مائة عام...))[٩٣].

٣ـ محورية قضية الأمامية في خطبة الوسيلة

تُعد خطبة الوسيلة من خطب أمير المؤمنين التي تزخر بكنوز من المعارف والحكم العلوية الفريدة التي شملت كل أركان المنظومة الدينية التي تضم العقائد، العبادات ، الأخلاق . وتشير المصادر إلى أن الإمام خطبها في الناس بعد سبعة أيام[٩٤] من وفاة رسول الله (صلى الله عليهِ وآله)[٩٥]، ولهذا التاريخ أهميتهُ فهو قريب عهد بمصاب فقد رسول الله ذلك الحادث الجلل الذي كان فاتحة لأحداث جسيمة وقعت كان لها أثارها في حياة الإمام عليهِ السلام والأمة الإسلامية جمعاء، ولهذا نراه عليهِ السلام يسهب في الحديث عن ظلامتهِ وما أفضت إليهِ كارثة السقيفة من حوادث ورزايا ، لكن الإمام عليهِ السلام قبل أن يتحدث عن نفسهِ يتحدث عن مقام رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وانه كان أمل الأمم ومخلصها الذي إليهِ يتطلعون ((فما من رسول سلف ولا نبي مضى إلا وقد كان مخبراً

أمتـهِ بالمرسـل الـوارد مـن بعـدهِ مبشراً برسـول الله صـلى الله عليـهِ وسـلم ، وموصيـاً قومـه باتباعـهِ فكانـت الأمـم في رجـاء مـن الرسـل وورود مـن الأنبيـاء ...))(٩٦)، ثـم يصـف عليـهِ السـلام مصـاب فقـده فيقـول: ((ولا مصيبـة عظمـت ولا رزيـة جلـت كالمصيبـة برسـول الله صـلى الله عليـهِ وسـلم لأن الله ختـم بـه الإنـذار والأعـذار وقطـع بـهِ الاحتجـاج ...))(٩٧)، وبعـد أن تحـدث الإمـام عـن طاعـة النبـي وإنهـا قرنـت بطاعـة الله فـكان ذلـك دليـلاً عـلى مـا فـوض إليـهِ وشـاهداً لـه عـلى مـن اتبعـهُ وعصـاهُ عـرج بعـد ذلـك للحديـث عـن نفسـهِ وأفـاض في بيـان حالـهِ ومكانـهِ مـن الله ورسـولهِ صـلى الله عليـهِ وسـلم ومـا خصـهُ بـهِ مـن مقامـات الخلافـة الإلهيـة التـي فُضـل بهـا عـلى غـيرهِ إذ يقـول: ((فـأن الله تبـارك اسـمهُ امتحـن بي عبـاده ، وقتـل بيـدي أضـداده وأفنـى بسـيفي جحـادهِ ، وجعلنـي زلفـة للمؤمنـين وحيـاض مـوت عـلى الجباريـن وسـيفه عـلى المجرمـين ... واصطفـاني بخلافتـهِ في أمتـهِ ...))(٩٨)، ثـم يتحـدث عليـهِ السـلام عـن بيعـة القـيروان وأن الله أكمـل الديـن بولايتـهِ فكانـت ولايتـهِ ولايـة لله وعداوتـهِ عـداوة لله وكـمال الديـن ورضـا الـرب وكان هـذا مـن فضـل الله عليـهِ دون غـيرهِ مـن سـائر النـاس ((في مناقـب لـو ذكرتهـا لعظـم بهـا الارتفـاع فطـال لهـا الاسـتماع...))(٩٩) .

يتبـين مـن خـلال مـا تقـدم الصلـة الوثيقـة بـين موضـوع الخطبـة والظـرف الـذي قيلـت فيـهِ ، وكيـف أن الإمـام عليـهِ السـلام قـد أوضـح محوريـة قضيـة الإمامـة وإنهـا منصـب الهـي لا دنيـوي ، وأن مـا وقـع مـن اغتصـاب لحقـهِ عليـهِ السـلام هـو اعتـداء عـلى حـق مـن حقـوق الله وتضييـع لاصـل مـن اصـول الديـن التـي لا يصـح الإسـلام إلا باجتماعهـا ، ولهـذا فقـد أكـد الإمـام عليـهِ السـلام عـلى هـذا الأمـر في أكثـر مـن مناسـبة(١٠٠) ، حـاول أن يربـط دائـماً في خطابـه الوعظـي بـين قضيـة الإمامـة ومواعظـهِ الدينيـة معتـبراً أن معرفـة الإمـام ومنزلـة الإمامـة هـي التـي توصـل إلى معرفـة الله الحقـة،

وأنها السبيل الوحيد للوصول إلى حقيقة التوحيد فإذا أجهل المسلمون معرفة إمامهم جهلوا سبل الوصول إلى تلك الحقيقة التي لا يمكن الولوج إلى بيان معارفها إلا من خلال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم، ولهذا فقد كان من أهم نتائج تنحية الإمام وأهل بيتهِ عن مراتبهم ومناصبهم أن تعددت النظريات والفرق والتيارات الفكرية في تحديد أطر المعارف العقائدية التي تُعد أهم مرتكزات المنظومة الدينية حتى انتهى المسلمون إلى تجسيد الذات الإلهية وتشبيهها والتخبط في الوصول إلى معرفتها(١٠١)، فإذا كان الأساس الذي قامت عليهِ العقيدة باطلًا فأن البناء الديني بأكملهِ سيكون باطلاً لقول أمير المؤمنين عليهِ السلام أو الدين معرفتهِ(١٠٢).

٤ـ جوانب من الخطاب الوعظي في خطبة الوسيلة

يبدأ الإمام خطبتهِ بالحمد والثناء على الله وذلك بالقول: ((الحمد لله الذي منع الأوهام أن تنال إلا وجودهِ، وحجب العقول أن تتخيل ذاتهِ لامتناعها من الشبه والتشاكل، بل هو الذي لم يتفاوت في ذاتهِ ولا يتبعض بتجزئة العدد في كمالهِ...))(١٠٣).

استفتح الإمام علي عليهِ السلام كلامهُ كما هو في أغلب خطبهِ الوعظية بالحديث عن أصول الدين وأول هذهِ الأصول وأهمها التوحيد، فالتوحيد في علم أمير المؤمنين يمثل منهجاً مستقلاً لم يُسبق إليهِ في معارف التوحيد ففي نهج البلاغة وحده خمسون خطبة عن التوحيد عدا ما هو مثبوت في الكتب من النصوص الأخرى(١٠٤)، إذ أجتهد أمير المؤمنين عليهِ السلام في إيضاح التوحيد الحقيقي حتى في أحرج الظروف وأشدها صعوبة والرواية التي ينقلها الشيخ الصدوق، أصدق دليل على ذلك إذ يروي: أن أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليهِ السلام فقال يا أمير المؤمنين أتقول أن الله واحد؟ فحمل الناس عليهِ وقالوا يا أعرابي أما

ترى ما فيهِ أمير المؤمنين من تقسم القلب ، فقال أمير المؤمنين عليهِ السلام : دعوة فان الذي يريده الأعرابي هو الذي تريده من القوم ثم أنبرى أمير المؤمنين في بيان معاني التوحيد وأدلته ، وهو في ذلك الظرف الحرج من احتدام صراع الحرب(١٠٥).

ولقد تعددت مذاهب المعرفة الدينية والإنسانية ، واختلفت في معنى الوحدة الإلهية ، وفي العصر الإسلامي تبلورت عدة اتجاهات توزعت على المناهج المشهورة في المعرفة وهي : الكلامي ،الفلسفي والعرفاني بيد أن الرؤية ظلت مشوبة بالنقص والسذاجة حتى مع جهود عقول فلسفية جبارة برزت على هذا الصعيد(١٠٦).

يُشير الإمام عليهِ السلام إلى أن أقوى الأدلة على وجود الله سبحانهُ وتعالى هو عجز الإنسان أن يتوهم كنه هذا الوجود الإلهي او يتخيل جوهرهِ ، لأن الأوهام لاتدرك إلا المعاني الجزئية المعلقة بالمحسوسات والمواد الجسمانية كالوضع والتحيز والمقدار ونحوها والله سبحانه ليس شيئاً من هذهِ الأمور ، فلا يمكن للأوهام أن تدركه وتطلع على حقيقتهِ نعم لها أن تنال وجودهِ لظهورهِ في صورة وجودها ووجود سائر مدركاتها وعوارض وجوداتها والتغيرات اللاحقة بها من جهة ما هو صانعها وموجودها إذ الوهم عن مشاهدة هذهِ المدركات الشخصية يحكم بذاتهِ أو بمعونة العقل بوجودهِ تعالى لحاجتها إلى موجد ومقيم ومغير(١٠٧)، فلا سبيل للمحدود المتناهي أن يعلم كنه اللامحدود واللامتناهي ثم يعرج الإمام بعد ذلك ليُبين خصائص تلك الوحدة فهو الذي ليس بذي أجزاء متفاوتة مختلفة(١٠٨)، كما انه سبحانه لا يمكن أن تكون وحدته كوحدة العدد فالوحدة العددية(١٠٩)يمكن تجزئتها وتبعيضها ، ولكن وحدته سبحانه وتعالى وحدة لاتتجزأ ولا تتبعض وهذا من خصائص الوحدة اللا عددية الحقيقية الحقة ، وهو من كمالاتهِ سبحانه فالعدد هو الذي يتجزأ ويتبعض(١١٠).

ويسترسل الإمام في بيانه لبعض خصائص الذات الإلهية فالله سبحانه وتعالى لا يكون في مكان والخلق في مكان مباين لاستحالة أن يكون له مكان فيكون البعد بينه وبينها مكانياً كما هو بين الأشياء المتباعدة بل المراد بمفارقتِهِ للأشياء مباينة ذاتهِ وصفاتهِ عن مشابهة شيء منها ، وهو تمكن منها ومحيط بها بالعلم والقدرة لا بالمداخلة والممازجة الظرفية (المكانية)(١١١)، وقد اشار أمير المؤمنين عليهِ السلام إلى هذهِ الحقيقة أيضاً في خطبة التوحيد بقولهِ : ((موجود لا عن عدم مع كل شيء لا بمفارقتهِ وغير كل شيء لا بمزايلة ...))(١١٢) .

يتناول الإمام في الفقرة الأولى من كلامهِ أيضاً صفة من صفات الله وهي العلم فالله عالم إلا أن صفة العلم غير زائدة عنه ـ أي أن العلم شيء والذات الإلهية شيء آخر ـ بل أن صفة العلم وباقي صفاتهِ الأخرى هي عين ذاتهِ فالله هو العالم(١١٣) ، وأن علمه لا يكون بأداة أو بواسطة كما أن علمه بالمحسوسات ليس منه جهة الحواس والآلات الجسمية والقوى البدنية كعلم الإنسان بها فهو منزه عن الصفات الجسمانية والأدوات البدنية(١١٤)، ثم يتحدث عليهِ السلام عن أزلية الله سبحانه وتعالى وأبديتهُ وهو في هذا البيان الرائع والبليغ لخصائص الذات الإلهية إنما يبني على القاعدة التي أسس لها في بداية خطبتهِ في إيضاحاتهِ للوحدة غير العددية اللا متناهية واللا محدودة لله سبحانه وتعالى ، فكانت الخصائص التي أشار إليها بمجملها إنما هي النتيجة الحتمية لتلك الوحدة الحقيقية والحقة(١١٥) .

ثم يجعل الإمام عليهِ السلام الإقرار اللساني بالوحدانية والشهادة بنبوة النبي محمد صلى الله عليهِ وسلم تالية للمعرفة ، ونتيجة لها وان ذلك الإقرار هو المحصلة التي ترفع القول وتضاعف العمل عند الله، فلا تصح الثانية دون الأولى أي لا يصح الإقرار ما لم تترسخ المعرفة وتبنى على أساس سليم ، فالإقرار بالشهادتين

هو الإذعان والتسليم ((خف ميزان ترفعان منه ، وثقل ميزان توضعان فيه وبهما الفوز بالجنة والنجاة من النار والجواز على الصراط ، وبالشهادة تدخلون الجنة وبالصلاة تنالون الرحمة ، فأكثروا من الصلاة على نبيكم أن الله وملائكتهِ يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليهِ وسلموا تسليما...))[١١٦] .

ينتقل الإمام بعد ذلك إلى الفقرة الثانية للحديث عن الجانب الأخلاقي في حياة الإنسان ، وتشكل ثنائية الفضيلة والرذيلة الركيزة الأساسية في خطابهِ الوعظي ، وهو يبدأ كلامه في هذهِ الجزئية المهمة بالنداء (أيها الناس) ، وحرف ياء يفيد النداء والتنبيه[١١٧]، وكأن الإمام يُريد أن ينبه إلى عظيم ما سيقوله كما انهُ لم يحدد كلامه للمسلمين أو المؤمنين أو أي فئة دون أخرى، أنه يوجه خطابه للناس من أي دين أو ملة أو طائفة أو جنس ، وفي كل مكان وزمان وهو يتمثل في هذا الأسلوب المنهج القرآني في جانب من جوانبهِ فهذا النداء ورد في القرآن الكريم أحدى وعشرون مرة[١١٨]، مما يوحي أن هناك خطاباً عاماً في القرآن يشمل المسلمين وغير المسلمين، والإمام في هذهِ الفقرة من خطبتهِ يضع دستوراً للحياة يمكن أن يتمثل خطاه المسلمون وغير المسلمين ، وإذا كانت الأديان السماوية تنبع من منهل واحد فلا بد أن تتوافق فيها الروى وتتلاقى فيها الأفكار ، ولم يأتِ الإسلام إلا ليكمل ذلك المسار ويصحح ما حرفه البشر من مبانيها الفكرية وتشريعاتها السمحاء.

((أيها الناس أنه لا شرف له أعلى من الإسلام))[١١٩]، وقد جعل أمير المؤمنين الإسلام منبعاً لكل فضيلة وخلق رفيع وهو أساس لبناء فردي واجتماعي سليم ومتكامل يكون الإسلام الحقيقي محركه الفاعل في المعاملة بين الناس فلا يتعاملون فيما بينهم إلا على أساسهِ، وقد اتجه كثير من المسلمين بالإسلام اتجاه عبادة

وحسبوه صلاة وصوماً وتسبيحاً وتناسوا جانب المعاملة فيهِ في حين أن الإسلام يهتم اهتماما كبيراً بالمعاملة ، ومن القواعد التي وضعها الأصوليون أن صفوف الله مبنية على المسامحة ، وحقوق الناس مبنية على المشاحة ، فإذا قصر المسلم في حق من حقوق الله فأن التوبة تغفر وعفو الله قد يشملهُ ، ولكن إيذاء الناس لا يغفر إلا إذا عفا الناس . الإسلام ينظم علاقات الناس بالناس على أساس من الحب والعدالة مع إتباع النظم الإسلامية في البيع والشراء والميراث والزواج والطلاق وغيرها . ومع أتباع آداب الإسلام في معاملة الناس والإخلاص للعمل ولتضامن في أداء الواجب والبعد عن إيذاء الناس ، كل هذا وما يماثله أجزاء مهمة من الدين الإسلامي ولا يكمل الدين بسواها[١٢٠]، ولهذا فان البعد الأخلاقي أهم مصداق من مصاديق الإسلام وعظمتهِ .

يجمع الإمام عليهِ السلام في هذهِ الفقرة من خطبتهِ بين جملة من الصفات والمزايا الروحية المحمودة التي هي في حقيقتها جزء من رصيد المؤمن في رحلتهِ نحو الكمال الإنساني وهي : التقوى ، الورع ، التوبة السلامة – عن إيذاء الناس –[١٢١]. لعل ترتيب هذهِ الألفاظ في خطبة الإمام عليهِ السلام له دلالتهُ فهو يبدأ بالتقوى ويصدر كلامه بالقول ((لا كرم أعز من التقوى...))[١٢٢]، فيجعل التقوى كرم فيها غاية وعزة ليس في غيرها ، والعزة أما العظمة أو القدرة أو الغلبة والتقوى مستلزم لجميع ذلك لأنها تحمي أولياء الله ، وألزمت قلوبهم مخافتهِ حتى أسهرت لياليهم وأظمأت هواجرهم وتربط الأبدان بالعبادات فصاروا بذلك من أهل العظمة والقدرة والغلبة لأنهم حزب الله الغالبون[١٢٣].

وقد وردت لفظة التقوى في القرآن الكريم في أكثر من معنى فقد جاءت بمعنى الخشية في أكثر من موضع لكن حقيقة التقوى ، وأن كانت هي التي

ذكـرت بمعنـى الخشـية إلا أنها جـاءت والغـرض الأصـلي منهـا الإيـمان تـارة والتوبـة تـارة أخـرى والطاعـة ثالثـاً ، وتـرك المعصيـة رابعـاً والإخـلاص خامسـاً، والتقـوى مقـام شريـف بقولـهِ تعـالى: ((أن الله مـع الذيـن اتقـوا والذيـن هـم محسـنون ...))[١٢٤]، وقـال: ((أن أكرمكـم عنـد الله أتقاكـم))[١٢٥][١٢٦]، ولهـذا فـأن الإمـام يبـدأ بهـا فهـي كلمـة تتسـع لمعـانٍ كثيرة أختصرهـا الإمـام عليـهِ السـلام في كلام لـه آخـر بقولـهِ : ((التقُـى رئيـس الأخـلاق ...))[١٢٧]، أي أفضلهـا وبذلـك سـادها ورئسـها[١٢٨]، ويعنـي بهـا الأخـلاق الدينيـة[١٢٩].

كل صفـة مـن الصفـات التـي ذكرهـا الإمـام مرتبطـة بـما قبلهـا وبعدهـا ، وهـي تـؤدي إليهـا ولا تنفـك عنهـا ، وقـد اسـتخدم الإمـام عليـهِ السـلام صيـغ المبالغـة في الألفـاظ ((أعـلى، أحـرز، أنجـح، أجمـل، أمنـع ، أذهـب ، أغنـى ...)) تـدل عـلى أن لـكل صفـة مـن صفـات الكـمال مراتـب في هـذا الوجـود متقدمـة عـلى ماقبلهـا ، (فعـالٍ وأعـلى ، وحـرز وأحـرز ، وناجـح وأنجـح ، وجميـل وأجمـل ...)) ، وهـذا يترتـب عليـهِ أن يتفـاوت المؤمنـون في مراتبهـم كلـما سـاروا في طريـق تحصيـل الكامـل فالأكمـل ، يحـاول الإمـام في خطابـهِ الوعظـي أن يربـط بـين هـذهِ الصفـات وآثارهـا في تهذيـب النفـس، فـان ثمـرة تحصيلهـا ينعكـس بالدرجـة الأولى والأسـاس عـلى الإنسـان مـن الداخـل فتظهـر آثارهـا عـلى أفعالـهِ مـن الخـارج ، الجوانـح ، الجـوارح وبهـذا ينـوه سـلام الله عليـهِ بأهميتهـا في بنـاء الإنسـان لبنـاء مجتمـع صالـح وسـوي .

ينتقـل الإمـام في المقطـع اللاحـق مـن الخطبـة للحديـث عـن الصفـات المذمومـة في الإنسـان والتـي هـي نقيـض مـا تحـدث عنـه في المقطـع الـذي سـبقهُ فهـي صفـات سـوء تهـوي بصاحبهـا في دركات التسـافل والانحطـاط فتمثـل بـه عـن طريـق السـلامة وهـو رضـا الله إلى مـا هـو دونـهِ مـن حسـرات وندامـة (الرغبـة ، الحسـد ، البغـي ، الطمـع،

...) ، فالإنسان الذي تتسرب إليهِ هذهِ الآفات الروحية ، إنسان مهدوم من الداخل ، وكل آفة من هذهِ الآفات لها آثارها وانعكاساتها على الذات الإنسانية .

الرغبة مفتاح للمتاعب في حياة الإنسان ، لأن في تحصيل ما يرغب فيه وحفظهِ تعب شديد مع عدم الحاجة إليها (الاحتكار مطية النصب) ، شبه الإمام الاحتكار _ وهو جمع المال وحبسهِ_ بالمطية وهي ما يركبه الإنسان للوصول إلى غاية هي في حقيقتها جالبة للمتاعب ، أما الحسد فهو المرض المفسد للدين لأن الحاسد يضاد الله في إرادتهِ في التقسيم والتدبير والأفضال والأنعام ويحتقر نصيبه ويكفر بهِ ويتمنى زوال نعمة الغير ، لما يعمهم من خير ، وهذا يصرفه عما يعود نفعه عليهِ من تحصيل الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة ، وكل هذا موجب لفساد دين الحاسد(١٣٠)، وقد نبه الإمام علي عليهِ السلام إلى أثر الحسد في هدم الدين في خطبتهِ المعروفة بالقاصعة في حديثهِ عن قصة سيدنا آدم عليهِ السلام وإبليس فأن حسد إبليس لآدم أحبط دينه وجهده الجهيد في العبادة التي طالت (ستة آلاف سنة لا يُدري أمن سني الدنيا أم سني الآخرة)(١٣١)، ولهذا قال عليهِ السلام في خطبة أخرى له ((لا تحاسدوا فان الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب...))(١٣٢).

ثم يتحدث الإمام عليهِ السلام عن الحرص فأنه يقول : ((دع للتقحم في الذنوب)) لان الحريص لا يبالي الدخول في المحرم من المكاسب أو المباح المذموم منها(١٣٣)، والتقحم في الذنب الدخول فيهِ من غير روية(١٣٤)، وأن كل ذلك داعي للحرمان ، ولعل الإمام يقصد بالحرمان هذا الحرمان في الدنيا والآخرة فالحريص على الدُنيا يُحرم سكينة النفس لأنه في تعب دائم لحرصهِ على ما يجمع وخوفهِ من ذهاب ما بيدهِ فهو محروم ، وأن ملك ماملك وأما حرمانه في الآخرة فهو

الحرمان من رضوان الله ورحمتهِ للذنوب التي جناها حرصاً على الدنيا غير مبالٍ بسخط الله .

والبغي سائق إلى الحين فبالغي الى الظلم والاستطالة ومجاوزة الحدود كلها أمور تقود الإنسان إلى حينهِ أي هلاكهِ [١٣٥]، ولهذا روى الإمام زين العابدين عليهِ السلام بالقول: ((الذنوب التي تُغير النعم البغي على الناس ، الزوال عن العادة في الخير واصطناع المعروف وكفران النعم...))[١٣٦]، فجعل عليهِ السلام البغي أول الذنوب التي تُغير النعم ، وقد يسلب الإنسان نعمة الحياة حين يهلكه الله بذنوبهِ ، أما الشدة والطمع فصفتان ترتبط أحدهما بالأخرى ولذلك والى بينهما الإمام في حديثه ، فالطمع أبن الشره ولا يطمع الإنسان إلا حين يكون حريصاً على أن ينال فوق ما عنده فلا ينتهي به الطمع عند حد من الحدود ، كما لا ينتهي بهِ الأمل وان كان أملاً خائباً ورجاه يؤدي إلى الحرمان وتجارة تؤول إلى الخسران ، وهي تجارة الدنيا التي هي غير تجارة الآخرة الرابحة دائماً ، فكل حال من هذهِ الأحوال هي نتيجة لما قبلها وسبب لما بعدها وهي بالتالي الثمرة التي يجنيها الإنسان حين يتسافل بهِ عمله القبيح وتسقطهُ أخلاقه وصفاته الذميمة التي ذكرها الإمام عليهِ السلام وجعل الرغبة مفتاح كل ذنب يرتكبه ، وهي سبب تعبه وشقاؤه[١٣٧]، حتى إذا ما انغمس بكثرة الذنوب أحاطت به كما تحيط القلادة بالعنق ، ولذلك قال الإمام ((بئست القلادة الذنب للمؤمن...))[١٣٨]، وهو تشبيه لا مزيد على بلاغتهِ وعمقه.

الخاتمة

يمكننا أن نلمس من خلال دراسة خطبة الوسيلة أكثر من بعُد معرفي وأنساني فهي غيظ من فيض في معارف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام ، التي تنهل من معين النبوة الثر ، ولهذا فان استنطاق نصوص الخطبة يكون بقدر متلقيها لا بقدر ملقيها أو صاحبها ، من هنا تختلف مستويات القراءة بحسب الإمكانيات والأدوات التي يمتلكها القارئ ولهذا لا ندعي أبداً أننا أحطنا بما تتبعناه من فقرات الخطبة واستقصينا أسرارهِ ، فهذا إدعاء لا يمكن الإتيان بهِ ، كيف ونحن نتعامل مع نص هو فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق ، إنما هي محاولة للقراءة قد تصف فكرة أو تنبه لجانب من الجوانب المعرفية من ذلك الكنز الذي ينتمي إلى كنوز أمير المؤمنين المعرفية والفكرية . ومن خلال ذلك اتضح لنا:-

١- استخدم الإمام منهجاً واضحاً في تناول موضوعات خطبهِ الوعظية ومنها خطبة الوسيلة فهو يبدأ كلامهُ بالحديث عن أصول الدين الذي هي أصول المعرفة الدينية (أول الدين معرفته) ، ولكم حرص أمير المؤمنين على تعميق مفهوم التوحيد عند المسلمين فهو سارٍ في كل خطبهِ .

٢- التأكيد على قضية الإمامة والتذكير بما لحق بالإمام من ظلم وإقصاء فالإمامة التي ضيعها المسلمون في خضم الأطماع والمصالح الشخصية لا يكتمل الإسلام إلا بها ومعها ، من هذا وزخرف ما طمع بهِ غيرِه ، لم يترك التنويه بظلامتهِ وحقهِ المغتصب وتراثهِ الضائع .

٣- حاول الإمام في خطابهِ الوعظي أن يكون الجانب الروحي هدفهُ فالإصلاح يبدأ من الداخل ، ولكنهُ وفي هذا الإطار أيضاً وازن بين العقل والوجدان ، ولذلك

زخرت خطبهِ بتنوع المعرف الإنسانية والعقلية فهي تؤدي غرضاً دينياً وعلمياً في آنٍ واحد .

٤- حرص الإمام أن يكون خطابهِ مفهوماً لكل سامعيهِ على اختلاف مستوياتهم الاستيعابية على الرغم من عمق معانيهِ وكثرة أسرارهِ وذلك من خلال تقريب المعاني بأبسط صورة وأبلغ لغة فخطابه يفهمهُ العامة والخاصة كل على قدرهِ ومعرفتهِ وأدواتهِ المعرفية وتمثلهِ الحقائق والمضامين والمعطيات كما أن خطابهُ كان عاماً لكل الناس ــ في بعض جوانبهِ ــ وليس للمسلمين فحسب ولقد صدر نداءه في عدد منم الخطب بلفظة (أيها الناس) .

هوامش البحث:

١. الفراهيدي ، العين ، ٤/ ٢٢٢ .
٢. ابن فارس ، معجم ، ٢/ ١٩٨ .
٣. ابن السكيت ، ترتيب أصلاح المنطق ، ص١٩ ؛ الزمخشري ، اساس البلاغة ، ص٢٣٩ ؛ ابن سيدة، المخصص ، ١/ ق٢ ، ١٤٤ .
٤. الكفوي ، الكليات ، ص٤١٩ .
٥. المناوي ، التوقيف ، ص١٥٦ .
٦. السفياني ، الخطاب الوعظي ، ص٢١ ؛ حمدان ، أشكال التواصل ، ص٤٩ ومابعدها .
٧. المناوي ، التوقيف ، ص١٥٦ ؛ الكفوي ، الكليات ، ص٤١٩؛ المظفر ، المنطق ، ص٤٣٤ .
٨. برهومة ، تمثلات اللغة ، ص١٢٢ .
٩. بو معزة ، تحليل الخطاب ، ص٥ .
١٠. برهومة ، تمثلات اللغة ، ص١٢٣ .
١١. ابن فارس ، معجم ، ٦/ ١٢٦ .
١٢. الجوهري ، الصحاح ، ٣/ ١١٨١؛ أبن منضور ، لسان العرب ، ٧/ ٤٦٦؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ١٠/ ٤٩٨ .

١٣. المناوي ، التوفيق ، ص٣٣٩ .

١٤. حمداوي ، التداوليات ، ص٧ .

١٥. بوحشة ، محاضرات في اللسانيات ، ص١١ .

١٦. العيني ، عمدة القاري ، ٢٠/ ١٣٥ ؛ العجمي ، اللغة والسحر ، ص٢٣ .

١٧. ابن عساكر ، تاريخ ، ١٢/ ١١٣٢ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ١/ ٢٦١ ؛ القرشي ، حياة الامام الحسين ،٢/ ١٦٠ .

١٨. السفياني ، الخطاب الوعظي ، ؛ البياتي ، الأخلاق الحسينية ، ص١٦٥ .

١٩. حمدان ، أشكال التواصل ، ص٩٠ ومابعدها .

٢٠. برهومة ، تمثلات اللغة ، ص١٢٣-١٢٤ .

٢١. السفياني ، الخطاب الوعظي ، ص٧٦-٧٨ .

٢٢. السفياني ، الخطاب الوعظي ، ص٧٦-٧٨ .

٢٣. السفياني ، الخطاب الوعظي ، ص٧٨-٧٩ ؛ حمدان ، أشكال التواصل ، ص٥٦ ومابعدها .

٢٤. العسكري ، الصناعتين ، ص٢٠٥ وما بعدها .

٢٥. الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص٣٧٠ .

٢٦. العجمي ، اللغة والسحر ، ص٧٠ .

٢٧. العجمي ، اللغة والسحر ، ص٧٠ .

٢٨. السفياني ، الخطاب الوعظي ، ص٨٤-٨٥ .

٢٩. القبانجي ، شرح وصية أمير المؤمنين ، ص٣٠-٣١ .

٣٠. الشيرازي ، السياسة ، ص٧٦ ومابعدها .

٣١. سورة الصحف ، الآية ، ٣٠ .

٣٢. الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ٤/ ٦٧ .

٣٣. الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ٣/ ٣٨ .

٣٤. أبن أبي الحديد ، شرح النهج ، ١٩ / ٣٠٠ .

٣٥. أبن أبي الحديد ، شرح النهج ، ١/ ١١٣ .

٣٦. البخاري ، صحيح ، البخاري ، ١/ ٤١ .

٣٧. ومقصوده عليهِ السلام أنه أنطوى على علم ممتنع لموجبهِ من المنازعة ، وأن ذلك العلم لا يباح

بهِ ، ولو باح بهِ لاضطرب سامعوه كاضطراب الأرشية ، وهي الحبال في البئر البعيدة القعر ، وهذهِ إشارة إلى الوصية التي خص بها عليهِ السلام أنه قد كان من جملتها الأمر يترك النزاع في مبدأ الاختلاف عليهِ . ينظر : الراوندي ، منهاج البراعة ، ١/ ١٤٦ ؛ أبن أبي الحديد ، شرح النهج ، ١/ ٢١٥ .

٣٨. الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ١/ ٤١ .

٣٩. الشريف المرتضى ، رسائل ، ١/ ٣٩٤ .

٤٠. عاشور ، من غير علي يجيب ، ص٤٤ ومابعدها .

٤١. الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العز يكنى أبا عبد الله أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، قتل بسفوان في البصرة سنة ٣٦ه ينظر : أبن سعد ، طبقات أبن سعد ، ٣/ ١٠٠ ومابعدها ؛ أبن خياط ، طبقات ، ص٤٣ .

٤٢. عبد الله بن عباس :

٤٣. أبن أبي الحديد ، شرح النهج ، ٢/ ١٦٢ .

٤٤. عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي ألأسدي يكنى أبا بكر ، وقال بعضهم فيه أبوبكير ، قُتل بمكة سنة ٧٣ه . ينظر : أبن خياط ، طبقات ، ص٩ .

٤٥. عمرو بن جرموز التميمي بم مجاشع قاتل الزبير بالاشتراك مع الثعر وفضاله بن حابس التميميان ينظر : أبن عساكر ، تاريخ ، ١٨/ ٤٣٤ .

٤٦. اليعقوبي ، تاريخ ،٢/ ١٨٢-١٨٣ ؛ أبن عقدة الكوفي ، فضائل أمير المؤمنين ، ص١٦٧ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ٢/ ٣٦٣ .

٤٧. طلحة بن الزبير بن عبيد الله بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، ويكنى أبا محمد قُتل يوم الجمل وهو أبن ٦٤ سنة ، سنة ٣٦ه ، ينظر : أبن سعد ، الطبقات ، ٣/ ٢٤ .

٤٨. سورة الفتح ، الآية (١٠) .

٤٩. مروان بن الحكم بن ابي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي يُكنى أبا عبد الملك ولد على عهد رسول الله سنة ٢ه وقيل عام الخندق ، وقيل يوم أُحُد ، توفي سنة ٦٥ه وهو أبن ٦٣ سنة . ينظر : أبن عبد البر ، الأستيعاب ، ٢/ ٣٦٥ .

٥٠. اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ١٨٢ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ٢/ ٣٦٥ ؛ وتختلف رواية الطبري عما

جاء عند اليعقوبي والمسعودي بعض الاختلافات ينظر : الطبري ، تاريخ ٣/ ٥٢٠ ومابعدها .

٥١. أبن ابي الحديد ، شرح النهج ، ١٥/ ٧٩ .

٥٢. صفين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس ، وكانت وقعة صفين عندها سنة ٣٧ه ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣/ ٤١٤ .

٥٣. حروراء : هي قرية بظاهر الكوفة وقيل موضع على ميلين منها ، وهي كورة نزل بها الخوارج الذين خالفوا أمير المؤمنين فنسبوا إليها . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ٢/ ٢٤٥ .

٥٤. اختلفت المصادر في عدد الخوارج وفي عدد من رجعوا منهم إلى معسكر أمير المؤمنين . ينظر : أبن خياط ، تاريخ ، ص١٤٤ ؛ النعمان المغربي، شرح الأخبار ، ٢/ ٣٨ ؛ أبن أبي الحديد ، شرح النهج ، ٢/ ٢٧٥ .

٥٥. اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ١٩١ .

٥٦. المسعودي ، مروج الذهب ، ٢/ ٤٠٣ ؛أبن كثير ، البداية والنهاية ، ٧/ ٣١٩ .

٥٧. أبن ابي الحديد ، شرح النهج ، ٢/ ٢٦٥ .

٥٨. علي ، المفصل ،٤/ ٥٤١ ؛ خطبة الزهراء ، ٥/ ٥٢٦ .

٥٩. اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ١٢٣ ؛ أبن الجوزي ، المنتظم ، ٤/ ٦٤ .

٦٠. شمس الدين ، دراسات ، ص٢١ ومابعدها

٦١. القرشي ، حياة الإمام الحسين ، ١/ ٢٧٦ ومابعدها .

٦٢. اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ١٧٨ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ٩/ ٤٢٦ .

٦٣. سعيد بن العاص بن سعيد بن اصبحه بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي كان والياً للخليفة عثمان على الكوفة وقد أضر كثيراً بأهلها حتى ثاروا عليهِ وأخرجوه عنها . ينظر : أبن سعد ، الطبقات ، ٥/ ٣٠ ؛ أبن عساكر ، تاريخ ، ٢١/ ١٠٥ .

٦٤. البلاذري ، أنساب الأشراف ، ٥/ ٤٣٣؛ الطبري ، تاريخ ، ٣/ ٣٦٥ ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، ١٢/ ٣٦٦ .

٦٥. أبو سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي واسم ابو سفيان صخر أسلم يوم الفتح وتوفي في المدينة سنة ٣١هـوكان له من العمر ٨٨ سنة ينظر : أبن عبد البر ، الأستيعاب ، ٢/ ٧١٤ ؛ أبن حجر ، الإصابة ، ٣/ ٣٣٢ .

٦٦. عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ويكنى أبا عبد الله أسلم بأرض

الحبشة قم قدم المدينة على رسول الله ولاه عثمان بن عفان مصر ثم عزلهُ ثم صار إلى معاوية بعد مقتل عثمان وشهد معهُ صفين ثم ولاه معاوية مصر وتوفي بها سنة ٤٣هـ . ينظر : أبن سعد ، الطبقات ،٧/ ٤٩٣ .

٦٧. أبن سعد ، الطبقات ، ٣/ ٢٢٢ ؛ الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص١٥٨ ؛ محمد الثقفي ، الغارات ، ٢/ ٧٤٨ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ٢/ ٣٢٢ ؛ الطائي ، نظريات الخليفتين ، ٢/ ٤٨ .

٦٨. أبن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٧/ ٣٣ .

٦٩. أبن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٧/ ٤١ .

٧٠. أبن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٧/ ٤١-٤٢ .

٧١. أبن أبي الحديد ، شرح النهج، ٦/ ٩٤ ومابعدها .

٧٢. أبن أبي الحديد ، شرح النهج ، ٦/ ٩٦ .

٧٣. أبن أبي الحديد ، شرح النهج ، ٦/ ١٠١ .

٧٤. الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ٢/ ١٥٠ .

٧٥. أبن أبي الحديد ، شرح النهج ، ١/ ١٥١ .

٧٦. ٨/ ١٨ ومابعدها .،

٧٧. ص٧٢، ص٣٩٨-٣٩٩ .

٧٨. ص٩٢ومابعدها .

٧٩. ٤/ ٣ ومابعدها .

٨٠. الكليني ، ٨/ ١٨ .

٨١. ٢٥/ ٣٥ .

٨٢. ٨/ ١٨ .

٨٣. محمد بن علي بن معمر الكوفي يكنى أبا الحسن صاحب الصبيحي سمع منه التلعكبري ، روى عنه الكليني في الروضة ، وروى عن محمد بن علي بن عكابة التميمي . ينظر : التفرشي ، نقد الرجال ، ٤/ ٢٨٠ ؛ الخوئي ، معجم ، ١٨/ ٣١ ؛ ١٧/ ٣٥٨ .

٨٤. محمد بن علي بن عكابة التميمي روى عن الحسين بن علي بن النضر الفهري وروى عنه محمد بن علي بن معمر ، مجهول روى رواية في الروضة الحديث الرابع . ينظر : الخوئي ، معجم ، ١٧/ ٣٥٨ ؛ الجواهري ، المفيد ، ص٥٥٥؛ الشاهرودي ، مستدركات ، ٧/ ٢٣٨ .

٨٥. الحسين بن النضير الفهري : لا يُعلم من أحوالهِ شيء سوى أن أبن شراشوب أورد عنه في المناقب بيتين من الشعر يمدح بهما النبي والإمام علي . ينظر : الأمين ، أعيان الشيعة ، ٦/ ١٨٨ ؛ الشاهرودي ، مستدركات ، ٣/ ٢٠٩ .

٨٦. أبن عمرو الاوزاعي : روى عن عمرو بن شمر وروى عنه عبد الله بن أيوب الأشعري . ينظر : الخوئي ، معجم ، ١٤/ ٧٦ .

٨٧. عمرو بن شمر : أبو عبد الله الجعفي عربي روى عن أبي عبد الله عليهِ السلام ضعيف جداً زيدَ أحاديث في كتب جابر الجعفي ينسب بعضها إليهِ والأمر ملبس . ينظر النجاشي ، الفهرست ، ص٨٧ ؛ أبن الفضائري ، رجال أبن الفضائري، ص٧٤ .

٨٨. جابر بن يزيد الجعفي من أصحاب الإمام أبي جعفر الباقر لقي أبا جعفر وأبا عبد الله عليهِ السلام ، ثقة في نفسهِ ، ولكن جل من يروي عنهم ضعيف روى عنه جماعة غُمز وضعفوا منهم عمرو بن شمر . توفي سنة ١٢٥ه . البرقي ، الرجال ، ص٩ ؛ النجاشي ، فهرست ، ص١٢٨ ؛ الطوسي ، الفهرست ، ص٩٥ ؛ أبن الغضائري ، رجال الغضائري ، ص١١٠ .

٨٩. مرآة العقول ، ٢٥/ ٣٥ ؛ على الرغم مما يشير إليهِ العلامة المجلسي من ضعف سند الخطبة إلا انه من ناحية أخرى يعتقد بصحة كل ما جاء في كتاب الكافي وهو لا يذكر هذا الضعف في السند إلا من باب ترجيح بعضها على بعض عند التعارض . ينظر : المجلسي ، مرآة العقول ، ١/ ٢٢ .

٩٠. الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ١/ ١٤ ، ١/ ٣١، ٢/ ١٣٧ .

٩١. العاملي الكركي ، هداية الأبرار ، ص٣٤ ومابعدها ؛ العقيلي ، سبيل المؤمنين ، ص٤٠٨ ومابعدها.

٩٢. المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ١١/ ٢٢٩ .

٩٣. الكليني ، الكافي ، ٨/ ١٨ .

٩٤. يذكر الشيخ الصدوق في كتابهِ الأمالي أن الخطبة كانت بعد تسعة أيام من وفاة رسول الله في حين أنه يذكر أنها بعد سبعة أيام في كتابه التوحيد ويبدو أن تصحيفاً وقع في ذكر تاريخها . ينظر: الصدوق ، الأمالي ، ص٣٩٨؛ التوحيد ، ص٧٢ .

٩٥. الكليني ، الكافي ، ٨/ ١٨ ؛ المجلسي ، مرآة العقول ، ٢٥/ ٣٥ .

٩٦. الكليني ، الكافي ،٨/ ٢٥ ؛ المجلسي ، مرآة العقول ، ٢٥/ ٥٨ .

٩٧. الكليني ، الكافي ، ٨/ ٢٥ ؛ المجلسي ، مرآة العقول ، ٢٥/ ٥٨ .

٩٨. الكليني ، الكافي ، ٨/ ٢٦ ؛ المجلسي ، مرآة العقول ، ٢٥/ ٥٩ .

٩٩. الكليني ، الكافي ، ٨/ ٢٧ ؛ المجلسي ، مرآة العقول ، ٢٥/ ٦١ .

١٠٠. أبن أبي الحديد ، شرح النهج ، ١/ ٢٠٢،٦/ ٩٥ .

١٠١. عبد الحميد ، تاريخ الإسلام ، ص٣٥ ؛ المغربي ، الفرق الكلامية ، ص١٣٥ ومابعدها .

١٠٢. الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ١/ ١٥ .

١٠٣. الكليني ، الكافي ،

١٠٤. الحيدري ، التوحيد ، ١/ ٩١ .

١٠٥. الصدوق ، التوحيد ، ص٨٣ .

١٠٦. الحيدري ، التوحيد ، ١/ ٤٠ .

١٠٧. المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ١١/ ٢٣٢ .

١٠٨. المجلسي ، مرآة العقول ، ٢٥/ ٣٧ .

١٠٩. أبن أبي الحديد ، شرح النهج ، ١/ ٧٢ .

١١٠. المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ٢٣٧،١١ ؛ الحيدري ، التوحيد ، ١/ ٦٣ .

١١١. المجلسي ، مرآة العقول ، ٢٥/ ٣٧ ؛ المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ١١/ ٢٣٧ .

١١٢. أبن أبي الحديد ، شرح النهج ، ١/ ٧٢ .

١١٣. الحيدري ، التوحيد ، ١/ ١٤٤ ومابعدها .

١١٤. المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ١١/ ٢٣٨ .

١١٥. المجلسي الأول ، روضة المتقين ، ص١٦٧؛ الحيدري ، التوحيد ، ١/ ٧٥ .

١١٦. الكليني ، الكافي ، ٨/ ١٨-١٩ .

١١٧. أبن عقيل ، شرح أبن عقيل ، ٢/ ٢١٠ .

١١٨. سورة البقرة ، الآية ، ٢١،١٦٨ ؛ سورة النساء ، الآية ، ١/ ١٣٣،١٧٠ ، ١٧٤ ؛ سورة الأعراف، الآية ، ١٥٨؛ يونس ، ٢٣،٥٧،١٠٤،١٠٨؛ الحج، الاية ، ١/ ٥، ٤٩، ٧٣ ؛ سورة النمل ، الآية، ١٦، لقمان ، الآية ، ٣٣ ، فاطر ، الآية ، ٣، ٥، ١٥ ؛ الحجرات ، الآية ، ١٣ .

١١٩. الكليني ، الكافي ، ٨/ ١٩ .

١٢٠. شلبي ، مقارنة الأديان ، ص١٧٥ .

١٢١. المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ١١/ ٢٤١ .

١٢٢. الكليني ، الكافي ، ٨/ ١٩ .

١٢٣. المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ١١، ٢٣٥ .

١٢٤. سورة النحل ، الآية ، ١٢٨ .

١٢٥. سورة الحجرات ، الآية ، ١٣ .

١٢٦. الفخر الرازي ، تفسير الرازي ، ٢/ ٢٠ .

١٢٧. أبن أبي الحديد ، شرح النهج ، ٢٠ ، ٤٧ .

١٢٨. الزبيدي ، تاج العروس ، ٨، ٣٠٠ .

١٢٩. أبن ابي الحديد ، شرح النهج ، ٢٠ ، ٤٧ .

١٣٠. المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ١١، ٢٣٢ .

١٣١. الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ٢، ١٣٩ .

١٣٢. الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ١/ ١٥١ .

١٣٣. المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ١١ ، ٢٣٢ .

١٣٤. المجلسي ، مرآة العقول ، ٢٥، ٤٠ .

١٣٥. المجلسي ، مرآة العقول ، ٢٥ ، ٤٠ .

١٣٦. الصدوق ، معاني الأخيار ، ص٢٧٠ .

١٣٧. فالإنسان الذي لا يعصم نفسه من الذنوب فأنها تجره إلى التورط في أفضع العواقب سوءاً فالورطة : هي الغامض والهلكة وكل ما يعسر النجاة منه وأصله الهوة العميقة والوهدة من الأرض ثم استعيرت للأمر المذكور . ينظر : المازندراني ، شرح اصول الكافي ، ١١/ ٢٤٣ .

١٣٨. الكليني ، الكافي ، ٨/ ١٩ .

المصادر والمراجع

قائمة المصادر

القرآن الكريم

البخاري ، أبو عبد الله محمد بن أسماعيل ،(ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)

١- صحيح البخاري ، دار الفكر ، ١٩٨١ .

البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ، (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)

٢- أنساب الأشراف ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٩ .

التفريشي ، مصطفى بن الحسين الحسيني ، (ت القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي)

٣- نقد الرجال ، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، الطبعة الأولى ، قم ١٤١٨هـ .

أبن الجوزي ، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ، (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)

٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩٢ .

الجوهري ، اسماعيل بن حماد ، (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م)

٥- الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين ، القاهرة ، ١٩٨٧

أبن حجر ، أحمد بن علي ، (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨ م

٦- الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق ، عادل احمد عبد الموجود و علي محمد معوض ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥ .

أبن ابي الحديد ، عز الدين أبو حامد ، (ت٢٥٦هـ/ ١٢٥٧م)

٧- شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى دار أحياء

الكتب العربية ، ١٩٥٩

أبن خياط ، خليفة ، (ت٢٤٠هـ / ٨٥٤م)

٨- تاريخ أبن خياط ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .

الرازي ، فخر الدين ، (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩ م)

٩- تفسير الرازي ، الطبعة الثالثة ، د.م ، د.ت .

الراوندي ، قطب الدين أبي الحسن ، (ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)

١٠- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، تحقيق عبد اللطيف الكوكهمري ، مكتبة آية الله المرعشي ، قم ١٤٠٦ه .

الزبيدي ، محي الدين أبي فيض محمد مرتضى الحسيني ، (ت١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م)

١١- تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ، بيروت، ١٩٩٤ .

الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر ، (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)

١٢- تفسير الكشاف ، دار ومطابع الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

أبن سعد ، محمد ، (ت ٣٣٠هـ/ ٩٤١م)

١٣- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

أبن سيدة ، أبي الحسن علي بن اسماعيل ، (ت٤٥٨هـ، ١٠٦٥م)

١٤- المخصص، تحقيق لجنة أحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

أبن السكيت ، أبو يوسف يعقوب ، (ت٢٤٤هـ / ٨٥٨م)

١٥- ترتيب أصلاح المنطق ، رتبه وقدم له محمد حسن البكائي ، الطبعة الأولى ، مجمع البحوث الإسلامية ، إيران ، ١٤١٢هـ .

الشريف الرضي ، أبو الحسن محمد ، (ت٤٠٤هـ / ١٠١٣م)

١٦- نهج البلاغة ، شرح محمد عبدة ، الطبعة الأولى ، دار الذخائر ، قم ، ١٤١٢ه .

الصدوق ، أبي جعفر محمد بن الحسين بن بابويه ، (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م)

١٧- التوحيد ، تصحيح وتعليق السيد هاشم الحسين الطهراني ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، د.ت .

١٨- الأمالي ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، الطبعة الأولى ، مؤسسة البعثة ، طهران ، ١٤١٧ .

الأصفهاني ، أبي الفرج ، (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)

١٩- الأغاني ، دار إحياء التراث العربي ، د.ت

الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير ، (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)

٢٠- تاريخ الرسل والملوك ، صححه وضبطه نخبة من العلماء ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٩٨٣ .

الطوسي ، أبي جعفر محمد بن الحسن ، (٤٦٠هـ / ١٠٦٧م)

١٢- الفهرست ، تحقيق جواد القيومي ، الطبعة الأولى ، مؤسسة نشر الفقهاهة ، ١٤١٧ه .

أبن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد

١٣- الاستيعاب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، الطبعة الأولى ، دار الجبل ، بيروت ، ١٩٩٢ .

أبن عساكر ، أبي القاسم علي بن الحسن ، (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)

١٤- تاريخ مدينة دمش ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥ .

العسكري ، أبي هلال الحسن بن عبد الله ، (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)

١٥- الصناعتين في الكتابة والشعر ، الطبعة الأولى ، الأستانة ، ١٣١٩ه .

أبن عقدة الكوفي ، (ت ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)

١٦- فضائل أمير المؤمنين ، د.م ، د.ت .

أبن عقيل ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي ، (ت ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م)

١٧- شرح أبن عقيل ، الطبعة الرابعة عشر ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ،

١٩٦٤م .

العيني ، أبا محمد محمود بن أحمد ، (ت٨٥٥ه/ ١٤٥١م)

١٨- عمدة القارئ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

أبن الغضائري ، أحمد بن الحسين ، (ت القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)

١٩- رجال الغضائري ، تحقيق محمد رضا الحسيني الجلالي ، الطبعة الأولى ، قم ، ١٤٢٢هـ .

أبن فارس ، أبي الحسن أحمد ، (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)

٢٠- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتب الأعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٠٤هـ .

أبي الحسن أحمد ، (ت٣٩٥هـ/ ٧٩١م)

٢١- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٠٤ه .

الفراهيدي ، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)

٢٢- العين ، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرئي ، الطبعة الثانية ، مؤسسة دار الهجرة ، ١٤٠٩هـ .

القلقشندي ، أحمد بن علي ، (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)

٢٣- صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

أبن كثير ، إسماعيل بن كثير ، (٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)

٢٤- البداية والنهاية ، تحقيق علي شيري ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٨٨ .

الكفوي ، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني ، (ت ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م)

٢٥- الكليات ، قابله ووضع حواشيه عدنان درويش ومحمد المصري ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٩٩٨ .

الكليني ، الرازي ، (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م)

٢٦- الروضة في الكافي ، صححه وعلق عليه علي اكبر العقاري ، الطبعة الثانية ، طهران ، ١٣٨٩ .

المازندراني ، محمد صالح ، (ت ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م)

٢٧- شرح أصول الكافي ، تحقيق الميرزا أبو الحسن الشعراني ، الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي ،٢٠٠٠م

المجلسي ، محمد باقر ، (ت١١١١هـ/ ٧٢٩م)

٢٨- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، الطبعة الأولى ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٤١٠م .

المجلسي ألأول ، محمد باقر ، (ت١٠٧٠هـ / ١٦٥٩م)

٢٩- المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسن ، (ت٣٤٦هـ / ٩٥٧م)

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الطبعة الثانية ، تدقيق وضبط يوسف اسعد داغر ، دار الهجرة ، قم ، ١٩٨٤ .

المناوي ، عبد الرؤف ، (ت ٩٥٢هـ/ ١٠٣١م)

٣٠- التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٠ .

أبن منظور ، أبي الفضل جمال الدين ، (ت٧١١هـ / ١٣١١م)

٣١- أدب الحوزة ، قم ، ١٤٠٥هـ .

النجاشي ، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ، (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)

٣٢- أسماء مصنفي الشيعة ، تحقيق موسى البيري الزنجاتي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ١٤١٦هـ .

النعمان المغربي ، أبي حنيفة بن محمد التميمي ، (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)

٣٣- شرح الأخبار ، تحقيق محمد الحسيني الجلالي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم، د.ت .

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ، (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)

٣٤- معجم البلدان ، دار التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٩ .

اليعقوبي ، أحمد بن ابي يعقوب ، (٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)

٣٥- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

قائمة المراجع

برهومة ، عيسى عودة

٣٦- تمثلات اللغة ، مجلة عالم الفكر ، العدد الأول ، المجلد ٥٦ ، لسنة ٢٠٠٧ .

بوحشة ، خديجة

٣٧- رمحاضرات في اللسانيات التداولية ، د.م ، د.ت .

بومعزة ، نوال

٣٨- تحليل الخطاب ، محاضرات مقدمة لطلبة السنة الثانية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، ٢٠١٢-٢٠١٣ .

البياتي ، جعفر

٣٩- الأخلاق الحسينية ، الطبعة الأولى ، مطبعة مهر ، أنوار الهدى ، قم ، ١٤١٨هـ .

الجواهري ، محمد

٤٠- المفيد من معجم رجال الحديث ، الطبعة الثانية ، منشورات مكتبة المحلاتي ، قم ، ١٤٢٤هـ .

حمدان ، سليم

٤١- أشكال التواصل ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجزائر ، جامعة الحج لخضر، ٢٠٠٨-٢٠٠٩

حمداوي ، د.م ، ٢٠١٥ .
٤٢- التداوليات وتحليل الخطاب ، الطبعة الأولى ، د
الحيدري ، كمال
٤٣- التوحيد ، تقرير جواد علي كسار ، الطبعة الخامسة ، دار فرقد ، إيران ، ٢٠٠٦م
.
الخوئي ، أبو القاسم
٤٤- معجم رجال الحديث ، الطبعة الخامسة ، د.م ، ١٩٩٢ .
السفياني ، عبد الله بن رقود
٤٥- الخطاب الوعظي (مراجعة نقدية وأساليب الخطاب ومضامينه)، مركز نماء للبحوث والدراسات، د.ت .
الشاهرودي ، علي النمازي
٤٦- مستدركات علم رجال الحديث ، الطبعة الأولى ، طهران ، ١٤١٢هـ .
شلبي ، أحمد
٤٧- مقارنة الأديان ، الطبعة الرابعة ، مكتبة النهظة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣.
شمس الدين ، محمد مهدي
٤٨- دراسات في نهج البلاغة ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٢ .
الشهري ، عبد الهادي بن ظافر
٤٩- استراتيجيات الخطاب ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس، ٢٠٠٤ .
الشيرازي ، صادق الحسيني
٥٠- السياسة من واقع الإسلام ، الطبعة الخامسة ، دار صادق ، كربلاء ، ٢٠٠٥ .
عاشور ، علي
٥١- من غير علي يجيب ، الطبعة الأولى ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ٢٠٠٨ .

عبد الحميد ، صائب

٥٢- تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي ، الطبعة الثانية ، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي ، قم ، ٢٠٠٥ العجمي ، فالح شبيب

٥٣- اللغة والسحر ، الطبعة الأولى ، الرياض ، ٢٠٠٣ .

العقيلي ، عبد الرحمن

٥٤- سبيل المؤمنين إلى طريقة المعصومين، الطبعة الأولى، دار الحسين، ١٤٣٧هـ.

علي ، جواد

٥٥- تاريخ العرب قبل الإسلام ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٩٣ .

القبانجي ، حسن

٥٦- شرح وصية امير المؤمنين ، دار الضياء ، النجف الأشرف ، ٢٠١٢ .

القرشي ، باقر شريف

٥٧- حياة الإمام الحسين ، الطبعة الأولى ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ١٩٧٤ .

محسن ، الأمين

٥٨- أعيان الشيعة ، تحقيق وتخريج حسن الأمين ، دار التعارف ، بيروت ، د.ت .

المظفر ، محمد رضا

٥٩- المنطق ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، د.ت .

النسق القيمي التكاملي
أثره الاصلاحي في مستوى
تشكيل الذات السلوكية للمجتمع

بحث في ضوء عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر (رضي الله عنه)

أ. م. د. مكي فرحان كريم

جامعة القادسية/كلية التربية

أ. م. د. ضياء عزيز الموسوي

جامعة كربلاء/كلية العوم الإسلامية

مقدمة

ليس من السهل أنْ يتكامل البحث في الدين نفسه وقد تجسدت تكاملية هذا الدين في فكر الإمام علي «عليه السلام» وشخصيته ، وتعددت الأبعاد المعرفية في هذه الشخصية ، حتى باتت مادة خصبة للتنقيب في فكرها ، والبحث في رؤيتها ، وهي مؤسسة على أسس المدرسة الإلهية ، منهجها القرآن الكريم ، ومعلمها الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلم» ، شخصية ربطت العلم بالعمل ، عنايتها المطلقة الدين القيم ، والإنسانية ، والحياة الحرة الكريمة ، والعدالة في الحكم... تفاعلت والواقع الاجتماعي بمجالاته المختلفة ، فاقترنت شخصيته باسمه عالية -الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام»- حتى أصبح رائد العدالة والإنسانية، وثبّت أسسها بعهده الدولي (لمالك الأشتر) وعدّه دستوراً لبناء المجتمع العادل، ينظم أدارة شؤون دولته ، ويسهم في بناء منظومته القيمية السلوكية ، وتشكيل ذاته، ليشعر حراً بعبوديته المطلقة لله تعالى وحده ...

في ضوء هذه الإشارة المعرفية لشخصية الإمام علي «عليه السلام» ، وأهمية ما تضمنه نصّ عهده المبارك ، تولدت الفكرة الرئيسة لأهداف البحث ، وهي معرفة النسق القيمي التكاملي في مضمون العهد ، ومعرفة أثره الإيجائي الإصلاحي في مستوى تشكيل الذات السلوكية للمجتمع...

وعليه قسم البحث على مبحثين ، تناول المبحث الأول دراسة المداخل النظرية لمحددات البحث ، وتناول المبحث الآخر دراسة العينة التطبيقية للبحث ، وختم البحث بخاتمة تضمنت أهم نتائجه واستنتاجاته .

المبحث الأول

دراسة المداخل النظرية لمحددات البحث

تمثل المنظومة القيمية للإنسان مرجعيته المعيارية التي تنظم حياته وتحكم سلوكياته ، وهي بالنتيجة تسهم في حفظ هوية المجتمع وتجانسه وتماسكه وترابطه، ولعل الاهتمام بالنسق القيمي ودراسته هو لما يحصل من تسارع في التغيير الثقافي وتأثيره في البناء المجتمعي ، وكذلك انحلال التربية القيمية للفرد بصورة عامة .

إنّ القيم السائدة في هذه الأيام هي ليست نفسها القيم التي كانت سائدة في المجتمع منذ سنين أو عقود مضت، إذ إنّ تبدلاً كبيراً أصاب منظومات القيم اليوم ، لاسيما مع تنامي موجات العولمة وما ارفقها من تطورات هائلة في مجال المعلوماتية وما أحدثه ذلك من تأثير في النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع بشكل عام، والنسق القيمي على وجه الخصوص؛ لأنّ القيم انعكاس لثقافة المجتمع من جهة، واحتكاك هذه الثقافة مع الثقافات الأخر من جهة أخرى؛ ولأنّ ثقافة مجتمعاتنا تتعرض أكثر فأكثر إلى تغيرات كبرى وهي عرضة للتآكل والانطمار؛ لأنّ ما يشهده العالم المعاصر هو محاولة سيطرة نمط واحد من الثقافة الطاغية وهو النمط السائد عند الدول المتقدمة، وهذا ما كانت حصيلته تعرُّض الفرد للصراع بين القيم الموروثة والتقاليد المستوردة ما جعله يصاب بالحيرة والقلق[١] .

إذ إنّ التغير الذي يطرأ على النسق القيمي المجتمعي اليوم هو التراجع الروحي في مقابل الإحباط والنفور والسخط المتولد عند الأفراد من مجموعة الظروف المحيطة بهم، وإنّ هذا التراجع من شأنه أن يجعل منهم أشخاصاً حاملين لقيم

متشددة متعصبة في ظل غياب مفهوم القيمة الروحية الحقيقية، أو قيماً مادية متدنية مثل: الرغبة في الثراء السريع، والرشوة، والوساطة... ورغم أنّها قيماً سلبية إلّا أنّها تلبي الحاجة الملحّة لهم والتي فرضها عليهم الواقع الاجتماعي الاقتصادي الذي يسيطر عليه النمط الاستهلاكي الناتج عن استيراد أنماط الحياة الغربية بمظاهرها السلبية، وغياب قيمة العمل والنمط الإنتاجي الحقيقي وأكثر من ذلك فقد لحظ عزوفاً عن كثيرٍ من القيم الإيجابية عند البعض منهم، مثل قيم التعاون والتسامح، وحلّ بدلاً عنها تمسكهم بقشور القيم تاركين لجوهرها، إذ باتت مثل هذه القيم عبئاً عليهم في ظل سيطرة قيمٍ سلبيةٍ ، غالباً ما تكون مادية، وهذا بمجمله يعني فكراً مضطرباً، ولأنّ القيم التي يتبناها الفرد لا تنشأ من فراغ، ولا هي مجردة مطلقة، ولا ثابتة ولا أبدية، بل هي جزء من الخبرة الإنسانية الواقعية، وجزء من حاجات الفرد، كما أنّ لها دوراً كبيراً في توجيه سلوكه، وتحديد العلاقة بينه وبين مجتمعه، وبالنتيجة فهي تؤثر على نوعية حياته، وإنّ مدى هذا التأثير يحدده عمق تبني الشخص لهذه القيم، فمدى عمق هذا التبني قد يكون تأثيره سلبي أو إيجابي على نمط حياته، وهذا يعود إلى نوع القيمة التي يتبناها الشخص، والمفهوم المرتبط بها عنده، فهل هي قيم يغلب عليها الطابع المادي أو الطابع الروحي مثلاً، وقد أصبحت القيم ذات الطابع المادي هي الغالبة على قيم الأفراد[٢].

ولعل ذلك يشكل أحد الأسباب الرئيسة من أسباب اشكالية البحث ، مما تتطلب بحث معالجاتها في ضوء عهد الإمام علي «عليه السلام» لمالك الاشتر «رضوان الله عليه» ، وهو اختيار تحددت فيه أكثر من سمة ، منها : الذات الشخصية للإمام «عليه السلام» ، والبعد الاستراتيجي للمعرفة بشكل عام في نصّ عهده المبارك ، وشخصية مالك الاشتر «رض» التي تنماز بالنمط المطيع ،

وكذلك منها طبيعة الفرد وتأثره بالتطورات الثقافية المتسارعة المغرية التي تسير سلوكه ضمن إدارة غير صحيحة في تشكيل ذاته وتنظيمها ، وتجعله مرتبكاً في إدارتها...إذ إنّ الطريقة المناسبة في إحداث تغيير في السلوك الإنساني هي أنْ يحدث التغيير في مفهوم الذات[٣] ؛ لأنّ هذا المفهوم هو فكرة الفرد وعلاقته ببيئته ، وإنّ الكيفية التي يدرك الفرد بها ذاته تؤثر في الطريقة التي يسلك بها ، كما أنّ سلوكه يؤثر في الكيفية التي يدرك فيها ذاته[٤] .

وبما أنّ الذات هي جزء من تشكل شخصية الفرد وبعد من أبعادها المهمة فإنّها العامل الأساسي المتفرد في التأثير على السلوك[٥] .

فالذات هي الاتجاهات والأحكام والقيم التي يحملها الفرد بالنسبة لسلوكه وقدراته وقيمته بوصفه إنساناً[٦]...وهاهنا مصداق يتجسد في نمط ذات شخصية الإمام علي «عليه السلام» وهو نمط الشخصية العبقرية ؛ «أنّه فتق أكثر من ثلاثين علماً، لم يعرفها المسلمون من قبل...»[٧] .

وثابت هذا في قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) «أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»[٨] ، ومفصح عنه بقوله «عليه السلام» «علمني رسول الله ألفَ بابٍ من العلم ينفتح لي منها ألفُ باب...»[٩] .ومن بين العلوم التي انفرد بها الإمام (عليه السلام) وضعه لأنظمة الحكم والإدارة في عهده الدولي للزعيم مالك الأشتر (رضوان الله عليه)، فقد وضع فيه أدق أنظمة الحكم وأعمّها إصلاحاً لحياة الإنسان السياسية (والعامة)، في مجتمع لم يقفه أي بند من أنظمة الحكم والإدارة، وقد شرّع الإمام (عليه السلام) أروع صور الحضارة، وأبهى ألوان التطور والتقدم الفكري.[١٠]

وقد تجسد هذا الإصلاح الاجتماعي في نصّ عهده (عليه السلام) بالقيم

التي ضمنها فيه -النص- وبالتحديد القيم السياسية؛ إذ يعبر عنها باهتمام الفرد بالنشاط السياسي، وتعني تحقيق أهداف الفرد السيطرة والحكم والقوة كما يتميز الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيم بالقيادة في نواحي الحياة المختلفة، ويتصفون بقدرتهم على توجيه غيرهم ويكون عادة من المشتغلين بالسياسة[١١].

إذ تتشكل في بنية النص المبارك دائرة من القيم التي بضمنها القيم السياسية وما تنتجه هذه القيم من دلالات ووظائف مختلفة ومتنوعة في ذهن الفرد يشكل بدوره سلوك ذاته، وينظم في ضوئها حياته الشخصية، متخذاً من تكاملها نسقاً قيمياً لضبط مركزه المحيطي والذاتي.

وهو -النسق القيمي- الذي عدّ (نظاماً في) إطار مرجعي للسلوك بين أولويات القيم، ينظم سلوك الفرد، ويأتي على قمة الإطار المرجعي العام لسلوك الفرد[١٢].

المبحث الثاني

عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر (عليه السلام) أمثلة تطبيقية

يوثق الخطاب التوجيهي للإمام علي (عليه السلام) , في نصه المبارك الأطر المنهجية للنصوص القرآنية، ويرسمها على شكل نسق قيمي تكاملي يوضح عن طريقه صورة الذات الإلهية وانطباعها في ذهن الفرد، ليتمثل قيم هذه الصورة بأبعادها وصفاتها، واسمائها الخالصة، لتصبح سلوكاً، وفكراً، وكينونة، وهدفاً، ومنهجاً، يحدد مسالك طرق حياته العامة والخاصة، وبالنتيجة تتشكل عند تمثلها الذات السلوكية للمجتمع، إذ إنّ ذات الخطاب يعُظِّم هذه القيم بنسق ترابطي يبين أهميتها وفاعليتها الاجتماعية، فقد افتتح عهده (عليه السلام)، بالأمر والتذكير بتقوى الله تعالى واتباع أوامره، والالتزام بنواهيه، وهذا واضح في قوله (عليه السلام): «**أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهَا، وَلاَ يَشْقَى إِلاَّ مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ؛ فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلاَّ مَا رَحِمَ اللهُ. ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاَةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ؛ وإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ. فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ فَامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لاَ يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ.**»(١٣).

حينما نتقب في متن هذ المقطوعة من نص عهد الإمام (عليه السلام)، نلحظ أنّ

مفهوم (التقوى) أخذ الموقع الأصل في متن الحديث؛ وهو يشكل القيمة الأساس التي تستند (عليها) وترتبط (بها) وتتكامل (معها) القيم الأخرى مشكلة نسقاً قيمياً في بنية نص العهد المبارك، قدمها بصيغة الأمر (لمالك الأشتر-رض-)، فقد أمره بأوامر خمسة أولها إصلاح نفسه، العامل الأهم في تقوى الله تعالى- أحد هذه الأوامر- فهو القائل (عليه السلام) «**فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ- وَفَازَ عَمَلُه**»[١٤]؛ أي من اتّقى تقوى حقيقة برزت تؤدته؛ أي ظهرت عليه آثار الرحمة الإلهيّة في السكينة والوقار والحلم والأناة عن التسرّع إلى مطالب الدنيا، وعلمت راحته في الآخرة، وفاز عمله فيها بالجزاء الأوفى. ثمّ أمرهم بإحكام التقوى؛ أي أنْ تتّقوا اللهّ تقوى حقيقيّة فإنّها الّتي يستحقّ بها الثواب الدائم، وأنْ يعملوا للجنّة عملها الّتي تستحقّ به[١٥].

فهذا هو سياق القرآن الكريم الذي أوصى عباده بالتقوى فقال تعالى ﴿**وَللهِّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَّ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ للهِّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللهُّ غَنِيًّا حَمِيدًا**﴾[١٦]؛ والمعنى «جُعل الأمر بالتقوى وصيةً؛ لأنّ الوصية قول فيه أمرٌ بشيء نافع جامع لخير كثير ، فلذلك كان الشأن في الوصية إيجاز القول؛ لأنّها يقصد منها وعي السامع، واستحضاره كلمة الوصية في سائر أحواله، والتقوى تجمع الخيرات؛ لأنّها امتثال الأوامر واجتناب المناهي...والتقوى المأمور بها هنا منظور فيها إلى أساسها وهو الإيمان بالله ورسله...وبيَّن بها عدم حاجته تعالى إلى تقوى الناس ، ولكنّها لصلاح أنفسهم...»[١٧].

فالتقوى قيمة ضابطة لقيمة العمل، كما أنّها قيمة موجبة تقع على رأس منظومة القيم، على اعتبار أنّ سيادة التقوى في أعمال المسلمين يؤدي إلى صلاح

أحـوال المجتمـع...[١٨]

والثـاني: اتّبـاع أوامـره في كتابـه مـن فرائضـه و سـننه، ورغّـب في ذلـك بقولـه: لا يسـعد... إلى قولـه: إضاعتهـا. وتكـرّر بيـان ذلـك[١٩].

فالطاعـة هـي القيمـة المشـار إليهـا باتبـاع الأوامـر؛ إذ إنّ عبـادة الله تعـالى تتكامـل بهـا، في اتبـاع لأوامـره، واجتنـاب لنواهيـه، عمـلاً خالصـاً نابعـاً مـن الـذات، كـما أنهـا حـق مـن حقـوق الله تعـالى عـلى البـشر، فمـن يطـع الله تعـالى ورسـوله يغـدق عليـه بنعمـه ففـي قولـه تعـالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُّ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾[٢٠]؛ بمعنـى إنّ الطاعـة لازمـة مـن لـوازم «صـلاح النفـس والـذات»[٢١]، ومقـام المطيعـين عنـد الله تعـالى مقـام النبـين والصديقـين والشـهداء والصالحـين، فهـم «...منزلـون منزلتهـم عنـد الله أي بحكـم منـه لهـم أجرهـم ونورهـم»[٢٢].

وقـد سـاق الإمـام عـلي (عليـه السـلام) في موقـع آخـر مـن خطبـه جاعـلاً مـن الطاعـة بأنّهـا حـق مـن حقـوق الله تعـالى، بقولـه: «...**وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ- وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ- تَفَضُّلًا مِنْهُ وَ تَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ... فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ- وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ..**»[٢٣]

«...بـيّن فيهـا أنّ حقـوق الخلـق بعضهـم عـلى بعـض مـن حـقّ اللهّ تعـالى مـن حيـث إنّ حقّـه عـلى عبـاده هـو الطاعـة، و أداء تلـك الحقـوق طاعـات للهّ كحـقّ الوالـد عـلى ولـده وبالعكـس، وحـقّ الـزوج عـلى الزوجـة، وحـقّ الـوالي عـلى الرعيّـة وبالعكـس... (ف)صـلاح حـال الـولاة منـوط بصـلاح الرعيّـة واسـتقامتهم في طاعتهـم، وفسـاد أحوالهـم بعصيانهـم ومخالفتهـم. فـإذا أدّى كلّ مـن الـوالي والرعيّـة الحـقّ إلى صاحبـه عـزّ

الحقّ بينهم ولم يكن له مخالف[٢٤].

والثالث: أنْ ينصر اللهّ سبحانه بيده وقلبه ولسانه في جهاد العدوّ. وإنكار المنكرات. رغّب في ذلك بقوله: قد تكفّل. إلى قوله: أعزّه[٢٥]. كقوله تعالى «إِنْ تَنْصُرُوا اللهَّ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ».

فقد قرن الإمام (عليه السلام) قيمة النصر بقيمة الجهاد، ووظيفة الخاصة وهي (مجاهدة العدو – الخروج عن دين الله وطاعته)، وقد استشهد بقوله تعالى: ﴿**يَأَيهَا الّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصرُوا اللهّ يَنصرْكُمْ وَ يُثَبِّت أَقْدَامَكمْ**﴾[٢٦]؛ وهو «تحضيض لهم على الجهاد ووعد لهم بالنصر إنْ نصروا الله تعالى فالمراد بنصرهم لله أنْ يجاهدوا في سبيل الله على أنْ يقاتلوا لوجه الله تأييداً لدينه وإعلاء لكلمة الحق لا ليستعلوا في الأرض أو ليصيبوا غنيمة أو ليظهروا نجده وشجاعة[٢٧]».

ووظيفته العامة وهي (مجاهدة النفس)؛ بدليل قوله (عليه السلام) (يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ...فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ).

وقد ذكر الجهاد بتعدد وظائفه في موقع مهم في خطبه (عليه السلام) وأسنده إلى التقوى، وجعله باباً من أبواب الجنة، إذ قال: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ- فَتَحَهُ اللهُّ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى- وَدِرْعُ اللهَّ الْحَصِينَةُ وَ جُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ**»[٢٨]

«وبيانه أنّ الجهاد تارة يراد به جهاد العدوّ الظاهر كما هو الظاهر هاهنا، وتارة يعنى به جهاد العدوّ الخفي وهو النفس الأمارة بالسوء.

وكلاهما بابان من أبواب الجنّة، والثاني منهما مراد بواسطة الأوّل إذ هو لازمة له؛ وذلك أنّك علمت أنّ لقاء اللهّ سبحانه ومشاهدة حضرة الربوبيّة هي ثمرة

الخلقة وغاية سعى عباد اللهّ الأبرار، ثمّ. قد ثبت بالضرورة من دين محمّد صلى اللهّ عليه وآله وسلّم أنّ الجهاد أحد العبادات الخمس، وثبت أيضا في علم السلوك إلى اللهّ أنّ العبادات الشرعيّة هي المتمّة والمعينة على تطويع النفس الأمّارة بالسوء للنفس المطمئنّة، وأنّ التطويع كيف يكون وسيلة إلى الجنّة الّتي وعد المتّقون»(٢٩).

وفي مجاهدة النفس فقد انطلق الإمام (عليه السلام) من المصدر الأصل وهو القرآن الكريم، لتبيان والوظيفة الذاتية في قيمة الجهاد مستشهداً بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِى إِنّ النّفْس لأَمّارَةُ بِالسوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبى إِنّ رَبى غَفُورٌ رّحِيمٌ**﴾(٣٠)؛ «أي إنّ النفس بطبعها تدعو إلى مشتهياتها من السيئات على كثرتها ووفورها فمن الجهل أنْ تبرأ من الميل إلى السوء، وإنّما تكف عن أمرها بالسوء ودعوتها إلى الشر برحمة من الله سبحانه تصرفها عن السوء وتوفقها لصالح العمل»(٣١).

وتتكامل الوظيفة الجهادية ضمن النسق القيمي في الأمر الرابع، أنْ يكسر من نفسه عند الشهوات. وهو أمر بفضيلة العفّة(٣٢).

فالعفة؛ قيمة تطلق على معنيين عام وخاص، فالعام هو ضبط النفس في مقابل الرغبات والميول النفسانية والإفراط في اتباعها، وأمّا الخاص هو ضبط النفس في مقابل متطلبات الغريزة الجنسية والتحلل الأخلاقي(٣٣).

وفي حديث للإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) «ما من شيءٍ أحب إلى الله بعد معرفته من عفة بطن وفرج، وما من شيء أحب إلى الله من أن يُسأل(٣٤).

بمعنى إنّ العفة مانعة من وجود السبب المزاحم، والسبب المزاحم أشدُّ تأثيراً من السبب المعد دائماً، وفي الأمور المعنوية كذلك، فإنَّ الإنسان الذي يأتي بالعبادات كثيراً ولكنه في نفس الوقت يُدخل على قلبِهِ وروحِهِ الذنب والمعصية فهنا لن يكون لعباداته أية أثرا، بخلاف ما إذا لم يدنس القلب شيءٌ من الذنوب؛

فإنَّ فطرته الإلهية سوف تهديه إلى الرشد والكمال[٣٥]. فالعفة هي السمو والترفع عن ملذات الدنيا وترك شهواتها، وهذا هو دفها الأصل.

والأمر الخامس: أنْ يكفّها ويقاومها عند الجمحات. وهو أمر بفضيلة الصبر عن اتّباع الهوى وهو فضيلة تحت العفّة، وحذّر من النفس...[٣٦] (بدليل الآية المباركة).

قال الله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾[٣٧]. فالصبر قيمة تعبر عن؛ قسر النفس على مقتضيات الشرع والعقل أوامر ونواهي، وهو دليل رجاحة العقل، وسعة الأفق، وسمو الخلق، وعظمة البطولة والجَلَد، كما هو معراج طاعة اللهّ تعالى ورضوانه، وسبب الظفر والنجاح، والدرع الواقي من شماتة الأعداء والحسّاد[٣٨].

والصبر ضربان : إما أن يكون بدنياً ، وإما نفسياً ، فأما البدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها ، وكتعاطي الأعمال الشاقة ، وأما النفسي فيكون عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ، ثم إن هذا الضرب إن كان صبراً على شهوة البطن والفرج سمي عفة ، وإن كان على احتمال مكروه ، اختلفت تسمياته عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر ، فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر، وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع ، وهو إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرهما .

وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس ، وتضاده حالة تسمى البطر، وإن كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن ، وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلماً ويضاده التذمر... وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً ويضاده الحرص ، وإن كان صبراً عن قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده

الـشر[٣٩].

وقـد ذكـر الإمـام (عليـه السـلام) الصـبر بقولـه : « **رَحِـمَ اللهُ عَبْـداً سَـمِعَ حُكْـماً فَوَعَـى،... جَعَـلَ الصَّـبْرَ مَطِيَّـةَ نَجَاتِـهِ، والتَّقْـوَى عُـدَّةَ وَفَاتِـهِ...**»[٤٠].

ف(الصـبر) قيمـة خلقيـة ومظهـر مـن مظاهـر الشـخصية الإنسـانية المؤمنـة، تُعـرف بـه حقيقـة الإيـمان وحسـن اليقـين بـالله، والصـبر والتقـوى في الإسـلام صنـوان لا يفترقـان ، أحدهمـا منـوط بالآخـر لا يتـم كلٌّ واحـد منهـما إلا بصاحبـه ، فمـن كانـت التقـوى مقامـه كان الصـبر حالـه ، ومـن هنـا يكـون الصـبر أفضـل الأحـوال مـن حيـث كانـت التقـوى أعلى المقامـات ، إذ الأتقـى هـو الأكـرم عنـد الله تعـالى، والأكـرم عـلى الله تعـالى هـو الأفضـل، وإنْ كان كل شيء بـه وكل عمـل صالـح لـه ولا يصـف الله تعـالى عبـداً ولا يثنـي عليـه حتـى يبتليـه، فـإن صـبر وخـرج مـن البـلاء سـليماً مدحـه ووصفـه وإلّا بـين لـه كذبـه ودعـواه[٤١].

فقـد تجسـدت وصيـة الإمـام عـلي (عليـه السـلام) في عهـده المبـارك لمالـك الأشـتر (رضـوان الله عليـه) بدعوتـه إلى الشـجاعة والجـرأة والعمـل بـما خـير وتحمـل الـداء وعـدم الاسـتنامة إليـه، والصـبر بمراتبـه، وإخفـاء الزهـد، أي الزهـد في سـبيل التظاهـر والزهـد في القلـب مـع مواصلـة العمـل والجهـاد، ونهيـه عـن الإعجـاب بالنفـس وحـب الثنـاء، ولا تعـرض نفسـك للهـلاك إلّا أنْ تقـضي غايـة سـامية وضرورة لازمـة، فأنـه أدخـل في نطـاق المعاملـة النفسـية، كل هـذه العهـود يتناولهـا الإنسـان بينـه وبـين نفسـه، وبين نفسه وبين الآخر[٤٢].

فقـد تجسـدت تكامليـة القيـم بشـكلها النسـقي والترابطـي بحسـب أهميتهـا في هـذه المقطوعـة مـن نـص العهـد المبـارك للإمـام عـلي (عليـه السـلام) بصـورة خطـاب رسـم عـن طريقـه لوحـة الإدارة والحاكميـة (لمالـك الأشـتر-رضوان الله عليـه-) وتطبيقهـا

بمعية رعيته فيما إذا حصل الاستعداد الذاتي من الرعية، وإظهار هذه القيمة لهم في سلوك حكمه تمثلاً ذاتياً لمنهج القرآن، ولا مصطنعاً بحسب الرغبة واللذة والشهوة...وجعل هذه القيم مركزاً مهماً للتنشئة الاجتماعية حصيلتها أنْ يتمثلها الفرد لتصبح منهجه في تشكيل ذاته السلوكية في المجتمع .

لأنّ القيم تعد من أهم موجهات السلوك الإنساني وهي ضوابط اجتماعية تضبط السلوك المرغوب والسلوك غير المرغوب(٤٣)، إذ إنّ الوعي بقيمة الأشياء هو بمثابة رد فعل إنساني أو حركة تبادلية بين عالم الأشياء ووجودها الواقعي من جهة ، وبين عالم الذات وظروفها الاجتماعية من جهة أخرى(٤٤). وهذا ما خاطب به الإمام (عليه السلام) العام من الناس بالخاص منهم متمثلاً بشخص مالك الأشتر (رضوان الله عليه) بتقبل القيم وتمثلها والعمل بمضمونها في الحياة العامة والخاصة.

الخاتمة

(أهم النتائج والاستنتاجات)

١. جسد الإمام علي (عليه السلام) منظومة القيم الإلهية بنسق منتظم مترابط الوظيفة والأهمية، في منهج سياسته وإدارته في توعية المجتمع وإصلاحه، عن طريق ما تضمنه عهده إلى مالك الأشتر (رضوان الله عليه).

٢. اتسمت القيم المتضمنة في وثيقة العهد المبارك بشمولية النسق من جهة زمكانيتها، وأهدافها، ووظائفها، وتحفيز الدافع نحوها؛ لما يحمله النص من بلاغة عالية وأسلوب يحاكي الوجدان، وينشط الذاكرة الإدراكية للفرد بإعادة بناء شخصيته وتشكلها ذاتياً.

٣. تتضح أهمية النسق القيمي في نص العهد المبارك للفرد في استعداده على تهيئة التقنية المناسبة في تقبل القيمة وتمثلها، وجعلها أداة مساعدة في إدارة حياته العامة والخاصة.

٤. (التقوى، والطاعة، والجهاد، والعفة، والصبر، صفات عليا وهي من صفات الله الحسنى ، وقد جعلها من عزم الأمور ، وأضاف إليها في القرآن أكثر الدرجات وأكبرها، وأعلى المراتب وأسماها، وجعلها صفات منتجة دائماً .

٥. تعد شخصية الإمام علي (عليه السلام) هي المصدر الحقيقي الصادق لقيم القرآن؛ وهذا ما تضمنه نص عهده المبارك، من منهج فكري، وعلمي، ودستوري، وعلمي، وتربوي، يتمثله (العام/ الخاص)، (المسلم/ غير المسلم) في كل مكان وزمان.

هوامش البحث:

١. ينظر: الزيود، ماجد، الشباب والقيم في عالم متغير، ط ١، الأردن، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٦. ص٤٦.
٢. عبود ، ضحى ،وبشرى نبيل خليل، النسق القيمي وعلاقته بالقلق لدى عينة من طلبة جامعة دمشق، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية (المجلد٦٣) (العدد٣) ، ٢٠١٤.ص١٣٥-١٣٦.
٣. حامد زهران ، ١٩٩٠ ، ص٢٩١ .
٤. صالح ابو جادو ، ١٩٩٨ ، ص١٥١
٥. نعيمة الشماع ، ١٩٧٧ ، ص١٨٥ .
٦. من رسالة مفهوم الذات ص٧
٧. العقاد ، عبقرية الامام علي ع
٨. مناقب علي بن أبي طالب ، أبن المغازلي الشافعي: ١٠١،
٩. الاختصاص ، الشيخ المفيد: ٢٨٣
١٠. – القريشي، باقر شريف، شرح العهد الدولي للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشتر، تحقيق: مهدي باقر القريشي، ط١، ستارة للطباعة، النجف الأشرف، د.ت.
١١. زهران ص١٢٥.
١٢. Kitwood ١٩٧٦، p. ٢٢٧
١٣. شرح نهج البلاغة، ج٥،ص١٣٥ .
١٤. نفسه،ج٣،ص١٥١.
١٥. شرح نهج البلاغة. مصدر سابق.ج٣،ص١٥٣.
١٦. النساء/ ١٣١.
١٧. تفسير ابن عاشور، ص٩٩.
١٨. في فلسفة التربية، نظريا وتطبيقيا، أحمد علي محمد، المنهل، ٢٠١٤. ص١٣٠.
١٩. شرح نهج البلاغة. مصدر سابق.ج٥،ص١٣٥.
٢٠. النساء/ ٦٩.
٢١. تفسير الميزان، الطباطبائي، ج١،ص١٧٦.

٢٢. تفسير الميزان. مصدر سابق. ج١٩،ص٨٨.
٢٣. شرح نهج البلاغة (ابن ميثم)، ج٤، ص ٣٩
٢٤. نفسه، ج٤، ص٤٣-٤٤
٢٥. نفسه، ج ٥ ، ص١٣٦.
٢٦. محمد/ ٧.
٢٧. تفسير الميزان. مصدر سابق. ج١٨،ص١٢٠.
٢٨. شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ، ج ٢ ، ص ٣٠.
٢٩. نفسه، ج٢،ص٣٣.
٣٠. يوسف/ ٣٥.
٣١. تفسير الميزان. مصدر سابق. ج١١،ص١٠٦.
٣٢. شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ، ج ٥ ، ص ٣٦.
٣٣. الأخلاق في القرآن ج٢ : ٢٥٩.
٣٤. تحف العقول : ٢٨٢.
٣٥. العفة القرآنية.. سورة يوسف مثالاً، جعفر علي المالكي، مجلة رسالة القلم – العدد ٢٧ – ٧ رجب ١٤٣٢هـ(https: / /www.olamaa.cc/).
٣٦. شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ، ج ٥ ، ص ٣٦.
٣٧. الكهف : ٢٨.
٣٨. ينظر: مفردات غريب القرآن: ٢٧٣.
٣٩. الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، إحياء علوم الدين ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٤ . ج٤، ص ١٠٤.
٤٠. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج٦، ص١٧٣.
٤١. قوت القلوب في معاملة المحبوب: أبو طالب المكي: ١/ ٣٣١.
٤٢. الاغراض الاجتماعية في نهج البلاغة، محسن الأمين، ط٢، مؤسسة البلاغ، ١٩٨٧.
٤٣. سيف الإسلام على مطر،التغير الاجتماعى ، ط٢ (المنصورة دار الوفاء للطباعة ، ١٩٨٨) ص ٧٩
٤٤. قبارى محمد إسماعيل ، قضايا علم الأخلاق ، مرجع سابق ، ص ٧٧

المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم**

١. ابن عاشور، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ٢٠٠٨.

٢. أبو جادو، صالح محمد، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، ط١، دار المسيرة، عمان، ١٨٨٩.

٣. الأمين، محسن، الاغراض الاجتماعية في نهج البلاغة، ط٢، مؤسسة البلاغ، ١٩٨٧.

٤. البحراني ، العلامة كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم، شرح نهج البلاغة،ط١، منشورات دار الثقلين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩ .

٥. تفسير الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، صححه وأشرف على طباعته : الشيخ حسين الاعلمي ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، طبعة١ محققة ، ١٩٩٧ .

٦. الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، انتشارات الإسلامية، ١٣٨٤ ه.ق.

٧. الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (ت: ٥٠٢هـ) ،المفردات في غريب القرآن: تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق ، ط١٤١٢،١ه.

٨. زهران، حامد عبدالسلام، علم نفس النمو، «الطفولة والمراهقة»، ط٥، علم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠.

٩. الزيود، ماجد، الشباب والقيم في عالم متغير، ط ١، الأردن، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٦.

١٠. سيف الإسلام، على مطر، التغير الاجتماعى ، ط٢ ، دار الوفاء للطباعة، المنصورة ، ١٩٨٨.

١١. الشماع، نعيمة، الشخصية النظرية والتقييم مناهج البحث، المنظمة العربية للتربية

والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧.

١٢. الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم (دام ظلّه العالي) بالتعاون مع مجموعة من الفضلاء، الأخلاق في القرآن، مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.د.ت.

١٣. عبد الله، نبوية لطفي، مفهوم الذات لدى الاطفال المحرومين من الام دراسة مقارنة، جامعة عين شمس، مصر، ٢٠٠٠.

١٤. عبود ، ضحى ،وبشرى نبيل خليل، النسق القيمي وعلاقته بالقلق لدى عينة من طلبة جامعة دمشق، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية (المجلد٦٣) (العدد٣) ، ٢٠١٤.

١٥. العقاد، عباس محمود، عبقرية الامام علي ع المكتبة العصرية للطباعة والنشر، مصر، ١٩٤٩

١٦. الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، إحياء علوم الدين ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

١٧. القريشي، باقر شريف، شرح العهد الدولي للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشتر، تحقيق: مهدي باقر القريشي، ط١، ستارة للطباعة، النجف الأشرف، د.ت.

١٨. المالكي، جعفر علي، العفة القرآنية.. سورة يوسف مثالاً، مجلة رسالة القلم – العدد ٢٧ – ٧ رجب ١٤٣٢هـ (https: / /www.olamaa.cc/).

١٩. محمد، أحمد علي ، في فلسفة التربية، نظريا وتطبيقيا، المنهل، ٢٠١٤.

٢٠. المعتزلي ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ط٢ ، تحقيق: محمد ابراهيم ، دار الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ، ٢٠٠٧ .

٢١. المغازلي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، علي بن محمد بن محمد بن الطيب، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه،المحقق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، ط١، دار الآثار ، صنعاء، ٢٠٠٣.

٢٢. المفيد، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي، ،ط١، نشر وتحقيق: مؤسسة ال البيت لإحياء التراث، د.ت.

٢٣. المكي ، أبو طالب (ت٣٨٦ه)، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، ط١، دار العلوم، القاهرة، ٢٠٠١.

دور القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة
في بناء الإنسان
في ضوء سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)
وانعكاسها في خدمة المجتمع الاسلامي
وتوظيفها في المناهج الدراسية الجامعية مستقبلا

أ.د.صباح حسن عبد الزبيدي
جامعه بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الفصل الاول

مدخل عام

مشكلة البحث

من المعلوم ان الانسان كائن اجتماعي عظيم ومفضل عند الله سبحانه وتعالى. فقد اكرمه تبارك وتعالى بجمله من الخصائص المميزة ، وقد فاق بها على جميع الخلائق والكائنات . وبذلك اعتلى في سلم المراتب والدرجات الى القمه الرفيعة من التكريم والتفضيل . استنادا الى قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾سورة الاسراء / ٧٠ (**عبد العزيز: ١٩٨٤**)

وفي ضوء ما تقدم اهتم الاسلام بالإنسان والعناية به والحرص عليه . فقد احاط الاسلام بالإنسان بان جعله سيد الخلائق وبلا منازع حيث صانه منذ وجوده في بطن امه جنينا ، ومروا بفتره الطفولة والفتوه والشباب ثم انتهائنا بالشيخوخة . فقد اهتم الاسلام بالإنسان كون (الاب . الام . الزوج . الزوجة . الشباب . الفتاه . العامل ، الطبيب . المحامي . المعلم . القاضي . المجاهد في سبيل الله . يقدم خدمته للمجتمع الذي يعيش فيه .اي ان الذي يؤمن بالعقيدة الإسلامية دون تفريق وهي الايمان (بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر . والقدر ، وكذلك يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويصوم شهر رمضان وحج البيت ان استطاع اليه سبيلا . وكذلك يريد الانسان الوالد الذي يفرض على الابوين واجب العناية والرعاية والتكريم والتقدير والاحترام . فقد حدد مكانه الاب والام او الزوج والزوجة ، وكذلك بر الوالدين .

وكذلك اكد الاسلام على الانسان الجار الذي وجب عليه العناية بالجار .في تقديم المعونة له في اوقات الضيق والحاجه . والاهتمام بالإنسان اليتيم والضعيف والمسكنين الذي فقد ابه وامه ، وكذلك اكد على الانسان العالم الذي يمثل مركز الصدارة من حيث التقدير والعناية . وذلك بما يحمل من علم ثاقب ونظرة وتفكير وتعظيم اهل العلم وطالبيه . والأنسان العامل الذي يعمل بالعقيدة الإسلامية في الخير النافع ، فيعمل بمصلحه العامة وليس بمصلحته الخاصة وكذلك الانسان المجاهد الذي يجاهد بالعلم واللسان من خلال الكلمة الطيبة واصلاح المجتمع وفي تايد الواجبات المقدسة ضد العدو.

ومن هنا جاءت سيرة المير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) في بناء الانسان خلقا وعلما وروحا يما يقدمه من خدمات للمجتمع الاسلامي ، فالأمام (عليه السلام) يريد من الانسان قيم فاضله تتمثل بالإنسان العابد الذي يمتثل للطاعه والخضوع الى الله سبحانه وتعالى بمشاعره وعاطفته . وان يكون واعيا ترسخت به العقيدة الإسلامية وحب اخيه المسلم بغض النظر عن لغته التي ينطق بها او جنسه الذي ينتمي اليه او او قومه الذي يحيا بينهم .

وبذلك يريد الأنسان المؤمن الذي يكون بناءه وفق ايمانه الصادق . وان الله سبحانه وتعالى معه في ايمانه الصادق في كل مكان وزمان وعند ذلك تتحقق المضامين . الاستقرار النفسي ومهما تعرض هذا الانسان الى مشاكل او متاعب او وساوس اواوهام ويبدل ذلك حياته من الخوف والقلق الى حاله الامن والسلام . ويشعر الانسان بالتالي بالسعادة والهاء استنادا الى قوله تعالى (**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴿٢٨﴾سورة الرعد/ ٢٨ (**الحيالي .صبر واخرون:٢٠١٤)**

أهمية البحث:

١. بناء شخصيه قوية العقيدة ، قوي في الفكر الاسلامي ، متمسكة بتطبيق القيم الأخلاقية الفاضلة في مؤسساتنا المختلفة مقتديه بهذه القيم في عملها مستقبلا مستمدة من منابع القيم الإسلامية واهل البيت (عليهم السلام) جعل هذه القيم خطوط عريضة في بناء الامه الإسلامية التي تستنير بقادتها ورموزها الدينية فب بناء الفرد والمجتمع

٢. التأكيد على القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة التي جاء بها الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام (القناعة ، الكرم ، العفة ، الأمانة ، التأخي ، اليقين ، الكلم الطيب ، محاسبه النفس ، التوبة ،. طاعه الله وتقواه ، الثبات على المبدأ ، الشكر ... الخ

٣. لقد اكدت الأهداف التربوية في العراق على ضروه بناء شخصيه الانسان المتكاملة . وان بناء شخصيه الانسان تتأثر بالعناصر التأليه (الروح . والنفس . والعقل) سلبا او ايجابا . فأي خلل في هذه العناصر آو المكونات يؤدي الى ضعف في جوانب شخصيه الانسان وذلك تبعا للمرحلة العمرية ومستوى الادراك والاستيعاب والبيئة المحيطة به والاسس العقائدية والفكرية . كما اكدت عليها عدة دراسات وبحوث في مجال التربية وعلم النفس التي تحدثت عن جوانب بناء الشخصية وانماطها واشكالها وخصائصها وقوتها وضعفها ومن الخصائص هذه الشخصية ومنها :-

- **الشخصية المتوازنة** : فهي الشخصية الإيجابية المقبولة عند الله والرسول والناس ولابد للمسلم ان يتحلى بها ويلتزم بثوابتها

- **الشخصية المتفاعلة** :- فهي الشخصية التي تتفاعل مع الاحداث والمواقف بالإيجاب او السلب مما يصبها في بعض الاحيان (التهور والاستعجال) او تكون بعيده عن ذلك وتوصف هذه الشخصية بانها غامضه

- **الشخصية الإنتاجية** : فهي الشخصية التي تتحرك حسب قوانين وسنن الحياه وتستخدم كافه عوامل الخير في ذاتها لأجل الوصول الى أهداف إنتاجيه حسب الطلب والغاية

- **الشخصية المرنة** : فهي الشخصية التي تتصف بالمرونة والجذابة وتمتلك اساليب التعامل والتفاعل والتكييف ولها القدرة على التخطيط الواعي والناجح والتعامل مع كافه الظروف ولها القدرة على بالتغير الايجابي في مواجهه الصدمات والمفاجئات. (**الخاقاني :٢٠١١**)

١. استنباط القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة من منابعها الأساسية (القران الكريم والسيرة النبوية المطهرة والعترة الطاهرة ويقف في مقدمة ذلك سيدنا ومولنا الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام)

٢. ان القيم الأخلاقية الفاضلة تشكل ركينا اساسيا في بناء الشخصية السوية الإسلامية لأنها تتمثل في تنظيم المجتمع وهي مصدر سعادة الانسان واستقامته ، استنادا الى قوله تعالى ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾سورة القلم / ٤

٣. ان القيم الأخلاقية الفاضلة لها دور كبيرا في نظم الاسلام . استنادا الى قول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) (**انما بعثت لا تتم مكارم الاخلاق**) فهي ترض بكمال الدين والسعادة النفسية في عالم الدنيا والاخر

٤. تمكن المجتمع ومؤسساته الاخرى ان تغرس هذه القيم قولا وسلوكا وهي

(الصدق . الرحمة . العدل . الأمانة . المحبة . الايثار . الثقة بالنفس . الجد في العمل كلها تساهم في بناء الانسان المؤمن المجاهد المتعلم الذي يواجه مشكلاته بسلوك العادل القائم على الاستقامة والتفاعل والانسجام

أهداف البحث:

يهدف البحث الإجابة على الأسئلة الأتية:

١. التعرف على القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في بناء الانسان وخدمة المجتمع الاسلامي الموحد في الفلسفة الإسلامية

٢. التعرف على القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في بناء الانسان في ضوء سيرة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام)

٣. توظيف القيم الأخلاقية الفاضلة في ضوء سيرة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) في خدمة المجتمع الاسلامي

٤. توظيف القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في ضوء سيرة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) في المناهج الدراسية الجامعية مستقبلا

حدود البحث:

يقتصر حدود البحث على الأدبيات الآتية:

أ- الادبيات التي تناولت موضوع القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة والمنشورة في الأدبيات حتى عام ٢٠١٧

ب-الادبيات التي تناولت سيرة أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) في بناء الانسان والمجتمع الاسلامي الموحد المنشورة حتى عام ٢٠١٧

تحديد المصطلحات:

سيتم تحديد المصطلحات الآتية وهي:-

أولا :ـ الدور: ويعرف بعدة تعاريف منها:

أ- وهو توقعات لأنماط معينة من السلوك تشكلها الخصائص الرسمية والتي يحددها الفرد او الجماعة (قمر:٢٠٠٥)

ب- يعرفه مذكور ، هو وضع اجتماعي ترتبط به مجموعة من الخصائص الشخصية ومجموعة من ضروب النشاط التي يعزو اليها القائم بها والمجتمع معا

ج- مجموعة من الافعال المكتسبة التي يؤمن بها شخص في موقف تفاعلي اجتماعي (مذكور :١٩٧٥)

د- ويعرف اجرائيا (هو سلوك متوقع تقوم به السيرة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) في ضوء القيم الأخلاقية الفاضلة لبناء الانسان وخدمة المجتمع الاسلامي وتضمينها في المناهج الدراسية الجامعية

ثانيا :ـ القيم الأخلاقية الفاضلة:

١ - **القيم** :- وتعرف القيم بعدة تعاريف بجانبها النظري والعملي

أ- **القيم المادية** هي كالمعادن النفيسة .

ب- **القيم المعنوية** وهي الاستقامة وحسن السمعة.

ج- **القيم في نظر علماء الاجتماع**-هي حقائق تعبر عن التركيب الاجتماعي يعتمد الافراد والجماعات على تطبيقها بغية الوصول اهداف ما. **(النروه**

جـي: ١٩٩٠).

د- عرفهـا الخـوري :-هـي القواعـد والسـلوك التـي يسـتطيع النـاس مـن خلالهـا وبواسـطتها ان يسـتمد اماهـم ويجربـوا تصرفاتهـم (**خـوري:١٩٨٣**).

ه- هـو كل مفهـوم او موضـوع او هـدف مرغـوب فيـه وتسـعى المدرسـة الى ترسـيخه وجعلـه سـلوكا ممارسا مطلوبـة تحقيـق ، وهـذه القيـم، على انواهـا (وطنيـه ، قوميـه ، انسـانيه) (**وزارة التربيـة العراقيـة: ١٩٩٢**)

و- عرفهـا كنعـان :-هـي معيـار للحكـم عـلى كل مـا يؤمـن بـه مجتمـع مـا ويؤثـر في سـلوك أفـراده حيـث يمكـن خلالهـا الحكـم عـلى شـخصية الفـرد، مـن حيـث صـدق الانتـماء نحـو المجتمـع لـكل افـكاره ومعتقداتـه واهدافـه وطموحاتـه . وقـد تكـون هـذه القيـم ايجابيـه او سـلبيه (**كنعـان : ١٩٩٩**)

ز- ويعرفهـا الباحـث اجرائيـا :- مجموعـه المبـادئ والقواعـد والمثـل العليـا والسـلوك والمسـتمدة مـن القـران الكريـم والسـنه النبويـة المطهـرة والتـي اكـد عليهـا الامـام الحسـن المجتبـى (عليـه السـلام) التـي يسـتطيع النـاس مـن خلالهـا ان يسـتمدوا اماهـم ويزنـوا تصرفاتهـم وسـلوكهم في الحيـاه العامـة ولاسـيما التربويـة منهـا

٢-: **الاخلاق** :-.وتعرف بعدة تعاريف: بجانبها النظري والعملي :-

أ- عرفهـا مهـدي واخـرون :-هـي الفعـل السـلوكي الـذي يتضمـن العـادات والتقاليـد والآداب والمثـل المرعيـة في مجتمـع مـا. (**مهـدي واخـرون:٢٠٠٢**).

ب- عرفهـا عبدالعزيز:-هـي السـلوك الـذي يسـلكه الانسـان في الحيـاة (**عبـد العزيـز**: ١٩٨١)

ج- يعرفها الباحث اجرائيا :- هي الفعل السلوكي الذي يتضمن العادات والتقاليد والآداب والمثل المرعية في مجتمع ما . والذي يسلكه الانسان من خلال حياته العامة والتي تساير المعايير الاجتماعية في المجتمع الذي يعيش فيه الانسان والتي يمكن ان تظهر من خلال التنشئة الاجتماعية والتربية وتهذيب بالدين والقانون الطبيعي للحياة

٣- : **القيم الأخلاقية** :-وتعرف بعدة تعاريف: بجانبها النظري والعملي :-

أ. عرفها احمد (بانها مجموعه من العادات والتقاليد والمعاير والاهداف العليا التي يؤمن بها المجتمع وتعمل على تنظيم الحياه الاجتماعية وتوجيه السلوك الاخلاقي نحو وجهه الخير والفضيلة ودرء الاخطار والمشكلات التي تواجه المجتمع (**بركات : ١٩٨٢**)

ب.عرفها الطهطاوي:- بانها (مجموعه المبادئ والقواعد والمثل العليا التي يؤمن بها الناس ويتفقون عليها فيما بينهم ويتخذون منها ميزانا يزنون به اعمالهم ويحكمون تصرفاتهم المادية والمعنوية: (**الطهطاوي :١٩٩٦**)

ج- وعرفها الباحث : بانها مجموعه المبادي والقواعد والمثل العليا التي يؤمن بها المجتمع والمستمدة من القران الكريم واحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) والتي اكد عليها امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في بناء الانسان لخدمة المجتمع الاسلامي وتوظيفها في المناهج الدراسية الجامعية مستقبلا .

ثالثا :ـ امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام)

وهو الامام علي بن ابي طالب امير المؤمنين (عليه السلام) شخصيه عظيمه لا تنحصر على المسلمين فحسب بل هي شخصيه عالميه للناس كافه نستمد منها دروس وعبر في الحياه

ولد الامام في (١٣) من شهر رجب عام ٢٣ قبل الهجرة النبوية الشريفة ، وقد قدر له ان يولد في بيت الله الحرام واحتضنه ابن عمه الرسول الاعظم محمد (صلى الله عليه وآله) منذ صغره فقد غداه من علمه عندما بعثه الله سبحانه وتعالى ، فكانت حياته مشتركه مع حياة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) فكان الشخصية الوحيدة التي يليق هذه المكانة والمنزلة ، وقد عاشر حياه مجاهد في سبيل نشر الاسلام والحفاظ عليه حتى قتل مظلوما شهيدا المحراب على يد اشق الاشقياء عبد الرحمن ابن ملجم في (١٩) من شهر رمضان سنه (٤٠هـ) **(سوادي ٢٠١٠ :)**

من المعلوم ان الدين الاسلامي ، هو دين الاخلاق الكريمة ، والمثل العليا وفي هذا الصدد يقول الامام امير المؤمنين (عليه السلام) **((لو كنا لا نرجو جنة ولا نخشى نارا ولا ثوابا ولا عقابا لكان ينبغي لنا ان نطلب مكارم الاخلاق ، فأنها تدل على سبيل الناجح)**

رابعا :ـ البناء ـ (Structure) وتعرف نظريا

أ- هو الكل المؤلف من الظواهر المتضامنة بحيث تكون كل ظاهرة فيها تابعه للظواهر الاخرى ومتعلقة بها ، بعبارة اخرة وهو (تنظيم دائم نسبيا تسير اجزاؤه في طرق مرسومه ويتخذ نمطه بنوع النشاط الذي يتخذ ، فيقال (

البنـاء الطبقـي ، البنـاء الاجتماعـي) (**بـدوي: ١٩٧٧**)

ب- ويعـرف اجرائيـا :- هـو مجموعـه اجـراءات وخطـوات تتضمـن الاطـلاع عـلى الادبيـات السـابقة ثـم اسـتنباط مفاهيـم مفهـوم بنـاء الانسـان لخدمـة المجتمـع الاسـلامي الموحـد في ضـوء القيـم الأخلاقيـة الإسـلامية الفاضلـة في ضـوء سـيرة امـير المؤمنـين الامـام عـلي ابـن ابي طالـب (عليـه السـلام) وتوظيفهـا في المناهـج الدراسـية الجامعيـة مسـتقبلا

خامسا: بناء الشخصية :

وتعرف بعدة تعاريف بجانبها النظري والعملي :-

أ- عرفهـا البـورت (Allport) في كتابـه ١٩٣٧ بعـدة تعاريـف المختلفـة وهـي (هـي تنظيـم ديناميكـي يمكـن داخـل الفـرد مـن تنظيـم كل الاجهـزة ، النفسـية والجسـمية التـي تمـلىء عـلى الفـرد طابعـه الخـاص في التكييـف مـع بيئتـه .

ب- عرفتهـا وهـي مجموعه الاسـتعدادات والقـدرات (العقلية + الجسـمية + الوجدانية + المهاريـة + الاجتماعيـة) التـي تميـزه عـن بقيـه الاخرين (**هنـاء :١٩٨٥**)

ج- يعـرف الباحـث اجرائيـا :- وهـي مجموعـه مـن القـدرات والاسـتعدادات والميـول والاتجاهـات والمعلومـات والافـكار وقيـم أخلاقيـة التـي اكـد عليهـا امـير المؤمنـين الامـام عـلي ابـن ابي طالـب (عليـه السـلام) في بنـاء الشـخصية الإسـلامية لخدمـة المجتمـع الاسـلامي وتوظيفهـا في المناهـج الدراسـية الجامعيـة مسـتقبلا التربـوي

سادسا:ـ المجتمع :

بصـورة عامـه:- (بانـه مجموعـه مـن الافـراد يعشـون فـوق بقعـه معينـه مـن الارض

ويتسمون بالتعاون والتضامن ويربطهم تراث ثقافي معين ولديهم احساس بالانتماء والولاء لمجتمعهم ويكونوا مجموعه من مؤسسات تقدم لهم خدمات تحقيق اشباع حاجاتهم ولهم تنظيم من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مكونين حضارة انسانية (**ناصر : ١٩٨٣**)

سابعا:ـ المجتمع الاسلامي الموحد

ويمكن تعرفه اجرائيا :- الذي يحمل رساله انسانيه وعلميه هادفه تحارب الأميه والجهل والمرض والتخلف والفساد بكل اشكاله ، ويؤمن افراده بالتطورات والمستجدات الحديثة في بناء المجتمع الانساني ، كما يؤمن بالقيم الأخلاقية الفاضلة العدل ، المساواة ، الحرية ، التسامح ، والتعايش السلمي ، الحوار وقبول الاخر، قولا وفعلا ، وكذلك يؤمن افراده بالوحدة الوطنية للأرض والشعب واللغة والهوية والانتماء والولاء الحقيقي للامه في تمسك المجتمع .اي المجتمع الذي يطبق مبادى الاسلام والشريعة الإسلامية القائم على الايمان بالله الواحد وكتبه ورسله واليوم الاخر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيله الايمان بالقضاء والقدر ، والجنة حق والنار حق ، والبعث حق ، واداء الصلاة والصوم والحج والزكاة وحمايه الجار والفقراء والمساكين اي العامل بكتاب الله وسنه رسوله الكريم واهل بيته الاطهار وتسمو فيه كل القيم الأخلاقية الفاضلة ، بعيدا عن السرقة والقتل وشرب الخمير والميسر ، الفساد بكل اشكاله ، اي المجتمع

وفي ضوء ما تقدم ، ان المجتمع الاسلامي الموحد يستمد اصوله من (القران الكريم والسنة النبوية المطهرة واهل البيت (عليهم السلام) وهذا يطلب من المجتمع الاسلامي تطبيق مبادى الاسلام النظرية والعملية التي تبدا من الآسرة والمدرسة وبقيه المؤسسات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية وبذلك

تنعكس على سلوكيات افراده في التعامل مع الاخرين سواء في الاسواق ، الشارع ، الجامعة ، الإدارة ، اي كيف يحب البعض البعض ، وكيف يقدم مصلحته الوطن والعامة على مصلحته بعيدا عن التمييز والتفرقة العنصرية والفئوية والعشائرية والقومية والتعصب لكل اشكاله ، اي دون تمييز بين اللون والجنس والدين والقومية والمذهب

ثامنا:ـ المنهج الدراسي:

ويعرف بعدة تعاريف

- وهو وثيقه تربوية مكتوبه تصف اهداف التعلم التي ستعمل المدرسة على تحقيقيها لدى التلاميذ مع ما يناسبها من معارف والخبرات والأنشطة التربوية والتعليمية (**الزبيدي: ٢٠١٠**)
- ويعرفه الباحث اجرائيا :-وهو جميع الخبرات التي تخططها المدرسة سواء داخل المدرسة او خارجها بقصد تعديل سلوكهم لأبناء شخصيه متكاملة في جوانبها العقلية والجسمية والوجدانية والمهاريه والاجتماعية طبقا للفلسفة التربوية للبلد لتعزيز مفهوم القيم الأخلاقية الفاضلة في بناء الانسان والمجتمع في ضوء سيرة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام)

منهجية البحث:

اعتمد الباحث على المنهج البحث الوصفي التحليلي للأدبيات المرتبطة بالقيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في بناء الانسان لخدمة المجتمع في ضوء سيرة امير المؤمنين الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وتوظيفها في المناهج الدراسية الجامعية

الفصل الثاني

التعـرف على القيـم الأخلاقية الإسـلامية الفاضلـة في بناء الانسـان والمجتمع الاسلامي الموحد

إن التعرف على القيم الأخلاقية الإسلامية في بناء الإنسان والمجتمع الإسلامي الموحد يشمل

طبيعة القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة :ـ

من المعلوم ان مصدر القيم الأخلاقية الفاضلة مستمده نمت القران الكريم واحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) واهل البيت (عليهم السلام) لذا على كل مسلم مؤمن ان يتمسك بهذه القيم الأخلاقية الفاضلة ويجسدها في عمله وسلوكه اليومي استنادا الى قوله تعالى ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ سورة الحشر / ٧

وبذلك يعد القران الكريم المصدر الاساسي للإسلام في استنباط القيم الأخلاقية وهي التي وردت في القران الكريم والتي يطلب من المسلمين التطبيق الفعلي والسلوكي لما ورده ، ويمكن نقلها وتطبيقها في التربية ولاسيما المناهج التربوية الإسلامية لأجل الحفاظ على وحده الامه الإسلامية ووحدتها الفكرية والثقافية

اهميه القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة:

وعليه فان اهميه القيم الأخلاقية الإسلامية تكمن ب–

أ- انها تستهدف الى اقامه علاقات طيبيه بين (الانسان وربه) وبتأدية حق الله سبحانه وتعالى والالتزام بأوامره ونواهيه في اداء العبادات الواجبة

ب- انها تستهدف اقامه علاقات طيبه بين (الانسان والناس) لذا يجب ان يلتزم كل واحد بواجباته اتجاه الاخر . يهدف البحث الإجابة على الأسئلة الأتية :-

ج-التعرف على القيم الأخلاقية الفاضلة في بناء الانسان في ضوء سيرة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام)

د- توظيف القيم الأخلاقية الفاضلة في ضوء سيرة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) في خدمة المجتمع الاسلامي

هـ- توظيف القيم الأخلاقية الفاضلة في ضوء سير امير المؤمنين علي ابي اب طالب (عليه السلام) فبي بناء المناهج الدراسية الجامعية مستقبلا

و- انها تستهدف في اقامه علاقاه طيبيه [ين الانسان ونفسه) وما مطلوب ان ينهض به من عمل وواجب وضمير يشعره بالرضا عن ذاته ويبعده عن التوترات النفسية والعقد وحل محلها الايمان بالدين وممارسه الشعائر وبذلك يحقق الخير

خصائص القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة :-

من المعلوم ان القيم الأخلاقية الإسلامية في الدين الاسلامي هي حقائق مطلقه لأنها مستمده من القران الكريم وسيرة الرسول محمد (ص) واهل البيت (عليهم السلام) فهي تستهدف في بناء الانسان المسلم السوي وكذلك المجتمع الاسلامي معا

وان خصائص القيم الأخلاقية الإسلامية هي :-

- **انها مطلقه وثابته وليست نسبيه** : وهي بذلك لا تتغير ولا تتبدل فهي تدور في اطار حياه الفرد والمجتمع بالثبات

- **مصادرها الوحي الالهي** :- فهي مستمده من القران الكريم واحاديث الرسول محمد (ص) واهل البيت (عليهم السلام) . فهي لا تخضع للتجريب وتبي ان تختبر علميا للتأكد من صدقها . اي فهي صادقه لا تحتاج الى التصديق او تصويب

- **موضوعيه وليست ذاتيه** : اي لا تخضع للتأويل الفردي ولا لمزجه والاهواء. وهي لا تتأثر بالظروف والاحوال ، ولا تكون مطيه لتحقيق مارب ومنافع اخرى

- **لها سلم ثابت ومتوازن بين** (القيم الروحية التي يقف الايمان على راسها) وبين القيم المادية التي ينم تفسيرها بعده تفسيرات في التطبيق وتنسجم مع علاقه الفرد مع ربه وعلاقته مع نفسه وعلاقته مع الناس **(الاسدي ويحيى ٢٠١٢)**

القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة ودورها في بناء (الانسان والمجتمع):

لقد اهتم الاسلام بالجانب القيم والاخلاقي للإنسان والمجتمع معا . حيث ورد في القران الكريم (١٥٠٤) مفهوم اخلاقي وما يتصل بالأخلاق والقيم سواء بالجانب النظري او العملي ويمثل القيم الأخلاقية في القران الكريم (ربع القران الكريم) وبذلك اثنى الله سبحانه وتعلى على نبيه الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) بقوله ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ سورة القلم / ٤ وكذلك اكد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) على الاخلاق بقوله (صلى الله عليه وآله) (**إنما بعثت**

لأتتم مكارم الاخلاق)

وفي ضوء ما تقدم ان الاسلام نظر الى الاخلاق بجانبين عما (القول والفعل) استنادا الى قوله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً**﴾ سورة الكهف / ١٠٧

وبناء على ما تقدم ان نظرة الاسلام الى القيم الأخلاقية نظرة شموليه (للإنسان والمجتمع) وكذلك للكون وهي مستمده من القران واحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) واهل بيته الاطهار بنظرة تقديس والعمل والعبادة والترابط بين (الفرد والمجتمع والمعرفة) وهي مصدر التشريع القرآني ضمن الشريعة الإسلامية **(الزبيدي :٢٠١٨)**

لقد اكد الدين الاسلامي على مجموعه من القيم الأخلاقية الفاضلة والتي لها دور كبير في بناء (الانسان والمجتمع) انظر الى الجدول رقم (١) يمثل مجموعه من القيم الأخلاقية الإسلامية وهي

القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة

الاخلاص لله تعالى	القوة والايمان	الاستقامة	النصح والموعظة	الصفح والتجاوز عن السيئات
التواضع	العدل والمساواة	قضاء حوائج الناس	ترك الضن والسوء	التعاون والتكافل
الوفاء بالعهد	الاصلاح بين الناس	احترام الاديان والشعائر	الرحمة بين المؤمنين	الصبر
حسن الكلام	الأمانة	تحمل المسؤولية	المشاورة في الامور	الحياء

العطف على اليتامى والمساكين	الاعتزاز باللغة			

١. الاخلاص لله تعالى:- :-قال سبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ سورة الزمر / ٦٥))

٢. القوة والايمان :- قال الله سبحانه وتعالى: ﴿انَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ سورة القصص / ٢٦))

٣. الاستقامة :- قال الله سبحانه وتعالى ﴿انَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ سورة فصلت / ٣٠

٤. النصح والموعظة :-قال الله سبحانه وتعالى ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ سورة الاعراف

٥. الصفح والتجاوز عن السيئات :-) قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ سورة الشورى / ٤٠

٦. التواضع :-قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً* كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيٍّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾ سور الاسراء / ٣٧ -٣٨

٧. العدل والمساواة :- قال الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ

وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ سورة النحل / ٩٠

٨. قضاء حوائج الناس:- قال الله سبحانه وتعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فبما رحمه من ربك) سورة ال عمران / ١٥٩

٩. احترام الاخرين -: قال الله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ سورة الحجرات / ١١

١٠. ترك الضن والسوء:- قال الله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة الحجرات / ١٢

١١. التعاون والتكافل :- ((قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ سورة المائدة/ ٢

١٢. الوفاء بالعهد:-قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ سورة الاسراء / ٣٤

١٣. الاصلاح بين الناس :. قال الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ سورة الحجرات / ١٠

١٤. احترام الاديان والشعائر : - قال الله سبحانه وتعالى ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ سورة البقرة / ١٣٦

١٥. مصاحبه الاخيار :- قال الله سبحانه وتعالى ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة المجادلة / ٢٢

١٦. الرحمة بين المؤمنين:- قال الله سبحانه وتعالى . ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة المائدة / ٥٤

١٧. الصبر : :- قال الله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ سورة البقرة ١٥٣

١٨. حسن الكلام : :-قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾ سورة الاسراء / ٥٣

١٩. الأمانة :- قال الله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سورة الانفال / ٢٧

٢٠. تحمل المسؤولية :- قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة / ٦٣

٢١. المشاورة في الامور قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ال عمران / ١٥٩

٢٢. الحياء :- قال الله سبحانه وتعالى : ﴿فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ سورة القصص / ٢٥

٢٣. الايثار :- قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سوره الحشر / ٩

٢٤. العطف على اليتامى والفقراء :- قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً﴾ الانسان ٨-٩ وقوله تعالى ايضا ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر ٩ ،

٢٥. الاعتزاز بالعروبة والاسلام : - قال تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف / ٢ (الاسدي ويحى ٢٠١٢)

دور القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في البناء العقائدي أو الفكري للإنسان من خلال:

اولا:- دور القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في بناء الانسان

١. من المعلوم ان الفلسفة الإسلامية تنظر الى الإنسان بانه افضل ما في الكون الذي يشمل العناصر والموجودات والمخلوقات . وقد يجمله من الخصائص على بقيه المخلوقات. فقد خلقه الله سبحانه وتعالى وزوده بالاستعدادات والقدرات لكسب المعارف والمهارات لأجل القيام بالعمليات العقلية المتعددة ، وبذلك وضع الأسماء والمصطلحات لبكل ما موجود في الطبيعة وقد استخلف في الارض لأجل ان يعمرها ، وكذلك حمله المسؤولية المحافظة . استنادا الى قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ سورة الاسراء / ٧٠)

لذلك نقول ان الفلسفة الإسلامية نظرة الى الانسان نظرة متكاملة للأبعاد الثلاث (الجسم + العقل + الروح) اذا جعل فيمها الانسجام في تكوين الشخصية المتكاملة واي انحراف في ه١ ذه الجواني لني ينشا الضرر بعلى الفرد نفسه بل على المجتمع (**الزبيدي : ٢٠١٨**)

وبذللك تساهم في بناء الانسان العابد . المجاهد . العامل بكتاب الله سبحانه وتعالى ما يريده ومانيهاه الله تبارك وتعالى :-

٢. **الانسان العابد** :- من المعلوم ان هذا الكون والعالم شهد لله سبحانه وتعالى بالعبادة والوحدانية والربوبية . ويقرر القران هذا المبدأ في العبادة والتسبيح والصلاة . استنادا الى قوله تعالى ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾

سورة الذاريات/ ٥٦ . لذلك ان الانسان فطر على التوحيد وكون على الاتجاه الرباني استناد إلى الى قوله تعالى ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ سورة الروم / ٣٠

وكذلك روي عن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) ما معنى هذه الآية . فقال (عليه السلام) (فطرهم على التوحيد) اي (: كل مولود يولد على الفطرة) اي ((**يعني على المعرفة بان الله خلقه**)

وبذلك ان تتحدث المناهج الإسلامية عن ((تنشئه الانسان / الطفل)) على الفطرة وعلى معرفه الله من خلال النظر والتفكير والاستغراب لما يشاهد في الكون من علامات . السماء . التفكير . الاشجار . البحار . الحيوانات .... الخ وان التق رب الى الله سبحانه وتعالى من خلال (غرس القيم الأخلاقية الفاضلة التي اكد عليها القران الكريم واهل بيته الاطهار (عليهم السلام)

٣. **الإنسان العامل والواعي**:- من المعلوم ان الانسان هو كائن حي عاقل ومفكر يدرك الاشياء بوعي ويكتسب العلوم والمعارف من خلال ادراكه للعالم الذي يحيط به ويأمله في الكون والوجود . وفي ضوء ما تقدم يكتسب الانسان هذه المعلومات من خلال العلم والمعرفة باستخدام العقل واكتشاف القوانين العلمية والاسلام . فقد اكد الاسلام على طلب العلم واعتبره فريضه من الفرائض الإسلامية الواجبة. استنادا الى قول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) (**طلب العلم فريضه على كل مسلم**) (**الخاقاني :٢٠١١**)

وبذلك تكسب هذه المعلومات من خلال غرس قيم حب العلم والطلب

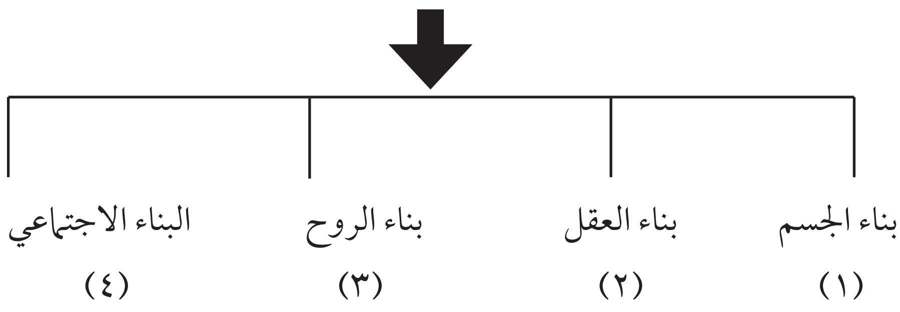
والعمـل بموجبهـا ....

وتأسيسـا عـلى مـا تقـدم اكـد الاهـداف التربويـة في العـراق عـلى بنـاء الشـخصية الانسـان وتطويرهـا بجوانبهـا الشـاملة (الجسـمية + العقليـة + الروحيـة + الاجتماعيـة) لينشـا مواطـن صالـح يؤمـن بـالله والمثـل الإنسـانية ويـدرك رسـالته الوطنيـة فضـلا اكسـابه ادوات المعرفـة الأساسـية الثقافيـة العربيـة الإسـلامية مؤكـد نحـو جوانـب الشـخصية وهـي:-

بناء الانسان بشكل متكامل في نظر الاسلام :

انظر الى المخطط رقم (٢) يمثل بناء شخصية الانسان المتكاملة .

بناء شخصية الانسان المتكامله في نظر الاسلام



1. **بنـاء الجسـم:** ومـن المعلـوم ان بنـاء الانسـاء في ضـوء نظـرة الاسـلام ينبنـى بشـكل وحـدة متكاملـة . فقـد دعـا الاسـلام الى اعطـاء الجسـم حقـه في الطعـام . الشـراب . العـلاج . اللبـاس . السـكن . الجنس . واعتبرهـا ضرورة للحيـاة . وبذلـك وجـب عـلى المناهـج الإسـلامية التركيـز عـلى غـرس مفاهيـم ٠ العنايـة بالجسـد والجسـم . وفي تنـاول الأطعمـة والأشربـة وممارسـه الرياضـة ونظافـة الجسـد . ونظافـة اللبـاس . والبيـت والمحلـة . والإفاضـة في الملابـس والزينـة اسـتنادا الى قولـه تعـالى

﴿قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ سورة الاعراف/ ٣٢

وبذلك اكد الاسلام على التوزان في السلوك واحترام الحقوق المادية للجسد والاهتمام بشؤون الحياه والعمل . وكذلك حرم الضرر بالجسم . استنادا الى قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ وفي تناول المحرمات وممارسات العادات السيئة للجسم خوفا من سقوط الجسم في الامراض ومنها (التدخين . وشرب المسكرات)

2. **بناء العقل** :- من المعلوم ان الاسلام ينظر الى بناء العقل وتنميته من خلال تنميه قدره التأمل والنظر والتفكير . فهو يدعوه الى النظر الى الطبيعة والكون والنفس وتأملها واستبطانها . فهو يؤكد لدور المناهج الإسلامية بتنمية قدرات التخيل والتصور بما ابدعه القران الكريم في مشاهده الصور الغيبية عن (الغيب والقيامة) وكذلك تقويه الذاكرة والتذكر من خلال حفظ القران الكريم واستيعاب معانيه ومفاهيمه استنادا الى قوله تعالى ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ* وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ سورة الذاريات ٢٠/ ٢١/ ٢٢)

3. **بناء الروح** : ومن المعلوم ان الاسلام ينظر الى الروح والقيم الروحية بمنظر التقديس فهي تساهم في بناء الانسان بشكل متكامل واستنادا الى قوله تعالى: ﴿يحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

سورة الحشر / ٩ وكذلك قوله تعالى ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً﴾ سورة الانسان / ٨/ ٩ ان هذه القيم الروحية هي الت تجعل الانسان يشعر بالراحة النفسية من خلال تقديم الخدمة للإنسان الاخر ، وبذلك فهي تساهم في بناء المجتمع الاسلامي وتماسكه

4. **البناء الاجتماعي** :- من المعلوم ان الاسم ينظر ان بناء الانسان اجتماعي وفق القيم الاجتماعية المرتبطة بإقامة العلاقات الاجتماعية السوية بين البشر وبذلك اكد الاسلام على المناهج الإسلامية على ترسيخ مفهوم (التعاون . الانسجام. التكامل في الأنظمة الإسلامية في اطار سياسي ، اجتماعي ، اقتصادي . اخلاقي مثل تعزيز القيم الأخلاقية الفاضلة (العدالة الاجتماعية . الحرية . المساواة . ومبادى شورى ... الخ

وبناء على ما تقدم ان بناء الانسان او النفس البشرية في ضوء الشريعة الإسلامية السوية كلها تساهم في تهذيب النفس الإنسانية من الرذائل والافعال القبيحة مما تساهم في بناء انسان مستقيما في عمله وفعله وبذلك تتكامل الحياه الدنيوية وعليه يصبح سلوك الانسان مساير لما يريده الله سبحانه وتعالى للنفس البشرية وهي (الاستقامة) وكذلك اهل البيت (عليهم السلام) في بناء النفس البشرية ومن هنا يأتي دور المناهج في ترسيخ القيم الأخلاقية الفاضلة في بناء الانسان مستقبلا **(الخاقاني :٢٠١١)**

ثانيا:- دور القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في بناء المجتمع الاسلامي الموحد:-

من الواضح ان الاسلام ينظر الى المجتمع بانه صاحب رسالة ودعوة الى الداخل

والخارج ، فهو مجتمع متميز له خصائص ومميزات تميزيه عن بقية المجتمعات الانسانية ، فهو مجتمع القدوة او المجتمع الوسط وقوله تعالى ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾ **سورة البقرة اية١٤٣)**

وفي ضوء ما تقدم ، ان المجتمع الاسلامي يتميز بعدة خصائص :-

أ- مجتمع يوحد الله وطاعة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) وقوله تعالى ﴿**ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ **سورة النساء اية / ٥٩**

ب- يقدس الدين والقيم الاخلاقية ، اي الايمان بالله وملائكته وكتبة ورسله واليوم الاخر والقضاء والقدر

ج- يحترم العلم ويقوم على طلب العلم ويعد طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، حيث ان العلم هو الطريق الموصل الى الله والى الهداية ليكون اهلا لخلافة الله في ارضه

د- يواكب التغيير والتطور والمستمرين في الحياة

هـ- يقدر العمل والمال ويجعل المال وظيفية اجتماعية، وان المال مال الله ، وان البشر يستخلفون فيه، لذا يجب مراعاة مصادر الكسب ومصادر الانفاق واخراج الزكاة وتأدية حقوق الفقراء والتكافل بين افراد المجتمع واستغلال كل مصادر الثروات في صالح الاسلام والمسلمين

و- نظام اجتماعي يقوم على العدل والمساواة بين الافراد بدون تفرقة اي بعيد

عـن الجنـس واللـون والمراكـز الاجتماعـي

ز- يحترم العلاقات الدولية التي اساسها احترام حقوق الانسان وعدم العدوان والتأكيد على التعاون في كل خير ، مع رفض الذلة في النفس او التفريط في الحقوق (**الزبيدي :- ٢٠١٨**)

وفي ضوء ما تقدم تساهم القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في نـاء المجتمع الاسلامي الموحد ومن المعلوم ان رساله الاسلام لبناء المجتمع الاسلامي . تكمن بالقضاء على الظلم والطغيان وعباده الاصنام والاوثان . والاخلاص في عباده الله وحده . والايمان برساله محمد (صلى الله عليه وآله) لانقاض البشرية . والصلاة بخشوع تقربا لله جل ثنائه . واعطاء الزكاة للفقراء والمحرومين والمحتاجين برغبه قلبيه ونفس راضيه وحجج بيت الله الحرام للقادر . واصلاح شؤون الناس والنهوض بالبلاد الإسلامية من خلال القضاء على الجهل والفقر والمرض والظلم الاجتماعي والقضاء على التنازع والصراع والخلافات الطائفية وجعل المصلحة العامة فوق المصلحة الشخصية .

وبناء على ما تقدم تلعب القيم الأخلاقية الفاضلة في بناء المجتمع الموحد من خلال ترسيخ القيم الأخلاقية الفاضلة و العمل بموجبها وهي (العدالة الاجتماعية . الحرية . الاخاء والمساواة . التعاون . الاتحاد . تحسين احوال الفقراء والعطف على الضعفاء من الرجال والنساء ومعالجه المرضى . وحسن ومعاملتهم. وكذلك بر الوالدين ، وصله الرحم . والعطف على اليتامى ، ومراعاه حقوق الجار. والاحسان الى المحرومين . والايثار والصدق في القول واداء الأمانة والاخلاص في القول والعمل والدفاع عن المظلوم والعفو والصفح والتسامح عند المقدرة والوقوف بجانب الحق والوفاء بالعهد والوعد . وكذلك حرم الاسلام (القتر .

الزنـى ، وشرب الخمـر ولعـب الميـسر والقـمار . والتعامـل بالربـا . السرقـة . واكل مـال اليتامـى والاعتـداء عـلى الضعفـاء ... الـخ (**الابـراشي : ١٩٧٤**)

وفي ضـوء مـا تقـدم ان رسـاله الاسـلام في بنـاء المجتمـع الاسـلامي الموحـد كلهـا تسـاهم في تنظيـم المجتمـع اجتماعيـا مصبـوغ بصبغـه الإسـلامية وهـي ﴿**صِبْغَـةَ اللهِ وَمَـنْ أَحْسَـنُ مِـنَ اللهِ صِبْغَـةً وَنَحْـنُ لَـهُ عَابِـدونَ**﴾ **سـورة. البقـرة/ ١٣٨**) بحيـث يصبـح النظـام الاسـلامي نظـام متكامـل شـامل (سـياسي و اقتصـادي . اجتماعـي . قانـوني . عسـكري . عسـكري . ترفيهـي ، تربـوي . قائـم عـلى القيـم الأخلاقيـة الفاضلـة . انظـر الى بنـاء المجتمـع الاسـلامي الموحـد .

المحور الثاني

سيرة امير المؤمنين الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام)

من المعلوم ان سيرة امير المؤمنين الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) كانت سيرة الانسان الكامل والمثال الحقيقي لم يغنيه يوما كثره مناصريه ولم يفقره قلتهم . وهو يقول ذلك **(لا تزيدني كثره الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشه)**

وفي ضوء ما تقدم كان الامام (عليه السلام) مثالا للشجاعة في كل باب من أبواب الحياه . فقد كانت له معاني انسانيه . فهو العطوف مع الفقراء والمساكين . وقويا صلبا قاهرا مع المتجبرين الظالمين وبناء على ما تقدم نقتبس من سيرته العظيمة القيم الأخلاقية الفاضلة في يناء الأنسان والمجتمع وهي:-

اولا:- ايمانه :- من المعلوم ان الامام (عليه السلام) هو اول المؤمنين . اي اول من امن برسول الله بعد خديجه الكبرى (عليها السلام) ولم يسجد لصنم ولم يأت بمجرم ولم يدنس اذا امن وصلى قبل البلوغ . لذا يقال له (وحده – كرم الله وجهه) . لذا نقول ان حقيقيه الايمان يمكن قياسها بالباطن وحقيقيه الامام (عليه السلام) انه نور من نور محمد (صلى الله عليه وآله) ومحمد خلق من نوره . كما روي عن جابر بن عبد الله الانصاري : قال (**سالت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن ميلاد علي ابن ابي طالب فقال : سألتني عن خير مولود ولد في شبيه المسيح . ان الله تبارك وتعالى خلق عليا من نوري وخلقني من نوره . وكلانا من نور واحد . ثم ان الله (عز وجل) نقل صلبنا ادم في اصلاب طاهره الى ارحام زكيه . فما نقلت من صلب الا ونقل علي معي . فلم**

نـزل كذلـك حتى استرد عني خير رحـم وهـي (امنه واسـتوع عليا خـير رحـم وهـي (فاطمـة بنـت اسـد)

ثانيا:- زهـده : - مـن المعلـوم ان الامـام (عليـه السـلام) كان زاهـدا في الحيـاة فهـو الصـادق المؤمـن بفنـاء هـذه الدنيـا وزوالها . المؤمـن بـالله تعـالى . فقـد يأخـذ مـن الدنيـا مـا يقيـم بـه اوده حتـى لا يطـول وقوتـه بـين يـدي الله (عـز وجـل) يـوم يعـرض النـاس للحسـاب . انـه الزاهـد المواسـية لأخيـه الانسـان .

وفي ضـوء مـا تقـدم كانـت حياتـه بمثابـه الزاهـد اذا كان يعيـش مـع اولاده (عليهـم السـلام) في بيـت متواضـع . وكان يـأكل الشـعير ويطحنـه لنفسـه . ويـأكل الخـبز اليابس الـذي يكسـره عـلى ركبتـه . وكان اذا ارعـده الـبرد واشـتد عليـه الصقيـع لا يتخـذ لـه عـدة مـن دثـار بقيـه اذى الـبرد . بـل يكتفـي بـمار رق مـن لبـاس الصيـف

وفي بنـاءا عـلى مـا تقـدم زهـد امـير المؤمنـين عـلي ابـن ابي طالـب (عليـه السـلام) وترفـع عـن الدينـا وشـهواتها وهـو القائـل : **(تزوجـت فاطمـة (عليهـا السـلام) ومـا كان لي فـراش . وصدقتنـي اليـوم لـو قسـمت على بنـي هاشـم لوسـعتهم)** وبذلـك نقـول ان الزهـد عنـد الامـام (عليـه السـلام) مفروضـة بالأخـلاق الفاضلـة . وهـو يقـول (عليـه السـلام) **(ان مـن اعـوان الاخـلاق عـلى الديـن الزاهـد في الدنيـا)**

ثالثـا:- شـجاعته :- مـن المعلـوم ان شـجاعته ادهشـت الباحثـين عـلى وصفهـا فقـد احتـاروا امـام عظمـة هـذا الامـام . فـأي جانـب يتحدثـون عنـه ، فهـو المقـدم عـلى الاقـران. وفي ضـوء مـا تقـدم ان شـجاعة الامـام (عليـه السـلام) نابعـه مـن ايمانـه بـالله (عزوجـل) وبرسـاله اخيـه محمـد (صـلى الله عليـه وآلـه) فـكان طيلـة حياتـه الشريفـة درعـا حاميـا للإسـلام والمسـلمين ولم يرفـع سـيفه الا مـن اجـل احقـاق الحـق ورفـع الاذى عـن المسـلمين لأجـل تثبيـت الرسـالة الإسـلامية واعـلاء كلمـه الحـق والتضحيـة

مـن اجـل الرسـول (صـلى الله عليـه وآلـه) فهـو الـذي يقـدم نفسـه فـداء للرسـالة الإسـلامية حينـما **بـات ليـلا في مـكان الرسـول محمـد** (صـلى الله عليـه وآلـه) **في فراشـه حرصـا عـلى سـلامته مـن الاغتيـال مـن قبـل الاعـداء اعـداء الاسـلام**

رابعـا:- عدلـه :- مـن المعلـوم ان الانبيـاء والاوصيـاء هـم ميـزان العدالـة الإلهيـة. وهـم نسـمه العـدل في هـذا الكـون . والمثـال لـكل طالـب يسـعى التحـلي بالكماليـات الإنسـانية . وفي ضـوء مـا تقـدم كان الامـام (عليـه السـلام) **وهـو وصيـه رسـول الله وخاتـم الاوصيـاء وصي الرسـول محمـد (صـلى الله عليـه وآلـه) في العـدل واقامتـه في الرعيـة وابعـاد الظلـم والجـور . فقـد كان الامـام (عليـه السـلام) اعـدل النـاس بعـد الرسـول محمـد (صلى الله عليـه وآلـه)** فقـد كان النـاس امـه سواسـيه لا ميـزه لقـوي عـلى ضعيـف او الغنـي عـلى الفقـير ويعامـل القريـب منـه بنفـس معاملـه البعيـد ولا فـرق بـين عـربي او اعجمـي الا بالتقـوى . وبذلـك ينظـر الامـام (عليـه السـلام) عـلى انـه دواء شـاف لأخطـر الافـاق الاجتماعيـة التـي تـؤدي بالمجتمـع الى التفـكك والانحـلال ثـم سياده الظلـم والجـور . وبذلـك عندمـا الـت اليـه الخلافـة اليـه (عليـه السـلام) اقـام العـدل وهـو ميـزان الحكـم بـين النـاس . وكان دائـرة العـدل لديـه واسـعه تشـمل النـاس جميعـا بغـض النظر عـن المعتقـد . اللـون . الجنـس . لذلـك اصبـح عدلـه يشـمل جوانـب الحيـاه ، وهـو القائـل : (**ان الله فـرض عـلى ائمـه العـدل ان يقـدروا انفسـهم بضعفـه النـاس كيـلا يبتـغ بالفقـير فقـره**)

خامسـا:- مؤاسـاته للفقـراء :- مـن المعلـوم ان الامـام (عليـه السـلام) فقـد كان اسـوة للفقـراء يعيـش عيشـهم ويـأكل اكلهـم ويلبـس ملبسـهم ويتواضـع لهـم حتـى اصبـح (عليـه السـلام) سـند مـن لأسـند لـه . وفي ضـوء مـا تقـدم انـه سـند اصيـل يسـتند الى معرفتـه بخلـق الله تبـارك وتعـالى وهـو يعلـم ان الله سـبحانه وتعـالى خلـق النـاس

جميعا وهم متساوون امامه لأغني ولا فقير ولا ضعيف ولا قوي ولأسيد ولا عبد . وذلك استنادا الى خطبته (عليه السلام)(**ايها الناس ان ادم لم يلد عبدا ولا امه . وان الناس كلهم احرار ولكن الله خول بعضكم بعضا . فمن كان له بلا فصبر في الخير فلا يمن على الله تعالى . الا وقد حضر شى ء. ونحن مسؤولون فيه بين الاسود والاحمر**). وبناءا على ما تقدم كان الامام (عليه السلام) طيلة حياته الشريفة متبعا سنه الانبياء والصالحين في مواساتهم للفقراء

سادسا:- علمه :- من المعلوم ان الامام (عليه السلام) كان على علم كبير. ومنبع علمه يفيض بما اصفه واعذبه منه . فهو علم الكتاب . وعلمه علم رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) وكيف لا؟ وهو باب علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) اذا قال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) (**انا مدينه العلم وعلي بابها . فمن اراد العلم فليات الباب**) وهو معدن علمه واصله وهو خازن العلم وحاويه . وفي ضوء ما تقدم ان الامام (عليه السلام) كان مثال العالم العامل الذي لأتأخذ في الله لومه لائم . وكانت حياته تجسيدا حقيقيا ومثالا ماديا على سعه علمه فلم يصدر منه قولا او عملا الا وارتكز علمه على علم ثاقب ونبع صافي . وبناء على ما تقدم فقد تعجب الكثير من الباحثين من علمه وحكمته وكذلك اكد الامام (عليه السلام) على اهميه العالم في المجتمع الاسلامي . وقال الامام (عليه السلام) (**اذا مات المؤمن العالم ثلم في الاسلام ثلمه لا سدها شيء الى يوم القيامة**) ومن هنا يؤكد الامام (عليه السلام) على مكانه العالم المؤمن مثل مشعل النور الذي ينير الطريق للأخرين ضد القوى الظلام والشر . فالعالم هو الذي يهتم بأحوال الناس والامم وهو يفيض بجوارحه وقلبه مقرنه بالعلم والعمل

سابعا:- صدقه : ومن المعلوم ان الامام (عليه السلام) في جوهر جميع

الانبياء والصالحين في صفاتهم وانه الوارث الحقيقي لصفاتهم وأخلاقهم في الخصال والمكارم . فقد جسد الامام (عليه السلام) معاني الخير واهم ما امتاز به (عليه السلام) الصدق . فقد كانت نفسه المرآه التي تعكس كمال الصدق في مجالات الحياه . وقد وصفه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) (**انت احسنهم خلقا واصدقهم لسانا**) ، ويقول الامام (عليه السلام) عن الصدق (**الصدق امانه اللسان وحليه الايمان**)) (**الخيال : ٢٠١٤**)

وصايا امير المؤمنين الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) في بناء الانسان والمجتمع الاسلامي الموحد:

لقد اخص النبي محمد (صلى الله عليه وآله) الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وهو وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) والامام الذي فرض الله طاعته على المسلمين جميعا ، فقد ادبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكان بكل ما يملك من الصفات المعنوية والنفسية والجسدية قادرا على ايصال الانسان وقيادته الى كماله وسعادته ، اي لقد احاط الامام امير المؤمنين علي بني ابي طالب (عليه السلام) بعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلم رسول الله من الله تعالى ، وليس عن طريق الوحي والاكتساب والتحصيل ، بل من عند الله وهو لامجال للباطل ان يدخل بل هو الحق والصحيح والمطابق للواقع ، وقال تعالى ﴿**رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾

وبناءا على ما تقدم ، ان الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) هو تلميذ الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) الذي فرع علومه في صدره وعلمه ابواب العلم ، حتى قال الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)(**لانا اعلم بالتوراة من اهل التوراة ، واعلم بالإنجيل من اهل الانجيل**) وبذلك فهو عالم بالشريعة

وتعاليـم الاسـلام والقضـاء والفتـوى ودرجـات الايـمان بـالله ومعرفتـه نابعـه مـن القـران الكريـم ومصاحبـه رسـول الله محمـد (صـلى الله عليـه وآلـه)

وفي ضـوء مـا تقـدم امرنـا الله ورسـوله التسـمك بولايتـه ، فهـو المثـال الالهـي الـذي كان مقـدر لـه ان يقيـم حكـم الله في الارض لتغير شـكل الحيـاه على الاض وقـادر على ايجاد الحلـول السـليمة بكل المشـاكل التـي تعـاني منهـا البشريـة ، وبذلـك تبقـى اقوالـه واقعـا نموذجـا حيـا للإنسـانية نسـتضئ بـه في لليهـا الطويـل ، وتبقـى اقوالـه وحكمتـه ومواقفـه مصبـاح هـدي ينـير الـدرب للذيـن تهفـو نفوسـهم نحـو الكـمال (**الفتـلاوي : ٢٠١٢**)

وفي ضـوء مـا تقـدم اهـم الوصايـا ا الامـام امـير المؤمنـين عـلي ابـن ابي طالـب (عليـه السـلام):-

- **مـن نصـب نفسـه للنـاس . امامـا فعليـه ان يبـدا بتعليـم نفسـه قبـل تعليـم غـيره وليكـن تأديبيـه بسـيرته قبـل تأديبيـه بلسـانه . ومعلـم نفسـه ومؤدبهـا احـق بالإجـلال مـن معلـم النـاس ومؤدبهـم)**
- **من لم يصلح خلائقه لم ينفع الناس تأديبيه**
- **سوء الخلق بعدي . وذاك انه يدعو صاحبك الى ان يقابلك غيله**
- **جالس العلماء يكمل عقلك وتشرق نفسك وينتف عنك جهلك**
- **اعلموا ان كمال الدين طلب العلم والعمل به**
- **عليكم بحسن الخلق فانه في الجنة واياكم وسوء الخلق فانه في النار**

المحور الثالث :-((توظيف القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة التي يريدها الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) في بناء الانسان لخدمة المجتمع الاسلامي :-

من المعلوم ، ان الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) كان حريصا على تثقيف الناس وتعليميهم علوم محمد واله محمد (ص) ليكون لهم حصنا من الزيغ والضلال و كل العقائد الزائفة وترسبات الجاهلية التي كانت تعصف بالنفوس ويعلم الناس عباده الله سبحانه وتعالى وتوحيده ويدعوهم الى (معرفه الله وعبادته) لأنه يعلم ان العبادة مع معرفه تكون حصنا من وساس الشيطان ، ومن اهواء النفس ، لذا فهو يعرف الدين بمعرفه الله تعالى فيقول عليه السلام (اول الدين معرفته) والعبادة لغة هي غايه التذلل والخضوع لذلك لا يستحقها الا المتعلم الاعظم الذي غايته الافضال والانعام وهو الله سبحانه وتعلى وذلك استناد الى قوله تعالى ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ **الذاريات ٥٦-٥٨ .**

القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في بناء الانسان لخدمة المجتمع الاسلامي في نظر امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام)

الصدق	التواضع	الايثار	العدل	الصبر
التوكل	الاخلاص	الخوف من الله تعالى	الرجاء في الله تعالى	البصيرة

وقد اكد الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) على القيم الأخلاقية الفاضلة في بناء الانسان لخدمة المجتمع الاسلامي : انظر الى الجدول رقم (٣) الذي يمثل القيم الأخلاقية الاسلاميه الفاضلة في بناء الانسان لخدمة المجتمع الاسلامي وهي

ملاحظة :- هناك مجموع من القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في ضوء سيرة امير المؤمنين (عليه السلام) وهذا يحتاج التوسع في البحث . لذا قررنا الانتباه لطفا :- وسنكتفي بقدر ما يسمح.

١. **الصدق** :-) وقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) في (الصدق)(**الزموا الصدق فانه منجاه**) ، ومن المعلوم ان الصدق :-هي من القيم الأخلاقية الفاضلة وتعني (مطابقه القول للواقع ،) وهو اشرف الفضائل النفسية والمزايا الخلقية لخصائص الشخصية ولها اثر في حياه الفرد والمجتمع ، وبذلك يعد رمز الاستقامة الصلاح وسبب النجاح والنجاة ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى بقوله تعالى ﴿**قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾**سورة المائدة ١١٩** ، وقال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) في الصدق (زينه الحديث الصدق **الحلم وكظم الغيظ** :- وهما من القيم الأخلاقية الفاضلة في ضبط النفس ازاء مثيرات الغضب ، ودليلا على سمو النفس وكرم الاخلاق وسبب للمودة والاعتزاز ، وقدم مدح الله سبحانه وتعالى الحلماء والكاظمين الغيض في محكم كتابه العزيز ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ **سورة ال عمران ١٣٤**) وكذلك قوله تعالى ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى**

الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾ سورة الفرقان ٦٣ ، وقال امير المؤمنين علي ابن ابي طالي (عليه السلام) في **الحلم (اول عرض الحليم من حلمه ، وان النفس انصاره على الجاهل)**

٢. **التواضع** :- قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) عن التواضع **(ما احسن تواضع الاغنياء للفقراء طلبا لما عند الله واحسن منه فيه الفقراء على الاغنياء انكالا على الله)** . ومن المعلوم .وهي من القيم الفاضلة وتعني (احترام الناس حسب اقدارهم، وعدم الترفع عليهم) وقد وصف الله سبحانه وتعالى النبي محمد (صلى الله عليه وآله) **﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء ٢١٥** ، وقال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) **(ان احبكم الي واقربكم مني يوم القيامة مجلسا ، احسنكم خلقا واشدكم تواضعا ، وان ابعدكم مني يوم القيامة ، الثرثارون وهم المستكبرون)**

٣. **الايثار** :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة وتعني (الاجاد بالعطاء وهم بأمس الحاجه اليه) وقد وصف الله سبحانه وتعالى اهل البيت عليسهم السلام **﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهَّ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً﴾**الانسان ٨-٩ وقوله تعالى ايضا **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر ٩** ، وقال الامام الصادق (عليه السلام) بحق امير المؤمنين على ابن ابي طالب (عليه السلام) **(كان علي اشبه برسول الله . كان يأكل الخبز والزيت ويطعم الخبر واللحم)**

٤. **العدل** :- قال الامام امير المؤمنين (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه

السلام) **(يأبني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك ، فاحب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم ، واحسن كما تحب ان يحسن اليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم ، وان قل ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب ان يقال لك)** ومن المعلوم ان (العدل) وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة ويعني (مناعة نفسيه تردع صاحبها عن الظلم ، وتحفزه على اداء الحقوق والواجبات بشكل عادل) وقد امرنا الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾**النحل ٩٠** وقال الله تعالى ﴿**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾**الانعام ١٥٢** وقال تعالى ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾**النساء ٥٨** ، وقال الامام الرضا (عليه السلام) (استعمال العدل والاحسان مؤذن بدوام النعمة ،:

٥. **الصبر** :- ، وقال الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) **(من لم ينجه الصبر ، اهلكه الجزع)** ومن المعلوم ان الصبر وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة ويعني (احتمال المكره او المكاره من غير جزع ،وهي قسر النفس على مقتضيات الشرع والعقل في اوامرها ونواهيها ، وبذلك فهو من السمات البطولة في الظفر والنجاح ، وقد امرنا الله سبحانه وتعالى التحلي بالصبر وقال تعال في محكم كتابه العزيز ﴿**وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ **ال عمران ١٤٦** وكذلك قوله تعالى ﴿**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ**

إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الانفال ٤٦ وقوله تعالى ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ الزمر ١٠ وقال الامام الصادق (عليه السلام) (**الصبر من الايمان بمنزله الراس من الجسد فاذا ذهب الراس ذهب الجسد ، وكذلك اذا ذهب الصبر ذهب الايمان**)

٦. **التوكل** :- وقال الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) في وصيه لابنه الحسن (عليه السلام) (**والجيء نفسك في الامور كلها الى الهك ، فانك تلجئا الى كهف حريز ومانع عزيز**) ومن المعلوم ان التوكل . وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة وتعني (الاعتماد على الله في جميع الامور وتفويضها اليه ، والاعراض عما سواه ، فهي قوة القلب واليقين) وقد امرنا الله سبحانه وتعالى بالتوكل عليه وقال سبحانه تعالى ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**﴾ **الطلاق ٣** وقوله تعالى ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ **ال عمران ١٥٩** وقوله تعالى ﴿**وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ **التوبة ٥١**

٧. **الاخلاص** :- وقال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) (**الدنيا كلها جهل الا مواضع العلم ، والعلم كله جهل الا ما عمل به ، والعمل كله رياء الا من كان مخلصا والاخلاص على خطر ، حتى ينظر العبد بما يختم له**) ومن المعلوم ان الاخلاص . وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة ، وتعني (صفاء الاعمال من الشوائب والرياء وجعلها خالصه لوجه الله تعالى) وقد صف الله سبحانه وتعالى (الخلص) بقوله تعالى ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ **الكهف ١١٠** وقوله تعالى ﴿**فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ **الزمر ٢-٣** وقال الرسول

محمد (صلى الله عليه وآله) **(من اخلص لله اربعين يوما ، فجر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)**

٨. **الخوف من الله تعالى** :- وقال الامام امير المؤمنين علي ابن طالب (عليه السلام) **(لا يكون المؤمن موقنا حتى يكون خائفا راجيا ، ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجوا)** ومن المعلوم ان الخوف من الله تعالى . وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة وتعني (تألم النفس خشيه من عقاب الله من جزاء عصيانه ومخالفته) فهي من القيم الأخلاقية الدينية التي تعني الابتعاد عن الشرور والآثام ما يغضب الله في القول والفعل ، وبذلك وصف الله سبحانه وتعالى الخائفين من الله بقوله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾ **الملك ١٢** ، وقوله تعالى ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ **النازعات ٤٠-٤١**، ،

٩. **الرجاء في الله تعالى** :- وقال الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالي (عليه السلام) **(لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثره ذنوبه ، ايا هذا باسك من رحمه الله اعظم من ذنوبك)** وقال الامام الصادق (عليه السلام) **(لا يكون المؤمن حتى خائفا راجيا ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجو)** ومن المعلوم . ان الرجاء في الله تعالى . وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة وتعني (هو انتظار محبوب تمهدت له اسباب الحصول عليه ، كمن زرع بذره في ارض طيبه ورعاها بالسقي والمدارات ، فرجاء منها الناتج والنفع) لذلك فالرجاء في الله تعالى هو الجناح الثاني من الخوف ، اللذان يطير بهما المؤمن الى افاق طاعه الله والفوز بشرف الرضا ، وفي ضوء ما تقدم ، يعني الرجاء في الله تعالى (النهي عن الياس والقنوط) وقد وصف الله سبحانه وتعالى الذي يرجو الله

تعـالى ﴿**وقـلْ يَـا عِبَـادِيَ الَّذِيـنَ أَسْرَفُـوا عَـلَى أَنفُسِـهِمْ لَا تَقْنَطُـوا مِـن رَّحْمَـةِ اللهَّ إِنَّ اللهَّ يَغْفِـرُ الذُّنُـوبَ جَمِيعـاً إِنَّـهُ هُـوَ الْغَفُـورُ الرَّحِيـمُ**﴾ **الزمـر ٥٣** وقولـه تعـالى ﴿**وَلاَ تَيْأَسُـواْ مِـن رَّوْحِ اللهِّ إِنَّـهُ لاَ يَيْأَسُ مِـن رَّوْحِ اللهِّ إِلاَّ الْقَـوْمُ الْكَافِـرُونَ**﴾ **يوسـف ٨٧ (السـيد مهـدي الصـدر ٢٠١١)**

١٠. **البصـيرة** :- قـال امـير المؤمنـين عـلي ابـن ابي الطالـب (عليـه السـلام) (**انـما الدنيـا دار مجـاز والاخـر دار قـرارا ، فخـذوا مـن ممركـم لمقركـم**) ومـن المعلـوم . ان البصـيرة : وهـي الوعـي والتعقـل ، فالإنسـان الواعـي والعاقـل هـو الـذي يفكـر بالعواقـب ويتجنـب سـخط الله وغضبـه ، لان الدنيـا كـما يقـول لذلـك نقـول ان الانسـان العاقـل هـو الـذي يميـز عـن المعـاصي يبتعـد عـن الذنـوب لان عقلـه يصونـه مـن هـذه المأثـم والخطايـا ، وقـد سـئل الرسـول محمـد (صـلى الله عليـه وآلـه) مـا العاقـل يـا رسـول الله ، قـال (**العمـل بطاعـة الله وان العامـل بطاعـة الله هـم العقـلاء**) (**القزوينـي ،بـلا**) (**انمـوذج بنـاء المجتمـع الاسـلامي الموحـد المسـتند الى العلـم والتعليـم**

الفصل الثالث

توظيف القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في المناهج الدراسية الجامعية الإسلامية

من المعلوم ان مناهج الدراسية الجامعية الإسلامية تستهدف بناء الانسان والمجتمع الاسلامي سواء بالتربية الخلقية .او التربية النفسية والتربية العقلية او التربية الجسمية او التربية الروحية وتستمد هذه التربية من (القران الكريم واحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام)

وفي ضوء ما تقدم ان مناهج التربوية الإسلامية الجامعية ليست مناهج جامده او منفصله . بل تعمل وفق اطر ومفاهيم شامله لأمور الحياه الدنيا وحياة الاخرين . وبذلك فهي مناهج يمكن ان تحتوي على القيم الأخلاقية الفاضلة في ضوء سيرة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) فهي يمكن ان تدفع الانسان المسلم الى النقاش والاستفهام والاجتهاد والتفكير في امروا الدنيا . فهي تلائم فطرة الانسان وتنسجم مع حركة الكون.

لذا يمكن توظيف القيم الأخلاقية الفاضلة في المناهج الدراسة الجامعية من خلال غرس هذه القيم التي توصل اليها البحث وهي :-

-1 **قيم المساواة** :- وهي من القيم التي اكد عليها الاسلام وسيرة امير المؤمنين (عليه السلام) فهي تؤكد على تكافؤ الفرص اما جميع الناس في الدنيا وعماره الارض وكذلك التكافؤ بين (الفقراء والاغنياء) وبين (اهل الكتاب والمسلمين وبين الرجال والنساء بعيدا عن اللون . او القوميه او الجنس او القومية

٢- **التسامح** :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة التي اكد عليها الاسلام وامير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وتعني بذل بعض ما لا يجب . وتعرف اي الاستعداد لتقبل وجهات النظر المختلفة والمرتبطة بالسلوك والراي دون الموافقة عليها . وهي ايضا تقبل تنوع الفكري والعقائدي

٣- **العفو** :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة التي اكد عليها الاسلام وامير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وهي تعني (العطف على الانسان المذنب فيعفوا كليا او جزئيا

٤- **الصبر** :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة التي اكد عليها الاسلام وامير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وهي تعني (حسب النفس من الجزع عن المكروه او عن الشكوى . او هي الامتناع عن اظهار الجزع الباطني ولها ثلاث مراتب وهي :-

- الصبر على البلايا والمصائب / اي لا يشكو ولا يجزع
- الصبر على الطاعة / اي ان يتحلى الانسان بالتحمل في العمر والاوامر الإلهية ولأيسمح للنفس الأمارة بالسوء ان تصدى عن ذلك
- الصبر عن المعصية . اي الصبر على الصعاب . مجاهدة النفس وجنود الشيطان

٥- **الأمانة** :- وهي من القيم الأخلاقية التي اكد عليها الاسلام وامير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وهي تعني اذا ما ائتمن عليه الانسان من الحقوق واجب اداء تلك الأمانة

٦- **الشجاعة** :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة التي اكد عليها الاسلام

وامير المؤمنين علي ابن الطالب (عليه السلام) وهي تعني (القدرة على مواجهه المواقف الخطيرة بحزم واراده قويه . وبما يتطلبه الموقف من اتخاذ ضرويه في الوقت المناسب

٧- **العفة** :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة التي اكد عليه الاسلام وامير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وهي تعني (ضبط النفس عن الشهوات والامتناع عن اي اتصال جنسي قبل الزواج وبعد الزواج بغير الزوج

٨- **الوفاء بالعهد**: وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة التي اكد عليها الاسلام وامير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وتعني (الخروج عن عهد ما قبل عند الاقرار بالربوبيه . أي عدم العودة الى ما تب منه. وعدم التقصير في اداء ما عاهد نفسه على القيام ، وتعني الوفاء بالعهد. الثبات على الحب ولوازمه وادامته حتى الموت)(**الزبيدي** : ٢٠١٧)

ملاحظة: هناك مجموعه من القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة التي اكد عليها الاسلام وسيرة امير المؤمنين الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) في بناء الانسان لخدمة المجتمع الاسلامي الموحد وتوظيفيها في المناهج الدراسية الجامعية. وهذا يحتاج إلى الشرح.

☒ **وسائل واساليب تنميه القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في بناء الانسان لخدمة المجتمع الاسلامي الموحد** :- من المعلوم ان هناك عدة اسالب ووسائل في تنميه القيم الأخلاقية الإسلامية لخدمة المجتمع الاسلامي الموحد في المناهج الدراسية الجامعية الإسلامية . وهي كثيرة وسنكتفي بالقدر الممكن وهي

اولا: التمسك بالعبادات: وهو الاسلوب العلمي في تربيه الانسان (روحيا .

بدنيا . واجتماعيا وعقليا . ولهذه العبادات جانب مهم عند الله سبحانه وتعالى من حيث امر فيها الامر والنهي عن العمل . وفق (فطرة الانسان) حيث زوده تبارك وتعالى بالاستعدادات الفطرية للتعلم . وبذلك يمكن اكتساب القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في بناء الانسان ولخدمة المجتمع الانساني وهذه القيم مرغوبه في المجتمع الاسلاميه وبذلك فهي معيار للضبط والتنشئة الاجتماعية.

وفي ضوء ما تقدم . اكد الاسلام على تنميه القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في بناء شخصيه الانسان المتكاملة ولجوانب شخصيته المعروفة (الروحية والعقلية وحواسه) فهي تساهم في بناء الإنسان وتصبح العلاقات الاجتماعية القائمة على الود والمحبة.

ثانيا: التمسك القدوة الإسلامية :- من المعلوم ان قدوتنا في القيم الأخلاقية الإسلامية وهي شخصيه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) وكذلك اهل البيت (عليهم السلام) وذلك استنادا الى قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ**﴾ سورة الممتحنة/ ٤ وكذلك يمكن تطبيقها في بناء الانسان لخدمة المجتمع الاسلامي مستقبلا.

ثالثا: الموعظة والنصح: وهما من الوسائل المهمة في غرس القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة . فالموعظة مؤثرة في النفوس ومؤثرة في سلوك الفرد فهي تحقق مرضاه الله تبارك وتعالى ورسوله الكريم واهل البيت (عليهم السلام)

رابعا: ضرب الأمثال: وهي من الوسائل المهمة والمؤثرة في السلوك . لذا فهي تساهم في غرس القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة حيث تضرب من الحكمة خصوصًا وإن كانت مستمدة من القرآن الكريم . وبذلك اشاره الله تبارك وتعالى في مواضيع كثيرة (**الاسدي ويحيى ٢٠١٢**)

أولا: الاستنتاجات:

١. إن القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في الاسلام كثيرة ومتنوعة. حيث ذكرها القرآن الكريم بما يقارب (١٥٠٤) ذكرت في موضع

٢. ان القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في سيرة امير المؤمنين الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) ارتبطه بالإنسان ومست جوانب شخصيه بناء الانسان المسلم في الجوانب (العقلية + الجسمية + الوجدانية + الروحية + الاجتماعية) التي يمكن تساهم في بناء الإنسان المسلم وخدمة المجتمع الاسلامي الموحد اضافه الى ذلك ان هذه القيم مستمده من القران الكريم وأحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله)

٣. ان القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة لها دور مهم في بناء المجتمع الاسلامي الموحد الذي يؤمن برساله الاسلام . وهو صاحب رساله انسانيه . اي تؤمن بان مجتمع يقدس كل القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة لأنها مستمده من القران الكريم واحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) وكذلك اهل البيت (عليهم السلام)

٤. يمكن توظيف القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في بناء الانسان المسلم ولخدمة المجتمع الاسلامي الموحد في المناهج الدراسية الجامعية وهناك عدة وسائل واساليب يمكن تضمينها من خلال:

١- التمسك بالعبادات .

٢- التمسك بالقدوة الإسلامية .

٣- الموعظة والنصح

٤- ضرب الامثال)

ثانيا : التوصيات والمقترحات:

١. على وزارة التربية والتعليم العالي والجامعات الأهلية تضمين هذه القيم الإسلامية الفاضلة في سيرة الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) في مناهجها وبرامجها وانشطتها لتعزيز القيم الأخلاقية الإسلامية في نفوس الطلبة مستقبلا.

٢. حث الهيئات التدريسية في المدارس والجامعات وأماكن العبادة الأخذ بتضمين القيم الأخلاقية الإسلامية عند الشرح والتفصيل والموعظة والشرح العبادات لأنها تساهم في بناء الانسان المسلم الذي يخدم وطنه وامته الإسلامية

٣. ضروه استنباط القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة وتوظيفها في مجالات الحياة العامة (الاقتصادية، السياسية، الثقافي، العسكرية، القانون، القضاء ... الخ

المصادر والمراجع

١. الابراشي، محمد عطية ، الاسلام منقذ للإنسانية ، مكتبه مصر، مصر ،١٩٧٤م

٢. الاسدي . سيعد جاسم . ويحيى عثمان محمد . اخلاقيات مهنه العمل الاداري. قراءة فكرية تربوية اسلاميه . المركز الوطني للدراسات الاجتماعيه والتاريخه سلسله (٢٨) لبنان ٢٠١٤

٣. بدوي ، احمد زكي ، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٧

٤. بركات احمد لطفي بركات في الفكر التربوي الاسلامي ط- الرياض دار المريخ ١٩٨٢.

٥. الحيالي. صبلاي بردان وآخرون. أخلاقيات وآداب مهنة التدريس الجامعي. مركز ديبونو لتعليم التفكير . الاردن ٢٠١٢.

٦. الخيال . احمد جاسم ال مسلم . المثالي الالهي علي ابن ابي طالب (عليه السلام) مؤسسه البلاغ للطباعه والنشر والتوزيع . لبنان ٢٠١٤

٧. الخاقاني . فاطمه محمد محمد طاهره . الامن التربوي للطفل في الاسلام . دار المحجه البيضاء . لبنان ٢٠١١ .

٨. خوري توما المناهج التربوية ومرتكزات تطويرها وتطبيقاتها ط- بيروت ١٩٨٣

٩. الزبيدي. صباح حسن عبد . مناهج المواد الاجتماعيه وطرائق تدريسها . دار المناهج . الاردن ٢٠١٠.

١٠. الزبيدي. صباح حسن عبد . المنهج المدرسي المعاصر والكتاب المدرسي . مكتبه الايام . الاردن ٢٠١٨.

١١. الزبيدي. صباح حسن عبد البحث الموسوم (نظرة جديدة... لدور المناهج التربوية الإسلامية في تعزيز قيم التعايش الإنساني في ضوء التعدد لديني) بحث

مقدم إلى المؤتمر العلمي السنوي السابع لكلية الدراسات القرآنية الموسوم (التعايش الإنساني في ضوء التعدد الديني) يوم الخميس ٢٩/ ٤/ ٢٠١٧ بابل–المحور الثالث.

١٢. سوادي، فليح ، عهد الامام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) الى واليه على مصر، مالك الاشتر (رض)، العتبة العلوية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ط/ ١ ، ٢٠١٠.

١٣. الشيخ علي الفتلاوي، رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة ، العتبة الحسينية المقدسة ، سلسله (١٦).

١٤. الصدر ، محمد مهدي ، اخلاق اهل البيت مؤسسه دار الكتب الاسلامي قم ٢٠٠٨

١٥. الطهطاوي، سيد احمد ، القيم التربوية في القصص – القران الكريم ، دار الفكر ، القاهرة ١٩٩٦

١٦. عبد العزيز صالح التربية وطرق التدريس دار المعارف بمصر ١٩٨١.

١٧. عبد العزيز . امير . الانسان في الاسلام دار الفرقان . الاردن ١٩٨٤

١٨. قمر . عصام توفيق . الأنشطة المدرسية والوعي البيئي . الاطر النظرية. الادوار الوظيفية . التجارب الدولية . دار السحاب للنشر والتوزيع . القاهرة ٢٠٠٥

١٩. كنعان احمد على ادأب الاطفال والقيم التربوية دار الفكر دمشق ١٩٩٩

٢٠. .مهدي عباس علي واخرون اسس التربية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة الموصل ٢٠٠٢

٢١. معجم المصطلحات الأخلاقية . مركز باء للدراسات بيروت ٢٠٠٦

٢٢. مذكور ، إبراهيم واخرون ، معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، القاهرة ١٩٧٥

٢٣. ناصر ، ابراهيم ، اصول التربية ، الوعي الانساني ، مكتبه الرائد العلمية ، الاردن ٢٠٠٤،

٢٤. النورة جي، احمد خورشيد مفاهيم في الفلسفة والاجتماع ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغدادا ١٩٩٠

٢٥. هناء . عطيه محمود وعبد ميخائيل رزق . الشخصية والصحة النفسية . القاهرة ١٩٨٥

٢٦. وزاره التربية العراقية . المديرية العامة للمناهج والوسائل التعليمية . بناء مصفوفه القيم الوطنية والقومية والإنسانية . بغداد ١٩٩٢

٢٧. الكتب والبحوث والمراجع المعتمدة في هذا البحث وهي :-

٢٨. العلامة السيد مهدي الصدر ، أخلاق أهل البيت ، دار الكتاب الإسلامي ، إيران ٢٠٠٨

٢٩. الشيخ الجليل رضي الدين الطبرسي ،. مكارم الاخلاق ، ، مركز نشر كتاب

٣٠. قمي ، عباس ، خمسون دراسا في الاخلاق ، دار الجوادين ، كربلاء المقدسة ٢٠١٢

٣١. الزبيدي ، صباح حسن عبد ، بناء منظومه قيم المواطنة الصالحة واثرها في المناهج الدراسية لتساهم في بناء شخصيه الطالب العراقي ، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي الرابع لأبحاث الموهبة والتفوق ، الجامعة الأردنية وبالتعاون مع المؤسسة الدولية للشباب والبيئة والتنمية للفترة من ١١-١٢/ اب/ ٢٠١٥ الاردن

٣٢. بحار الانوار ج/ ١٠٠ ص٣٦٢.

٣٣. اعلام الهدايه . المجمع العالمي لأهل البيت (٣).

٣٤. الوافي . الكاشاني ج/ ٣/ ص٢٠.

٣٥. نهج البلاغه / ص١٧٧.

قيمة التواضع في كلام الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة بوصفها مرتكزًا أساسيًا لبناء الهوية الإنسانية

د. وسام حسين جاسم العبيدي

كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) الجامعة/ بابل

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة على محمد المصطفى وآله الطيبين الطاهرين..

أما بعد

فقد دعا العقلُ السليمُ، قبل الشرائع والأديان السماوية، إلى أنْ يفكّر بجِدّيةٍ حول الغاية التي خُلِق من أجلِها، ألا وهي التواصل المثمر لبناء حضارة تمثّل الوجود الإنساني على ظهر هذا الكوكب، وهذا ما أشارت له الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣، ومن الطبيعي أنه لا يتمّ التعارف الذي يؤسّس إلى قاعدة أخلاقية صلبة بين الآخرين، ما لم يكن مبنيًّا على قيم أخلاقية رفيعة، ولعلّ أساس كلّ تلك القيم يرتكز على قيمة التواضع، بوصفها منطلقًا إنسانيًا شاملاً يُحقّق أعلى نِسَب المقبولية عند جميع الأمم والحضارات، على اختلاف توجّهاتها الفكرية والعقديّة، وعبر تلك القيمة الأخلاقية الرفيعة تُجسّر المصالح البشرية الأخرى سواء أكانت مقتصرة على تغطية حاجات الجسد، أم كانت معنويّة تُشبع نهم العقل الباحث عن أجوبةٍ لأسئلته النافرة من صميم مُشكلاته حول الهم الاجتماعي الذي يعيشه، أو ما يعبّر عن طموحه لسبر أغوار الآخر بوصفه مشاركًا له في كثير من القضايا التي تجمعهما في بودقةٍ واحدة متمثّلة بالوجود الإنساني.

ومن منطلق الأهمية القُصوى لقيمة التواضع، كان للباحث أنْ يسلّط الضوء

على هذه القيمة بين ثنيّات الخِطاب لإمام البيان العربي، وإمام الإنسان الحقيقي الذي يبتغي احترام انسانيّته قبلَ كل شيء.

وكان للباحث بعد رصده ما يندرج تحت موضوع هذه الدراسة، أنْ يتوقّف عند محاور أساسية، تمثّل منطلقات البحث ومساربه التي تُمهّد الوصول إلى الغاية الأخلاقية التي سعى إليها الخطاب العلوي الأقدس، فكان على النحو الآتي:

المحور الأول: التواضع في المشغل الاصطلاحي للمفهوم.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للتواضع.

المطلب الثاني: ثنائية (التواضع/ والتكبّر) وموقعيّتهما الدلالية في الخطاب القرآني.

المحور الثاني: قيمة التواضع في الخطاب العلوي الشريف.

المطلب الأول: ضياع القيم الأخلاقية في أمة الغرب.

المطلب الثاني: مفهوم التواضع في الخطاب العلوي.

المطلب الثالث: مخاطر الاستكبار في تشويه الهوية الإنسانية – قراءة في الخطبة القاصعة.

وبعد ختام رحلتنا المعرفية، كان لنا أنْ نقف عند محطة قطف الثمار، من النتائج التي اجتهدنا في استنباطها من خلال تقليبنا مضامين الخطاب العلوي، ولعلّ بعضها كان مبثوثًا في ثنيّات البحث، ولكن كما هي العادة، أنْ يكون الختام لملمةً لتلك الثمار المُجتناة، قد لا تكون حصرًا للباحث بقدر ما تكون فاتحةً لباحثين أُخر بإمكانهم أنْ يتوغّلوا في مشاربها ومن ثمّ يخرجوا لنا ثمار أفكار لم تطأها خيول طموحنا بعد، وهذه سُنّة الحياة، إذ لا يقتصر العلم على واحدٍ من الناس، بل كلٌّ يُدلي بما عنده ويترك الشوط لآخرين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

المحور الأول

التواضع في المشغل الاصطلاحي للمفهوم.

ينبغي لنا حين التوجه لكشف دلالة مفهوم أنْ نعود به إلى جذره اللغوي الأساس الذي عبره تتبرعم مختلف الدلالات المبثوثة في لغتنا العربية، ومن ذلك المصدر (التواضع) الذي اشتُقّ من الفعل وضُعَ، يَوْضُعُ وَضَاعَةً وضَعةً وضِعةً: صَارَ وَضِيعاً، فَهُوَ وَضِيعٌ، وَهُوَ ضِدُّ الشَّرِيفِ، أو الدَّنِيءُ مِنَ النَّاسِ[١].

ومنه اشتُقّت الضَّعةُ والضِّعةُ: وهي خِلاف الرِّفْعةِ فِي القَدْرِ، يُقَالُ: فِي حسبَه ضَعةٌ وضِعةٌ، أما التَّواضُعُ فهو بمعنى: التَّذَلُّلُ. وتَواضَعَ الرجلُ: ذَلَّ. وَيُقَالُ: دَخَلَ فُلَانٌ أَمْراً فَوَضَعَه دُخُولُه فِيهِ فاتَّضَعَ. وتَواضَعَتِ الأَرضُ: انْخَفَضَتْ عَمَّا يَلِيهَا[٢].

وعند النظر صرفيًّا إلى صيغة المصدر: التواضع نجده مشتقًا من الفعل الثلاثي المزيد بحرفين، على وزن (تفاعل) التي تدلُّ غالبًا على المشاركة، مثل: تحاور، وتناقش، وتعايش، .. الخ، مشتقٌّ من الفعل (وضع) الشيء أي: حطّه وأنزله من مقامٍ إلى مقامٍ أدنى منه.. مثل قول العرب: وضعت الحربُ أوزارها، أي سكنت وهدأت بعد أن ارتفع السيف بين المحتربين، ومن هذه الدلالة بالإمكان أنْ نجد في الفعل (تواضع)

ومن معاني (تفاعل) هو التحلّي بصفةٍ قد لا تكون أصيلةٍ في المُتّصفِ بها، بقدر ما تكون ظاهرةً عليه لِمُدّة ومن ثمّ تزول بزوال الظرف الداعي إليها، مثل: تباكى، وتغابى،.. الخ وهُنا يُمكن أنْ يُقصد بالفعل (تواضعَ) أي تحلّ بخُلُق التواضع وأظهر ذلك الخُلُق على سلوكك مع الآخرين، فيُراد به أيضًا في هذا المعنى إفادة

تواصليّة مع الآخر.. ولا يُمكن أنْ يُطلب التواضع من شخصٍ لا يرغب في التواصل مع الآخرين، أو يتعذّر عليه ذلك التواصل كأن يكون في جزيرة لوحده أو محبوس في سجن انفرادي، فلمن يتواضع إذا لم يفترض وجود أحدٍ معه..؟

وبهذا تصبّ المادة اللغوية بكلا الدلالتين اللتين ذكرناهما، المعنى التواصلي مع الآخر..

المطلب الثاني: ثنائية (التواضع/ والتكبّر) وموقعيّتهما الدلالية في الخطاب القرآني.

اتضح لنا مما سبق، أنّ دلالة (التواضع) في أصلها، لم يكن معنًى محبّذًا يستحسنه العقل، حتى يكون قيمةً عليا يدعو إليها عُقلاء القوم، فهي تمثّل صفة رذيلة لا يتّصف بها إلا من لا خرجوا عن إطار إنسانيتهم التي وُهِبَت لهم من دون المخلوقات، فالإنسان كما نعلم حُرٌّ غيرُ مضطرٍّ على سلوكٍ معيّن، وكما هو معلوم أنّ «الحرية الشرط الأول في المسؤولية. وسواء تعلق الأمر بالمسؤولية أمام القانون أو أمام الله أو بالمسؤولية أما الضمير [...] فإن الحرية هي الشرط المسبق، شرط في قيام الأخلاق نفسها»[٣].

وهذا التخيير إنما يمثّل تكريمًا إلهيًّا له، حيث يجعل كل ما حوله من مخلوقاتٍ مسخّرةً له؛ لكونها لا تتمتّع بالشرط الإنساني المُميّز له، وهو (الحُرّية). وما ورد في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ البقرة: ٣٠، إيذانٌ بأهمّية تلك الحُرّية التي يتمتّع بها ذلك الخليفة، على الرغم من إفرازاتها التي يُفرِط في استعمالها بعضُ من لم يرعوا حقّها، بدليل أنّ الملائكة – وهي عقولٌ محض مسيّرة وليست مخيّرة– استلزمتْ خطابيًّا أنّ من نواتج تلك الخلافة – بمعنى

أنْ يكـون الإنسـان مخـوّلاً في إدارة شـؤون نفسـه- أنْ يصـدر عنهـا الجـور والظلـم بـما يُـؤدّي إلى سـفك الدمـاء، إلا أنّهـا عـلى أي حـال تُشـكّل فارقًـا مفصليًّـا يميّـز الإنسـان عـن سـائر الموجـودات، وفي الوقـت نفسـه تعـرّض الإنسـان إلى اختبـارٍ وجـوديٍّ تكشـف مـن خلالـه عـن مقـدار تحقّـق كينونتـه، فينجـح بعضهـم في ذلـك الاختبـار ويقـع آخـرون، فالإنسـان مهـما أُوتِي مـن مؤهّـلات تميّـزه عـن المخلوقـات الأخـرى، ولكنـه «لا يخلـق قيمـه بحريتـه المطلقـة ولكنـه يختارهـا مـن بـين القيـم التـي تعـرض نفسـها عليـه، وتدعـوه كل واحـدة منهـا لاختيارهـا والانخـراط تحـت لوائهـا»(٤).

وكان الكفـرُ نتيجـةً حتميّـةً لمـن يُعلـن اسـتكباره عـلى الخالـق، مهـما أُوتِيَ مـن مؤهّـلات ترفـع مـن شـأنه، إلا أنّ صفـة الاسـتكبار توقعـه وتُرديـه إلى المهالـك، وهـذا مـا كان في قصّـة إبليـس اللعـين الـذي أبـى أنْ يمتثـل أمـر الله سـبحانه بالسـجود لآدم، فقـال في كتابـه: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ البقـرة: ٣٤، وهـذا السـجود لم يكـن إلا مـن بـاب التواضـع لله ولمـن خلقـه الله، ولكـنّ الشـيطان أخذتـه العـزّة بعنصره وتناسـى أنّ مـن خلـق عنصره هـو الـذي أمـره بهـذا السـجود لمـن هـو يـراه أدنـى منـه في أصـل الخِلقـة، فـكانَ كافـرًا بـالله، أي عالمًا بحقيقـة جحـوده لله كالـزارع الـذي يُغطّـي البـذار بالـتُّراب، فـكان إبليـس كذلـك يُغطّـي إيمانـه باسـتكباره عـلى الخالـق العظيـم، الـذي تجلّـى عـبر سـلوكه المتمـرّد بعـدم امتثالـه أمـر السـجود، ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ النمـل: ١٤، ولعـلّ الوضاعـة مـن أبـرز صفـات مسـخ الهويّـة الإنسـانية وفشـلها في عـالم الإنسـان الـذي أُريـد لـه أنْ يكـون متميّـزًا عـن عـالم سـائر الموجـودات؛ ذلـك لأنّهـا تمسـخ الـشرط الأسـاس الـذي أراده الله سـبحانه وتعـالى للإنسـان، وهـو الحرّيـة الكفيلـة بخلـق كينونـة الإنسـان الخليفـة، ولأنّهـا صفـة تتناقـض مـع صفـة (العـزّة) التـي هـي مـن

صفات الله وفي الوقت نفسه أحبّها أنْ تكون في أوليائه المؤمنين، فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون: ٨. ويقتضي الخطاب القرآني – بوصفه خطابًا لذوي الألباب– أنْ يكون المنافقون من فاقدي تلك الصفة الربّانية الجليلة التي منحها لخاصة عباده المؤمنين، ممّن اتّصفوا بالعِزّة، بما يُظهر مكانتها وموقعيّتها الرفيعة.

بل وأكثر من ذلك حين يُخاطب الله سُبحانه أصحاب العقول، في أكثر من آية بما لا حاجة بنا إلى استعراضها بالتفصيل، ولكن لأجل أنْ نُربُط فيما يتّصل بموضوعنا، وهو أنَّ القرآن الكريم بما فيه من مضامين جليلة إنّما وُجّهت بوصفها رسائل يعيها العُقلاء من البشر، فحين يدعو الله سبحانه إلى التفكّر، إنّما يدعو إلى الاتّضاع والركون إلى الآخرين في تقليدهم واتّباع ما يرونه، إنّما أراد لهم أنْ يكونوا أحرارًا في خياراتهم ومستقلّين عن المجموعات التي يعيشون معها في اتّخاذ قراراتهم، وهذا ما صرّحت به الآية الكريمة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ سبأ: ٤٦، أما اتّباع الآخرين فلا يعني إلا إقرارٌ بالذلّ والضِعة، وبمعنى آخر إنما يمثّل انسلاخًا عن الهويّة الإنسانية الممتزجة ببعض الصفات التي منحها الله سبحانه حُبًّا بمن خلقهم.

أمّا صفة التواضع، فهي مما دفع إليها الذوق العُقلائي ويتبعه الشارع الأقدس في من يستحقّ التحلّي له بهذه الصفة؛ ذلك أنّها تمثّل «تحقير النفس وإهانتها بالنسبة إلى عظمة الله وقبول الحق بحسن الخلق»(٥). وبهذا تكون من الصفات الخاصّة الاستعمال – إذا صحّ الوصف– لما فيها من سعةٍ دلاليّة قد تأخُذُها إلى ما يسحبها عن تلك الدلالة الإيجابية؛ ولذلك كان التحديد سياقيًّا بوضعها في

ما يدلُّ على رضا الله وطاعته، لتكون بعدها قيمة محمودة تعزّز الهويّة الإنسانية للمؤمن، وتحرّكه للتواصل المثمر مع الآخرين فيما تُفضي به العلاقات الإنسانية من شتى نشاطات اجتماعية لا يمكن لها أنْ تكون إلا بتوفّر هذه القيمة الأخلاقية، وما تستدعيه من صفات أخلاقية أخرى تتحرّك في ظلال قيمة التواضع وتعمل على تهيئة الجوّ الإنساني الملائم لتنشئة أجيال سعيدة قادرة على النهوض بواقعها ومجابهة الأخطار بخُطًى واثقة ممّا تقوم به.

وبالنظر إلى مجمل الخطاب القرآني، نجد أنّ التواضع هو المِلاك في تعامل الإنسان مع خالقه في العبادة مثلاً، وكان الخشوع إحدى أبرز مظاهر التواضع لله، التي تُبرز مكانة المؤمن الحقيقي عن سواه، فقوله سبحانه: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾البقرة: ٤٥ دليلٌ على أنّ الخشوع وهو التواضع، هويّة المؤمن الذي يتحرّر من قيود المادّة، حين يُعلن انتماءه إلى الله غير تابعٍ لأحدٍ، وهذا الاتّباع إنما جاء عن طريق تفكيره بأنّ كل ما حوله يستحيل أنْ يكون بلا خالقٍ أوجده، فخضوعه لله يترجم عمق إيمانه بذلك الخالق، فالصلاة التي يُؤدّيها إليها ما هي إلا أقلّ الواجب من حقوق المُنعم عليه، وهذا هو خُلُق الملائكة الذين أذعنوا لله الواحد الأحد، فكانوا له متواضعين في الانقياد إليه، يقول سبحانه: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ** ﴾ الأعراف: ٢٠٦.

ويقف الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) عند قوله تعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ الإنسان: ٢ مُتأمّلاً إلى ما فيه من إشارةٍ جليّةٍ إلى ضرورة أنْ يكون التواضع سلوكًا يتمثّله الإنسان في عبادته لله سبحانه؛ لأنّ ((إنشاءه كان من نطفة تستقذرها الخلائق، ومن علقة ومضغة يستخبثها كل أحد،

وبعد الممات يصير جيفة قذرة، ومن كان هذا شأنه، لم يحسن التكبر في مثله؛ فكان في تذكير أوائل الأحوال وأواخرها موعظة لهم؛ ليتعظوا، ويتبصروا، وتعريفٌ لهم أن التكبر لا يحسن من أمثالهم؛ فيحملهم ذلك على التواضع وترك الافتخار والتجبر))[٦].

ولذا كان التواضع سمة الأنبياء والأولياء الصالحين الذين يمثّلون القمّة في السلوك الإنساني، ومن ذلك قوله تعالى حكاية على لسان نبيه عيسى (عليه السلام): ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[مريم: ٣٢] يَقُولُ: وَلَمْ يَجْعَلْنِي مُسْتَكْبِرًا عَلَى اللهِّ فِيمَا أَمَرَنِي بِهِ، وَنَهَانِي عَنْهُ شَقِيًّا وَلَكِنْ ذَلَّلَنِي لِطَاعَتِهِ، وَجَعَلَنِي مُتَوَاضِعًا[٧]. وكانت إحدى وصايا لقمان الحكيم أنه أوصى ابنه بحسب ما ورد في قوله: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾لقمان: ١٩ أي أَمَرَهُ بِالتَّوَاضُعِ فِي مَشْيِهِ[٨].

أما فيما يخصُّ رسولَنا الخاتم لرسالات السماء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كانت التوصيات الإلهية دومًا ما تُشير إلى ضرورة أنْ يكون النبيُّ متواضعًا للآخرين، ففي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] قال ابن عباس (رض) ((عَلَّمَ اللهُ تعالى رسولَه التواضع لئلا يزهى على خلقه، فأمره بأن يقر على نفسه بأنه آدمي كغيره إلا أنه أكرم بالوحي، وهو قوله: ﴿يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾))[٩].

وفي السياق الاجتماعي أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بالتواضع لوالديه، فقال سبحانه: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ الإسراء: ٢٤. وَيُطْلَقُ الذُّلُّ عَلَى لِينِ الْجَانِبِ وَالتَّوَاضُعِ، وَهُوَ مَجَازٌ، وَمِنْهُ مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ. فَالْمُرَادُ هُنَا الذُّلُّ بِمَعْنَى لِينِ الْجَانِبِ وَتَوْطِئَةِ الْكَنَفِ، وَهُوَ شِدَّةُ الرَّحْمَةِ

وَالسَّـعْيُ لِلنَّفْـعِ[١٠].

عـبر مـا اسـتعرضناه آنفًـا نوجـز القـول: إنّ التواضـع بوصفـه قيمـة أخلاقيـة تُعـلي مـن شـأن الإنسـان بأثـره التواصـلي مـع الآخريـن عـلى العكـس مـن مفهومهـا اللفظـي الظاهـر، وهـذا مـا يُشـكّل نقطـة الافـتراق بـين مفهومهـا الظاهـر ومفهومهـا العمَـلي – إنْ صـحّ الوصـف- حيـثُ تنكشـف مسـاحة الحريّـة الكامنـة في ذات الإنسـان بهـذه القيمـة، فيرتقـي أخلاقيًـا إنْ راعـى التعامـل وفقهـا، وبالعكـس مـن ذلـك يسـقط في حبائـل الانغـلاق عـلى الـذات قبـل الآخريـن، هـذا لأنّ التواصـل ينبنـي عـلى قناعـة كلّ طـرفٍ بالاسـتفادة المتحققـة مـن الآخـر، وهـذه الاسـتفادة لم تكـن حكـرًا لأحـد مـن دون الآخـر، بـل هـي خصيصـة جوهريـة قـام عليهـا التنـوّع الإنسـاني منـذ النشـأة الأولى لـه وإلى يـوم النـاس هـذا، فـإذا اضمحلّـت عُـرى التواصـل الإنسـاني التـي يترتّـب عـلى ثمارهـا تزايـد الألفـة بـين المجتمعـات وانفتاحهـا ثقافيًّـا بـما يكـسر تلـك الصـور النمطيـة الراكـزة في مخيـال كل مجتمـع عـن الآخـر، لم تكـن إلا أشـباح مجتمعـات هجينـة بثقافاتهـا، ومـن ثـمّ لا يسـود غـير الكراهيـات التـي لا تـودي إلا بالمزيـد مـن الانتهـاكات بحـقّ الآخريـن بوصفهـم عبيـدًا لا يسـتحقون سـوى الإخضـاع والسـيطرة عـلى مقدّراتهـم. وهـذا مـا لا يقبلـه منطـقٌ إنسـانيٌّ سـليم يـروم العيـش عـلى هـذا الكوكـب بسـلام وأمان.

المحور الثاني

قيمة التواضع في الخطاب العلوي الشريف.

المطلب الأول: ضياع القيم الأخلاقية في أمة الغرب.

مُخطئٌ من يظنُّ أنّ القيم الإنسانية هي مجرّد أوهام لا تقدّم للمجتمعات البشرية شيئًا من الفائدة، محتجًّا بما يجده عند المجتمعات الغربية من تقدّم تكنولوجي على مختلف الأصعدة على الرغم من هدرهم تلك القيم، أو استعمالهم إياها بطريقة كيفية تتبع حسابات الربح والخسارة في عالم سوق المال، فتفوّق الغرب قام على مبدأ (فائض القيمة التاريخي) الذي تحقّق عبر استعمارهم بقية دول العالم، على الرغم من عدم نُكراننا ما قدّمته الثورة العلمية التي أدّت إلى طفرة اقتصادية تشيّدت على أركانها الدولة الوطنية الحديثة، ومن ثمّ جعلها دولة قانون ومؤسسات ديمقراطية، إلا أنّ وراء ذلك الازدهار كان هنالك نهبٌ لخيرات المستعمرات وتسخير سُكّانها، وبالنتيجة تراكمت لديهم الثروة الاقتصادية التي أنعشت الجانب السياسي والتكنولوجي(١١)، بمعنى أنّ التطور التقني صاحبه انسلاخ المضمون الإنساني لدى تلك المجتمعات، فكانت الأسلحة الفتّاكة التي تقتل الملايين من الشعوب إذا ما تحرّكت منتفضةً لأجل استرداد كرامتها، فكانت تلك التقنية لأجل الحفاظ على تلك المركزية الغربية القائمة على الاستكبار على الآخرين، بما يُقصيها عن التواصل الإنساني المنشود.

وعليه نستطيع القول: إنّ الحضارة الغربية الحديثة لم تُسهم كثيرًا في إثراء المنظومة الأخلاقية، وهذا ما شهد به علماء الغرب، ومن أولئك الكاتب الانجليزي (جود) بقوله: «إنّ الحضارة الحديثة ليس فيها توازن بين القوّة

والأخلاق، فالأخلاق متأخّرة جدًّا عن العلم، فقد منحتنا العلوم الطبيعية قوّةً هائلة، ولكننا نستخدمها بعقل الأطفال والوحوش... فالانحطاط هو خطأ الإنسان في فهم حقيقة مكانته في الكون، وفي إنكاره عالم القيم، الذي يشمل قيم الخير والحق والجمال»[١٢]، وتقول الكسيس كارليل: «في المدينة العصرية قلّما نشاهد أفرادًا يتّبعون مثلاً أخلاقيًّا، مع أنّ جمال الأخلاق يفوق العلم والفن من حيث إنه أساس الحضارة»[١٣]، وبهذا يمكن أنْ نفاضل الحضارة الإسلامية التي قامت على القيم والأخلاق، فكان أساس بعثة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ليتمم مكارم الأخلاق ويكملها، وذلك بعد أنْ تشرذمت وتفرّقت وأهمِلَت بين الأمم والحضارات؛ هذا لأنها كانت وحيًا من الله سبحانه وتعالى، فكان مصدرها التشريع الإسلامي منذ خمسة عشر قرنًا من الزمان[١٤]. ومن ثمّ كانت النتيجة في مثل هذا المجتمع أن تكون الوسائل بديلاً للغايات، وتتصاعد نزعة الاستهلاك المادي التي تعمل على تدمير الذات والقيم القديمة، من دون أن تتمكن من بناء ذات جديدة، مما يجعل الإنسان في حياته الفردية موزعًا بين قيمٍ فقدت زمنها وحاضرٍ لا يستطيع بلورة قيم تناسبه، الأمر الذي يُؤدي إلى ضياع القيم واندحارها فيما بعد[١٥].

المطلب الثاني: مفهوم التواضع في الخطاب العلوي.

إذا أردنا أنْ نسلّط الضوء على أهميّة التواضع بمنظور الإمام علي (عليه السلام) كان لنا أنْ نقرأ قوله: ((**ولا حسبَ كالتواضع**))[١٦]، بعدّهِ أعلى قمّة يبتغيها الإنسان، ومعلومٌ أنّ الحسب «هُوَ مَا تعده من مفاخر آبَائِك، أَو الْمَال، أَو الدّين، أَو الْكَرم، أَو الشّرف فِي الْعقل، أَو الْفِعْل الصَّالح، أَو الشّرف الثَّابِت فِي الْآبَاء»[١٧]. أي كلُّ تلك المفاخر لا ترقى إلى ما يتمتّع به الإنسان من تواضعٍ لله أو مع عباده الصالحين.

وفي وصف المتّقين، كانت واحدة من أبرز علاماتهم التي شخّصها أميرُ المؤمنين (عليه السلام) هي التواضع، بقوله: ((**فالمتقون فيها هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع**))(١٨)، بمعنى أنّهم لا يُظهرونَ زهوًا على الآخرين يُوجب اجتناب الناس عنهم، بل هُم يتّخذون التواضع شعارًا يعبّرون من خلاله عن انتمائهم للآخرين على الرغم من عُلُوّ شأنهم عند الله سبحانه؛ لعلمهم أنّ الله وحده ممّن له الحق في الكبرياء على جميع مخلوقاته. وفي نصٍّ آخر يبيّن الإمام (عليه السلام) أنَّ تواضعه لغايةٍ مُسبقة، بمعنى أنّ تواضعه يعبّر عن وعيٍ عميق بمضمون هذه القيمة الأخلاقية، فيقول عنهم: ((**بُعدُهُ عمن تباعد عنه زهد ونزاهة . ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة. ليس تباعده بكبر وعظمة ، ولا دنوه بمكر وخديعة**))(١٩) فكلُّ حركةٍ يقوم بها إنّما تُترجم بُعد نظره وعميق إيمانه، فحين يربأ بنفسه – بوصف هذا السلوك تكبُّرا- فهو لأجل أنْ يحافظ على تقواه ولا يمكن بحال أنْ يكون مثل هذا التصرّف ينمّ عن تعجرفٍ منه، وحين يتواضع للآخرين ويدنو منهم في مجمل سلوكه مثل أنْ يبدأ السلام أو يبشّ في وجوه الآخرين أو يخفض صوته حين يتحدث معهم أو غيرها من سلوكيّات يوميّة، فلأجل تمتين أواصر العلاقة مع من يستحقها من أفراد المجتمع، ومن ثمّ تصبّ النتيجة في إضفاء تلك القيمة لُبوسًا معرفيًّا يوجّه صاحبها إلى الصحيح من السلوك في المقام المناسب وإلى ما عداه فيما إذا تغيّرت شروط المقام الذي يكون فيه.

وفي قوله (عليه السلام): ((**وبالتواضع تتم النعمة**))(٢٠) يظهر جليًّا ما توفّره هذه القيمة من فوائد تعود على صاحبها بالخير، إذ من الطبيعي أنْ يكون محطّ ثقة الناس ومحلّ احترامهم – بصفةٍ عامّة- ومن ثمّ يُؤهل إلى ما هو أعلى مقامًا بين

النـاس.

ويُلحـظ المقـام السـياقي الـذي يُحـدّد دلالـة هـذه القيمـة الأخلاقيـة، فيجعلهـا في موضـع مـا مقبـولاً، وفي موضـعٍ مـا مذمومًـا، وذلـك في مثـل قولـه (عليه السلام): ((**وَمَـنْ أَتَى غَنِيّاً فَتَوَاضَعَ لَهُ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ**))(٢١) فهنا يعمل الفكر التداولي في تحديد هـذه الدلالـة، إذ كـما هـو معـروف أنّ معنـى الخطـاب يتحـدد في ضـوء الظـروف التـي يـرد فيهـا، وهـذا مـا عـبّرت عنـه البلاغـة العربيـة القديمـة بـ(مقتضى الحـال ولـكل مقـامٍ مقـال) فلـم يكـن التواضـع بوصفـه سـمة أخلاقيـة تعمـل عـلى التواصـل الخلّاق بـين الآخريـن، سـوى وسـيلةٍ ذاتيّةٍ تنطلـق لتحقيـق مـآرب آنيـة مـن قبـل الفـرد، وهـو بهـذا لم يُـراعِ أظهـر سـمات شـخصيّته المتحقّقـة بإنسـانيته ومعرفـة قـدر نفسـه، بـل كان مثـل ذلـك التواضـع يـمارسُ تشـويهًا لتلـك الهويّـة التـي أراد الله تعزيزهـا في الإنسـان، ومـن ثـمّ تكـون النتيجـة مـا أشـار إليـه حديـث الإمـام (عليه السلام) بضيـاع ثلثـا ديـن الإنسـان، والديـن لغـةً بمعنـى الالتـزام، فـلا يبقـى والحالـة هـذه إلا شـعائر ذلـك الديـن مـن دون أثـرٍ لتجلّياتـه عليـه، كذلـك إنَّ في التواضـع للأغنيـاءِ إعـلامٌ لهـم بوجـوب احترامهـم مـن قِبَـل الآخريـن ومـن ثـمّ الإذعـان لهـم، في حـين أنهـم لم يكـن بينهـم وبـين الآخريـن سـوى فـرق العامـل الاقتصـادي الـذي أتـاح لهـم أنْ يكونـوا مرفّهـين بهـذه الأمـوال، وخضـوع الآخريـن لهـم لا يُشـعِرهم بالتقصـير لتقاعسـهم عـن أداء حقـوق مـا عندهـم إلى الآخريـن، بـل يمدّهـم في طغيـان الغطرسـة والتبخـتر اللامسـؤول تجـاه المجتمـع، الأمـر الـذي يُراكـم مـن تفاقـم المشـكلة الاجتماعيـة ويُعمّـق الهـوّة بـين أفـراده.

وفي المقابـل يُحـدّد الإمـام (عليه السلام) أنّ أفضـلَ التواضـع وأعـلاه أثـرًا في المجتمـع، حـين ينطلـق مـن عِليـة القـوم الأغنيـاء الذيـن أُوتـوا فضـلاً مـن المـال، لِمَـن حُرِمـوا منـه، وذلـك في قولـه: ((**مَـا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ اللهِ وَأَحْسَنُ مِنْهُ**

تِيهُ ٱلْفُقَرَاءِ عَلَى ٱلْأَغْنِيَاءِ اِتِّكَالاً عَلَى ٱللَّهِ))[٢٢] إذ ينفرد هذا الحديد بتحديد قيمة التواضع وما يُعاكسها في الاتّجاه إلا أنّهما بحسب السياق النصّي تمثّلان قيمتين فاضلتين يُحبّذهما العقل قبل الشرع؛ لما فيهما من آثار اجتماعية تنعكس فيما بعد على المجتمع، وتبعث على تذويب الفوارق التي صنعتها الوفرة الاقتصادية بين الجميع، فالتواضع الذي يدعونا إليه الإمام (عليه السلام) ليس لأجل منفعة شخصية، بل لأجل منفعة اجتماعية عامة، فالغني حين يتواضع، إنّما يُكرم نفسه، بإكرامه الآخرين بما يجود به عليهم من مالٍ اختبره الله فكان عليه مسؤولاً يوم القيامة، أما إذا كان خطابه معبّرًا عن اعتزازه بقدراته من دون الاستعانة برازقٍ يهب لمن يشاء ويقدر على من يشاء، فهو ساقطٌ في هذا الاختبار الذي عبّر القرآن الكريم: ﴿**فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ الزمر: ٤٩، وهنا يكون الوعي الوجودي لهذا الغنيّ سببًا في اجتيازه عقبات هذا الاختبار، ما يُمكن أنْ نصفه بالوعي العميق لدى الإنسان – بالمعنى الإفلاطوني- الذي يمثّل شعوره بالمصير التاريخي لمجتمعه، وعلاقته بالمقدّرات الراهنة بالنسبة إليه وإلى مجتمعه، وإلى الشعور بانضمامه وارتباطه بالمجتمع وشعوره بالمسؤولية تجاهه، ولفلسفة الحياة وما تنطوي عليها من شبكة العلاقات، سيما في الرباعية المحورية التي خطّطها علي شريعتي: (الإنسان – ذاته)، (الإنسان – المجتمع)، (الإنسان – الطبيعة)، (الإنسان – الله) وبهذا تكون نباهة الإنسان الفردية والاجتماعية مندرجةً تحت ما سمّاه بـ(الوعي الوجودي)، إذ (الذات، المجتمع، الطبيعة، الله) مجتمعةً تُشكل الوجود بالنسبة للإنسان[٢٣].

أما الأفضلُ من ذلك مقامًا عند الله، حين يحفظ الفقيرُ من عباده ماء وجهه، ولا يريقه لأجل استحصال الزهيد من أموال أولئك المستكبرين، وفي ذلك تحقيق

لمبدأ العزّة التي من شأنها أنْ تحمي الإنسان من الوقوع في شراك التبعيّة للآخرين ممّن لا خلاق لهم، فالتيه الذي يُذمّ عليه الإنسان بصفةٍ عامةً غدى أحسن وأفضل من تواضع الأغنياء للفقراء؛ وذلك لأنّ الشخص المتّصف به لم يكن إلا منطلقًا من صميم إيمانه بالرازق القادر على كل شيء أنّه لا سواه قادرٌ على أنْ يبدّل حاله إلى أفضل، وإنْ لم يُبدّل حاله، فذلك لا يُخرجه إلى حدّ الاعتراض، بل يرى أنّه اختبارٌ عليه أنْ يتخطّى صعابه متوكّلاً في كل ذلك الله.

ويُلاحظُ عبر هذا الحديث أنّه بالإمكان جمع كلا القيمتين الأخلاقيّتين في سلوكِ شخصٍ واحد، فيكون المؤمنُ متواضعًا لله من حيث أداؤه عبادته إليه، ومع الناس المؤمنين خافضًا جناحه لهم، وكذلك بإمكانه أنْ يتكبّر أو يتّصف بصفات تُحيل إلى هذه القيمة الأخلاقية من زهوٍ وعُجبٍ وتِيه وعزّة بالنفس لمن يستحقُّ مثل هذا السلوك من الأغنياء الذين دائمًا ما يرون الناس بمنظور استعلائي؛ لكون تلك القيمتين (التكبّر/ التواضع) بينهما نسبة تضاد – كما في علم المنطق– لا نسبة تناقض، أي «أنّ التكبّر منا أنه صفة وجودية فكذلك التواضع صفة وجودية نفسانية أيضًا ويقعان على الضدّ من الآخر في واقع الإنسان ونفسه، وليسا من قبيل الوجود والعدم الذي يستلزم بالضرورة وجود أحدهما عدم الآخر بالتبع»(٢٤).

المطلب الثالث: مخاطر الاستكبار في تشويه الهوية الإنسانية – قراءة في الخطبة القاصعة.

ولما كان تحذير الناس من إغواء الشيطان من جملة المهام الكبرى للأنبياء. فقد كان الإمام يهدف من كل ذلك إلى تأكيد عداوة الشيطان في النفوس لتنصرف إليه غريزة العدوان. وأعظم خطبة تضمنت ذلك، وتجلى فيها غرض الامام الاجتماعي هي خطبته المسماة (القاصعة). ففيها صرح الامام بأن الاجتماع الانساني الحق لا

يمكن أن يجتمع مع النزعة القبلية. وفيها يصرح بأن النزعة القبلية ان هي إلا ارث شيطاني يزينه الشيطان لأوليائه[٢٥]. وفيها يبين أن الشيطان احق بالمحاربة من هؤلاء الضعفاء الذين يقع عليهم الظلم ويلحقهم الحيف بسبب النزعة القبلية. وذلك في قوله (عليه السلام): ((...**واتَّخِذوا التواضعَ مسلحةً بينكم وبين عدوكم إبليس وجنوده، فإن له من كل أمة جنودا وأعوانا، ورجلا وفرسانا . ولا تكونوا كالمتكبر على ابن أمه من غير ما فضلٍ جعله الله فيه سوى ما ألحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد، وقدحت الحمية في قلبه من نار الغضب، ونفخ الشيطان في أنفه من ريح الكِبْر الذي أعقبه الله به الندامة، وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة والحرص والكبر والحسد دواع إلى التقحم في الذنوب، واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر**))

في هذا النص من خطبة الإمام، عدّة أوامر ونواهٍ ذكرها الإمام، بمعنى أنّ مضمونها احتوى على مضامين أخلاقية مهمّة دعت الإمام أنْ يجعلها طلبات يأمر بها أتباعه؛ لأجل تهذيب أخلاقهم من فساد أخلاقيٍّ مستشرٍ في عصره، ألا وهو داء الكِبْر، الذي أوقع إبليس - وهو المقرّب من بين جنسه من الجنّ حتى نال مراتب جعلته في صفوفِ الملائكة- بشراك الذنوب المُهلكة، فالتواضع يمثّل مفتاح نجاح الإنسان وارتقائه اجتماعيًّا في الدنيا باتّباعه الصالح من الأحكام؛ لأنّ امتثاله لدستور الصلاح الموجود في القرآن وترجمانه المتمثّل بأئمة أهل البيت (عليهم السلام) ما هو إلا ارتقاءٌ وصعود إلى العالم المثال الذي يريدُهُ الله للإنسان الخليفة، ولا يكون ذلك إلا بالتواضع، فهو سلاح، بل أكثر من ذلك، حين يصوّره الإمام علي (عليه السلام) بالمسلحة، أي الموضع الذي يُدّخر فيه السلاح، أو ما يُسمّى بالمشجب، وهو تشبيه بليغ رائع، اختصر لنا الكثير من الكلام، حين يكون التواضع مصدر قوّة

للإنسان المسلم الذي لا ينفد سلاحه بوجه إبليس الذي رفع شعار الاستكبار وما يحمله من مفردات الرذائل الأخلاقية الأخرى: التكبّر، العُجب، العصبيّة، التِيه، الاختيار، التفاخر،.. فمثل هذه الأدواء لا يُقضى عليها إلا بالتواضع فهو يقمعها، ويستأصلها من شأفتها، وذلك حين يتمثّله الإنسان ويجعله شعارًا ومنهجًا يطبّقه في سبيل الارتقاء بإنسانيته فيما يُرضي الله سبحانه وتعالى.

ثم يعرّج الإمام (عليه السلام) إلى مرجّحات عُقلائيّة، يستمدُّها من الواقع التاريخي الذي لا يختلف عليه اثنان، وهي مرجّحات يستلزم منها تعضّد الأمر الذي يلتمس استجابة تحقيقه لدى الجماعة المخاطَبة، وفي الوقت نفسه تعمل على إضعاف المرتكزات التي يتمسّك بها من يتّصف بذلك الوصف، ومن ثمّ تُشارك في إزالة رُكام القناعات التي ملأت ذهن تلك الجماعة، فيقول (عليه السلام): ((**فلو رخص الله في الكبر لأحدٍ من عبادِهِ لرخَّص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه. ولكنه سبحانه كرَّهَ إليهم التكابر، ورضي لهم التواضع. فألصقوا بالأرض خدودهم، وعفروا في التراب وجوههم. وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين، وكانوا أقواما مستضعفين. وقد اختبرهم الله بالمخمصة، وابتلاهم بالمجهدة. وامتحنهم بالمخاوف، ومخضهم بالمكاره. فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد جهلا بمواقع الفتنة والاختبار في مواضع الغنى والاقتدار، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾**[٢٦] **فإن الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون عليهما السلام على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصيُّ، فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزه فقال: «ألا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل» ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ**

ذَهَبٍ ﴾ إعظاما للذهب وجمعه، واحتقارا للصوف ولبسه. ولو أراد الله سبحانه بأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان، ومعادن العقيان، ومغارس الجنان، وأن يحشر معهم طيور السماء ووحوش الارض لفعل، ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء، واضمحلت الأنباء، ولما وجب للقابلين أجور المبتلين، ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين، ولا لزمت الاسماء معانيها. ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم، وضعفة فيما ترى الاعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى، وخصاصة تملا الابصار والاسماع أذى ولو كانت الانبياء أهل قوة لا ترام وعزة لا تضام، وملك تمتد نحوه أعناق الرجال، وتشد إليه عقد الرحال لكان ذلك أهون على الخلق))(٢٧).

من المناسب أنْ نسلّط الضوء على السياق الحافّ بإنتاج خطابٍ مُكرّس من بداية أول وحدة خطابيّةٍ فيه إلى آخره عن شجب العصبيّة والاستكبار وفي المقابل تحبيذ مسلك التواضع، وهذا ما يُساعد في فتح مغاليق النص بوصفه مرآةً تعكس ما يعتمل في الوسط الاجتماعي والثقافي الذي صدر منه، ولعل ما ذكره ابن ميثم البحراني ينفعنا في هذا المقام إذ نقل في سبب هذه الخطبة ((أنّ أهل الكوفة كانوا في آخر خلافته عليه السّلام قد فسدوا، وكانوا قبائل متعدّدة، فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته، فيمرّ بمنازل قبيلة أخرى فيقع به أدنى مكروه، فيستعدي قبيلته، وينادي باسمها، مثلاً يا للنّخع أو يا لكندة نداء عالياً يقصد به الفتنة وإثارة الشرّ، فيتألّب عليه فتيان القبيلة التي قد مرّ بها، وينادون يا لتميم و يا لربيعة، فيضربونه فيمرّ إلى قبيلته، ويستصرخ بها وتسلّ بينهم السيوف، وتثور الفتنة، ولا يكون لها أصل في الحقيقة، ولا سبب يعرف إلاّ تعرّض الفتيان بعضهم ببعض، وكثر ذلك منهم، فخرج عليه السّلام إليهم على ناقة فخطبهم هذه الخطبة))(٢٨).

إنّ وضع ما استعرضناه آنفًا من أسبابٍ موضوعية، يُرشِدنا إلى الغايات التي دفعت الإمام علي (عليه السلام)في قوله هذه الخطبة، ولعلّ أسبابًا أخرى تضافرت معها، متمثّلةً بتهيّج الحراك العصبي لدى الجبهة المناوئة لحكومة الإمام علي (عليه السلام)، فالدولة الأموية في الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان، قامت على مبدأ الاستكبار في الأرض، فلم يكن واليها مُذعنًا للحق حين دُعِي إليه، بل أكثر من ذلك كان ملتفتًّا عن مطلب خلعه من كرسيّ السلطة لكونه واليًا انتهت صلاحية حكمه بموت الخليفة الثالث، فلا بُدّ إذن من تنازله عن منصب الحكم، إبّان استلام الإمام علي (عليه السلام) الحكم، ولكنه أبى مُستكبِرًا إلا أنْ يبقى بمنصبه مستلهمًا التجربة الإبليسيّة في الاعتزاز بالذات، فكان أول من حول الخلافة ملكاً في الإسلام[29]، من دون الالتفات إلى أنَّ الحق لا يعلو عليه أحد، ولا يسوّغ الظلم الصادر منها بأي حال، إنْ كان مدفوعًا بأسبابٍ تنطلق من تصوُّرٍ واهٍ لا يعتمد الحقائق، بل يقوم على الأكاذيب والأوهام، كما قال المتنبي[30]:

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءت ظنونُهُ وصــدّقَ ما يعتادُهُ مــن تــوهُّمِ

فكان للإمام علي (عليه السلام) أنْ يستعرِض سيرة الأنبياء الصالحين الذين اجتباهم الله من دون خلقه ليكونوا أدِلّاء إلى طاعة الله، فكان التواضعُ أبرزَ سمةٍ عُرِفوا بها بين خلقه، بل أستطيع القول: إنهم ضربوا الأمثلة العُظمى في التواضع للآخرين، هذا لأنّهم علِموا أنّ ما يقومون به من سلوكٍ في عين الله، فضلاً عن أنّهم مكلّفون بهداية الآخرين وتنويرهم بها، وعندما يُؤمر الأنبياء أنْ يكونوا متواضعين للآخرين وما يُصاحب ذلك التواضع من إظهار المحبّة للمؤمنين مهما كان مقامهم، فإنّ وظيفة المؤمنين وتكليفهم الأخلاقي تجاه بعضهم البعض واضح؛ لأن الأنبياء يمثّلون القدوة والأسوة لجميع البشر[31].

ومـن المسـتحيل عقـلاً أنْ تنقـاد لهـم النـاس في حـالِ أظهـروا التكـبُّر والعُجـب بأنفُسِـهم، وهـذا الأمـر إنّـما لا يُخالـف السـيرة العُقلائيـة في مـن يُريـد انجـذاب الآخريـن لخطابـه فحسـب، بـل يُخالـف القيـم الإنسـانية التي يدعـو الأنبيـاء إلى تذكـير النـاسِ بالتحـلّي بهـا، والمبـادئ الأخلاقيـة التـي تنسـجم والفطـرة النقيّـة للإنسـان، ومـن تلـك القيـم التواضـع، فكيـف يدعـون النـاس إليـه – أي التواضـع – وهـم يتّصفـون بخلافـه..؟

إنّ أهميـة شـدّ المجتمـع عـبر خطـابٍ يُجسّـد القيـم الأخلاقيـة التـي سـار عليهـا الأنبيـاء (عليهم السلام) ممّـا يعمـل عـلى تفعيـل الهويـة الإنسـانية؛ هـذا لكـون مـن استعرضهم الإمـام (عليه السلام) في خطابـه كانـوا قـد أُرسِـلوا إلى أمـم مختلفـة وحملـوا كتـب سـماوية اختلفـت في عنواناتهـا إلا أنّهـا توحّـدت في مضمونهـا، بـما يدفـع الحواجـز النفسـية بـين الشـعوب، وتعمـل عـلى ردم مثـل تلـك التصـوّرات الراكـزة في مخيالهـا عـن تفـوّق أمّـة عـن سـواها؛ هـذا لأنّ الهويـة السـلبية دومًـا مـا تعتمـد عـلى ثنائيـة (نحـن/ هـم) التـي لا تعـرف الـذات إلا عـبر إقصـاء الآخـر، وبهـذا يجعـل النسـق الثقـافي لـكل أمـة في حالـة تربـص دائمـة ينقـضّ متـى مـا حانـت لـه الفرصـة وهـذا مـا يحـرّف الجميـل الثقـافي إلى قبـحٍ ثقـافي[٣٢].

وينفتـح خطـاب الإمـام عـلي (عليه السلام) في هـذه الخطبـة إلى احتـمالاتٍ أخـرى يفترضهـا عـلى مُتلقّيـه، لأجـل أنْ تكـون منفـذًا يعضّـد بهـا وجهـة رأيـه، ويُؤصّـل بهـا مبـدأه وجوهـر سـلوكه المسـتمدّ مـن سـيرة مـن سـبقه مـن الصالحـين، بوصفهـم خـير مصـداق لصياغـة الهويـة الإنسـانية للجماعـة المسـلمة؛ لأنّ الهويـة تمثّـل الرمـز أو العامـل المشـترك الـذي يُجمـع عليـه كل أفـراد الأمـة، مـن حيـث الانتسـاب والتعلّـق والـولاء والاعتـزاز، وهـذا الانتسـاب يكتسـب قداسـته؛ لأنـه ليـس موضـع شـك مـن طـرف أي فـرد، فهـي بهـذا

تمثّل قاسمًا مشتركًا بين الجميع، استنادًا إلى الخلفية الثقافية والتاريخية الواحدة، ومما يجعل هذا الاعتزاز بالهوية أمرًا مشروعًا، وحدة المصالح والمصير الواحد، وبهذا تكون الهوية مصداقًا للذات الجماعية لأفراد الأمة كلّهم[٣٣].

فيبيّن لهم الإمام (عليه السلام) أنَّ الله سبحانه قادرٌ على أنْ تكون مشيئتهُ في رُسله أنْ يجعلهم أفضل الناس من حيث الرفاهية الاقتصادية بأنْ يهيّئ لهم كنوز الأرض، فتكون تحت تصرّف أيديهم، ويكون أمر الدعوة إليه سهلاً لا مشقّة فيه؛ لما في هذه الثروات من إغراء للناس الذين ينصرفون إلى مصالحهم الدنيوية وتحقيقها بأسهل الطرق، ومن ثم يلتفّوا حول من يعرُضَ عليهم تلك الأموال والكنوز مقابل أنْ يتّبعوا دعوته، ولكانوا أوّل المدافعين عنهم، ولكن شاءت الإرادة الإلهية أنْ يختُبَرَ الناس من دون أيّ مغرياتٍ؛ لكون تلك المغريات منافيةً للحكمة عقلاً ومنطقًا؛ لأنها لا تكشف معدن إيمان الناس بالله على حقيقته، لكونها تنسجم ومصالحهم، فيكون بالنتيجة اتّباعهم لله عن طريق تلك المغريات، لا لأنه يستحقّ الاتّباع كونه الإله الواحد الأحد الذي يحق له الإذعان بالعبودية، ولا يحقّ لسواه الاتصاف بالربوبية، بل لأجل تلك الثروات التي يتهافت الناس على استحصالها، فإذا كان سبيل استحصالها متوقّفًا على العبادة، فما أسهلَ ذلك المطلب الذي لا يقف في طريق نيل مصالحهم من دون نصبٍ يبذلونه سوى العبادة.. وفي حينها يسقط الابتلاء – بمعنى الاختبار – لأنّ الناسَ لم يجدوا ثمة أي اصطدام بمصالحهم الدنيويّة التي حصلوا عليها، بل أكثر من ذلك حينَ يُبتلى الناس بأنبياءٍ هم دونَهم في المستوى المعاشي، فيكونوا أفقر حالاً من أيّ فقير، وبهذا تعظمُ البليّةُ حينَ يُؤمر الملك والسَوَقة من الناس بفعلٍ واحد، ويُعامل الجميع بشريعةٍ واحدة، وهنا يحضر التواضع بوصفه قيمةً إنسانيةً عليا ينبغي للإنسان أنْ لا يفرّط فيها، فيتواضع

للحق مهما كان عنوانه؛ لأجل ارتقاء مقامه في الدنيا والآخرة، ولا ينبغي التكبّر على الحق، فيردى ويهلك من سوء فعله مع الحق؛ ولذا كان السلوك الفرعوني مُنطلقًا من دائرة الأنانية الضيّقة التي تحجب كل محاولة للرقيّ بالمجتمع، ومن ثمّ فمن الطبيعي أنْ يكون منطق السُخريّة خطابًا تتبنّاه السُلطة الطاغوتية ممثّلةً بالحاكم الأعلى (فرعون) لتسفيه خطاب الأنبياء الداعي إلى وحدة الله وعبادته من دون شريك، بما عبّرت عنه الآية التي استشهد بها الإمام (عليه السلام) **فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ** ﴾ باعتبار أنّ ((**السِّوَارُ مِنْ شِعَارِ الْمُلُوكِ بِفَارِسَ وَمِصْرَ يَلْبَسُ الْمَلِكُ سِوَارَيْنِ. وَقَدْ كَانَ مِنْ شِعَارِ الْفَرَاعِنَةِ لُبْسُ سِوَارَيْنِ أَوْ أَسْوِرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ وَرُبَّمَا جَعَلُوا سِوَارَيْنِ عَلَى الرُّسْغَيْنِ وَآخَرَيْنِ عَلَى الْعَضُدَيْنِ. فَلَمَّا تَخَيَّلَ فِرْعَوْنُ أَنَّ رُتْبَةَ الرِّسَالَةِ مِثْلُ الْمُلْكِ حَسَبَ افْتِقَادَهَا هُوَ مِنْ شِعَارِ الْمُلُوكِ عِنْدَهُمْ أَمَارَةٌ عَلَى انْتِفَاءِ الرِّسَالَةِ**))[٣٤]، الأمر الذي جعله يستخفّ قومه بهذا الادّعاء الذي يُضلّل فيه على الحقائق، ولم يعلم أنّ الاستجابة الحقيقية للإنسان، حين يتجرّد من مصالحه الآنية الفانية، ويتّبع عقله الذي يُثوّره نداء الأنبياء، فهم أنبياءٌ ظاهرون والعقل نبيٌّ باطن – كما يُقال- وهذا لا يتحقّق إلا إذا كان التواضعُ مسبارًا يوجّه الإنسان ويُملي عليه طبيعة الاستجابة التي تتناسب ومستوى الخطاب وأهميّته.

أمّا إذا كانت المصلحة الآنية تمثّل القيمة العُليا للإنسان، فلا يمكن له أنْ يرتقي إلى ما يُحييه بوصفه فاعلاً في حركة التاريخ؛ ولذلك كان الصدام المستمرُّ –بحسب ما يوضح القرآن في مجمل خطابه- بين الأنبياء والمترفين؛ لأنّ هذا المُترف هو المستفيد من هذا المثال المنخفض، فدين التوحيد يستأصل مصالح هؤلاء المترفين بالقضاء على آلهتهم، وفي الوقت نفسه يقطع صلة البشرية بهذه (المُثل العليا المنخفضة) لأجلِ شدّهم بالمثل الأعلى المتمثّل بعبادة التوحيد[٣٥] التي

بوساطتها يتمّ نزع الأغلال الفكرية البالية التي تعمل على إيقاعه في شراك الرؤية القاصرة للآخرين، وتورّطه باتّباع هواه.

ويُحذّر الإمام (عليه السلام) من التداعي لقيمة الكِبْر وما تُفرزهُ من أخلاقيّات تنأى بالإنسان – فضلاً عن كونه مسلمًا – عن هويّته التي أُريد لها أنْ تكون مُؤشّرًا مائزًا لإنسانيّته، ومعلومٌ أنّ الهويّة لا يمكن أنْ تكون صفة طارئة للإنسان يخلعها متى شاء؛ فلذا كان التحذير من انطماسها بتظهير أخلاقيات منافية لذلك المخلوق الذي شرّفه الله على سائر مخلوقاته، بقوله (عليه السلام): ((فَاللهَ اَللهَ فِي كِبْرِ اَلْحَمِيَّةِ وَ فَخْرِ اَلْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مَلاَقِحُ اَلشَّنَئَانِ وَمَنَافِخُ اَلشَّيْطَانِ اَلَّتِي خَدَعَ بِهَا اَلْأُمَمَ اَلْمَاضِيَةَ وَاَلْقُرُونَ اَلْخَالِيَةَ حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ ومَهَاوِي ضَلاَلَتِهِ ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ سُلُساً فِي قِيَادِهِ أَمْراً تَشَابَهَتِ اَلْقُلُوبُ فِيهِ وَتَتَابَعَتِ اَلْقُرُونُ عَلَيْهِ وَكِبْراً تَضَايَقَتِ اَلصُّدُورُ بِهِ أَلاَ فَالْحَذَرَ اَلْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ اَلَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ وَأَلْقَوُا اَلْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ وَجَاحَدُوا اَللهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ وَمُغَالَبَةً لِآلاَئِهِ فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ اَلْعَصَبِيَّةِ وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ اَلْفِتْنَةِ وَسُيُوفُ اِعْتِزَاءِ اَلْجَاهِلِيَّةِ فَاتَّقُوا اَللهَ وَلاَ تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً وَلاَ لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً وَلاَ تُطِيعُوا اَلْأَدْعِيَاءَ اَلَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ وَ هُمْ أَسَاسُ اَلْفُسُوقِ وَأَحْلاَسُ اَلْعُقُوقِ اِتَّخَذَهُمْ ؟ إِبْلِيسُ ؟ مَطَايَا ضَلاَلٍ وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى اَلنَّاسِ وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ اِسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ وَمَأْخَذَ يَدِهِ فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ اَلْأُمَمَ اَلْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اَللهِ وَصَوْلاَتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلاَتِهِ وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ))[36].

بملاحظة هذه الفقرة من الخطبة أنّ الإمام جعل يُفرّع النتائج التي يصل

بها المتكبّر منها «باطنة كتحقير الغير وازدرائه، واعتقاد أنه ليس أهلاً للمجالسة والمواكلة والأنَفة عن ذلك. واعتقاد أنه يصلح أنْ يكون ماثلاً بين يديه وكحسده والحقد عليه، وكنظر العالم المتكبّر إلى الجاهل العامّي بعين الاستخفاف والاستجهال. وأما الظاهرة فكالتقدم عليه في الطرق والارتفاع عليه في المجالس، وكإبعاده عن مجالسته ومؤاكلته، والعنف به في النصح، والغضب عند ردّ قوله، والغِلظة على المتعلّمين وإذلالهم واستخدامهم، والغيبة والتطاول بالقول»(٣٧).

وتحذير الإمام (عليه السلام) لم يكن إلا لأجل إدامة التواصل الإنساني فيما بين أفراد المجتمع الذي يقوده، هذا لأنّ مثل هذه الأدواء التي حذّرهم منها، إنّما تبعث على التصدّع والفُرقة واتّباع الهوى وصولاً إلى التفسّخ الأخلاقي الذي يُنذر بدمار البنية المجتمعيّة التي يُفترض أنْ تتّصف بأجلى قيم الإسلام ممثّلةً بالتواضع، فهو الضمان الوحيد الذي يركّز مفهوم الهويّة الإنسانية التي بموجبها يصحُّ وصف (الإسلام) على من يتّصف بها؛ لأنّ الإسلام تسليمٌ بأوامر الشرع، والتسليم ليس إلا أبرز مصاديق التواضع، فإذا صحّ انطباقه على الجماعة، يتحقّق مفهوم (دوائر الانتماء) الذي يُوصف به «مجموعة من البشر، يشملهم وضعٌ اجتماعيٌّ لوصفٍ يتّصفون به بالتشابه فيما بينهم، ويكون هذا الوصف ذا فاعلية اجتماعية، أي يُشكّل لمن يتّصف به مركزًا اجتماعيًّا يتعامل به ويُؤثر في حقوقه وواجباته الفردية أو الجماعية، مما يُوجد صالحًا مشتركًا بين من يشملهم، ويُنتج وعيًا ثقافيًّا والانتساب إليه، ويُحرّك بواعث الدفاع عن وجوده»(٣٨).

وفي الجزء الثاني من كلامه (عليه السلام) الذي استشهدنا به قبل قليل، نجد التحذير ينصبّ على طاعة الكُبراء الذين اتّصفوا بالتكبّر، إذ لا يجوز الانصياع لمثل هؤلاء من باب التعصّب لكونهم ينتمون إلى القبيلةِ نفسها، أو لكونهم يشاطرون أتباعهم

بالفكر، ولكنهم انحرفوا بسلوكهم الأخلاقي المُشين، الذي ينبني عليه انفصالهم عن الجماعة، والشعور بالمسؤولية إزاء الآخرين، فمن ينشغل بملأ فراغ ذاته الجوفاء، لا يجد شيئًا يُشغله سواها، أما الذي ينطلق من معاناة الآخرين ويتواضع لهم من حيث البحث عن مشاكلهم والتفكير بجدّ لوضع حلولٍ تنسجم والواقع الاجتماعي المعيش، مثل هذا الشخص يستحق الاتّباع، لما قدّمه من جهود ترفع من شأن العام قبل الخاص.

ويتوفّر البديل الأخلاقي في خطاب الإمام علي (عليه السلام) حين يجد أنْ نزعة التعصّب دخيلة في سرائر المجتمع الذي يعيش فيه، فيحاول أنْ يُحيّدها إلى اتّجاه يلتقي بالمنبع الأخلاقي الرئيس المتمثّل بالتواضع، فمن خلاله تتفرّع الخصال الحميدة التي لا يمكن أنْ تجسّد في سلوك الإنسان ما لم يكن هنالك ثمة إرادة حقيقة معضّدة بالتواضع الذي يقهر النفس لأداء مثل تلك السلوكيات الحميدة، فيقول: ((**فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مِنَ اَلْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ اَلْخِصَالِ وَمَحَامِدِ اَلْأَفْعَالِ وَمَحَاسِنِ اَلْأُمُورِ لَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا اَلْمُجَدَاءُ وَاَلنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ اَلْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ اَلقَبَائِلِ بِالْأَخْلاَقِ اَلرَّغِيبَةِ وَاَلْأَحْلاَمِ اَلْعَظِيمَةِ وَاَلْأَخْطَارِ اَلْجَلِيلَةِ وَاَلْآثَارِ اَلْمَحْمُودَةِ فَتَعَصَّبُوا لِخِلاَلِ اَلْحَمْدِ مِنَ اَلْحِفْظِ لِلْجِوَارِ وَاَلْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ وَاَلطَّاعَةِ لِلْبِرِّ وَاَلْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ وَاَلْأَخْذِ بِالْفَضْلِ وَاَلْكَفِّ عَنِ اَلْبَغْيِ وَاَلْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ وَاَلْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ وَاَلْكَظْمِ لِلْغَيْظِ وَ اِجْتِنَابِ اَلْفَسَادِ فِي اَلْأَرْضِ**))(٣٩).

لا يخفى أن النص تمثّل فيه ما يُصطلح عليه بـ(المفهوم الثقافي) الذي يُركّز على ما تعارف عليه المجتمع سابقًا من الفضائل والشيم لإشاعتها بين الأفراد بوصفها تتواءم مع ما ترمي إليه الشريعة الإسلامي من إشاعة الأخلاق الحميدة، وبهذا تمثل مهمة تصحيح الإمام (عليه السلام) لمفهوم العصبية وغيرها من المفاهيم الخاطئة

التي درج الناس عليها، شعورًا بالمسؤولية الأخلاقية والشرعية تجاه المجتمع[٤٠].

وفي الختام نُلخّص القول: إنّ خطاب الإمام علي (عليه السلام) فيما يخصّ تركيز قيمة التواضع بوصفها مائزًا تُصاغ عبرها الهوية الإنسانية لجماعة المخاطبين، لم يخلُ من حُججٍ تُعضّد خطابهُ في نفوس السامعين، التي هي أبرز وجوع التفاعل الحي مع الآخرين، ولأنّ الحجّة تعمل على جانبين أحدهما: جانب الفعل والآخر: جانب الخُلُق، فالأوّل يتلخّص فيما يتوفّر في الباث من سلوكيّات تنطبق على سمات خطابه، ومن ثمّ تدعو الآخرين إلى التفاعل بما يبثّه من وصايا لهم، أما جانب الخُلُق فيقوم في فعل الاعتبار الذي يدخل فيه المتكلّم الذي يوجّه به سير الجانب التغييري من المخاطبة[٤١].

ولّما كان الإمام علي (عليه السلام) يمثّل المثال الذي يستطيع - كما يقول هيجل- أن يعبّر عن إرادة عصره في كلمات ويُخبر عصره ما هي إرادته ويُنيرها أو أنّ ما يفعله هو روح عصره[٤٢]، الأمر الذي يعمل على خلق قوى اجتماعية تغيّر شكل العالم وتجذّر الوعي عند قطّاعات كبيرة من المجتمع. حيث يذوب الفرد في طموح الجماعة؛ لأنّ الفرد لا يوجد حضاريًّا إلا في المجتمع، الذي يتكون من أفراد، وبذا يكون التفاعل بين الاثنين دائمًا، فلا إبداع ينجزه الفرد ما لم يكن هناك مجتمعٌ يهيئ له الظروف المساعدة على ذلك الإبداع[٤٣]، فالفرد العبقري إنما ينطلق من رحم تفاعله مع مجتمعه، فهو المصدر الأساسي للفعل والإبداع بحيث كان المجتمع مجالا حيويًّا تمّ ذلك الفعل الإبداعي داخل إطاره التواصلي.

ـ الخاتمة ـ

آن لنا أنْ نلقي عصا البحث، بعد أنْ استقرّ بنا الترحال على عتبة الخاتمة، وبإمكاننا أنْ نلخّص أهم تلك النتائج التي جهدنا قدر المستطاع أنْ يقف عندها، بحسب الآتي:

- لفت البحث أنّ مفهوم البحث من حيث الاشتقاق اللغوي، يدلّ على التواصل والاشتراك، وهذا ما ينسجم ومؤدّاه العملي الواقعي، فالتواضع إنّما ينظر إلى أثره الإيجابي أو السلبي بحسب الجهة التي يصدر بحقها، فتارةً يكون التواضع محمودًا، وتارةً يعد مذمومًا حين يكون ضربًا من ضروب الذل والضراعة لمن لا يستحق أنْ يُقابل بمثل هذه القيمة.

- كشف البحث النقاب عن أهمية هذه القيمة من حيث عرضها على الخطاب القرآني الكريم، وعلى الرغم من أنّ البحث لم يستعرض كل ما يتّصل بهذه القيمة أو يُعاكسها في النص القرآني، إلا أنّه كشف الأثر الكبير لها بما يتصل بسلوك الفرد مع ربه أو مع أهله أو مع الآخرين.

- ألقى البحثُ الضوء على انهيار القيم الأخلاقية في المجتمع الغربي وآثار ذلك الانهيار القيمي في التفكك المجتمعي الذي يعيشه المجتمع، فضلاً عمّا يُرافق ذلك من انسلاخ عن الهوية الإنسانية بقمع الآخر وتهميشه وصولاً إلى انسداد الذات بصنع الأسلحة التدميرية، كلّ تلك الآثار كانت نتيجة تراكم الصورة النرجسية في متخيّل تلك الشعوب بما يجعلها ترى نفسها دون الآخرين.

- يرى الباحث أهمّية الانطلاق من قيمة التواضع لا بوصفها قيمة أخلاقية دعا الإسلام إلى التحلّي بها فحسب، بل بوصفها قيمة إنسانية كبرى تجسّر العلاقة

بين الأمم ومن ثمّ ترصّن الجانب التفاعلي الاجتماعي الخلّاق فيما يرقى بالبشرية إلى دلالة الإنسان الخليفة.

- عمد الإمام علي (عليه السلام) إلى تأكيد سمة التواضع وبثّها في شتى خطاباته مع الآخرين، منسجمًا وسلوكه المستمدّ من الفطرة الإنسانية السامية، فضلاً عن كونه إمامًا مفترض الطاعة يمثّل خُلُق الإسلام الحقيقي.

- رصد البحث السياق الثقافي الذي يمثّل المحضن لكل خطاب، فلقد كشف أنّ ثمة أسبابًا كانت وراء تأكيد الإمام (عليه السلام) على هذه القيمة، بالنظر إلى العصر الذي نشز فيه كل ما يتمّ بالقيم الإنسانية النبيلة، واستُبدلت بقيم غريبة بعيدة عن الروح الإسلامية فضلاً عن الجوهر الإنساني الذي ينسجم والخطاب القرآني الرفيع.

- وظّف الإمام علي (عليه السلام) عدّة وسائل لترصين هذه القيمة الأخلاقية في مجمل كلامه، تمثّل بالأدلّة العقليّة، ومن ثمّ استشهاده بالأدلة النقلية التي كان القرآن أشهرَها وأكثرها حجّةً على الآخرين.

- لم يفُت الإمام أنْ يحذّر من عواقب الاستكبار على الفرد وعلى المجتمع، بما تعود عليه من آثار سلبية تتمثّل بسقوطه الأخلاقي في وحل العبودية لذاته، وامتهانه الآخرين من دون وجه حق، وفي ذلك انسلاخ من هويّته الإنسانية التي أريد لها أنْ تعمل على تقوية علاقته ببني جنسه من حيث احترامهم وقبولهم آخرَ مساوين له في الحقوق والواجبات.

هوامش البحث:

١. ينظر: لسان العرب: ٨/ ٧٩٣ .

٢. ينظر: لسان العرب: ٨/ ٧٩٣ .

٣. العقل الأخلاقي العربي - دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، محمد عابد الجابري:

. ٩٧

٤. نظرية القيم في الفكر المعاصر بين المطلقية والنسبية، د. الربيع ميمون: ٢٣٣ .

٥. ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي: ١١١ .

٦. تأويلات أهل السنة، الماتريدي: ٠١/ ٩٥٣ .

٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٥١/ ٣٣٥ .

٨. المصدر نفسه: ٨١/ ٣٦٥ .

٩. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي: ٣/ ٢٧١ .

٠١. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ٦/ ٧٣٢ .

١١. التحرير والتنوير: ٦/ ٧٣٢ .

٢١. مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي: ٤/ ٧٧ .

٣١. الانسان ذلك المجهول: ١٥٣ .

٤١. ينظر: الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، د. راغب السرجاني: ١ .

٥١. ينظر: النظرية النقدية التواصلية – يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، حسن مصدق: ٢٦ .

٦١. نهج البلاغة، الشريف الرضي: ٣/ ٠٨١ (ح/ ٣١١).

٧١. ينظر: أسئلة الثقافة في عالم متحول، د. علي أومليل: ٧٤ – ٨٤ .

٨١. نهج البلاغة: ٢/ ٣٨١ (ح/ ٨٨١) .

٩١. نهج البلاغة: ٢/ ٦٨١ (ح/ ٨٨١) .

٠٢. نهج البلاغة: ٣/ ٤٠٢ (ح/ ٤٢٢) .

١٢. المصدر نفسه: ٣/ ٤٠٢ (ح/ ٨٢٢) .

٢٢. المصدر نفسه: ٣/ ٤٥٢ (ح/ ٦٠٤) .

٣٢. ينظر: النباهة والاستحمار، د. علي شريعتي: ٤٥ .

٤٢. ينظر: النباهة والاستحمار: ٤٥ .

٥٢. الأخلاق في القرآن – فروع المسائل الأخلاقية، ناصر مكارم الشيرازي: ٢/ ٧٥ .

٦٢. سورة المؤمنون: ٥٥ – ٦٥ .

٧٢. نهج البلاغة: ٢/ ٨٦١ (ح/ ٧٨١) والآية من سورة الزخرف: ٣٥

٨٢. نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٤١٢ .

٩٢. ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٨/ ٤٤١ .

٠٣. ينظر: ديوان المتنبي: ٤/ ٥٩١ .

١٣. ينظر: الأخلاق في القرآن: ١٦ .

٢٣. ينظر: القبيلة أو القبائلية – هويات ما بعد الحداثة، د. عبد الله الغذامي: ٠١ .

٣٣. ينظر: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مجموعة باحثين: ٥٢ .

٤٣. التحرير والتنوير: ٥٢/ ٢٣٢ .

٥٣. ينظر: المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر: ٠٥١ – ١٥١ .

٦٣. نهج البلاغة: ٢/ ٥٦١ .

٧٣. نهج البلاغة، ميثم البحراني: ٤/ ٦١٢ .

٨٣. دوائر الانتماء وتأصيل الهوية، نادية مصطفى وآخران: ١٢ .

٩٣. نهج البلاغة: ٢/ ٢٧١ (ح/ ٧٨١).

٠٤. ينظر: الخطاب في نهج البلاغة – بنيته وأنماطه ومستوياته دراسة تحليلية،د.حسين العمري: ٧٢٢ .

١٤. ينظر: التواصل والحجاج، د. عبد الرحمن طه: ٩١ – ٠٢ .

٢٤. ينظر: فلسفة الحق، هيجل: ٥٩٢ نقلا عن (الإنسان والتاريخ: ١٢١) .

٣٤. الإنسان والتاريخ – أثر التاريخ وتأثره بسيكولوجية الفرد، د.كريستين نصار: ٢٢١ – ٣٢١ .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. الأخلاق في القرآن – فروع المسائل الأخلاقية، ناصر مكارم الشيرازي، المؤسسة الإسلامية، قم، ١٤٢٦هـ.
٢. الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، د. راغب السرجاني، موقع نصرة رسول الله، د.ط، د.ت.
٣. أسئلة الثقافة في عالم متحول، د. علي أومليل، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء المغرب، بيروت –لبنان، ط٢، ٢٠١١م.
٤. الانسان ذلك المجهول، الكسيس كاريل، ترجمة: عادل شفيق، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ط، د.ت.
٥. الإنسان والتاريخ – أثر التاريخ وتأثره بسيكولوجية الفرد، د.كريستين نصار، جروس برس، طرابلس – لبنان، ط١، ١٩٩١م.
٦. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨م.
٧. تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
٨. التحرير والتنوير، محمد بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.
٩. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة

والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ٢٠٠١م.

١٠. التواصل والحجاج، د. عبد الرحمن طه، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط – المغرب، د.ت.

١١. التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي (ت: ١٠٣١هـ)، تحقيق: عبد الخالق ثروت- القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٢. الخطاب في نهج البلاغة – بنيته وأنماطه ومستوياته دراسة تحليلية، د.حسين العمري، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

١٣. دوائر الانتماء وتأصيل الهوية، نادية مصطفى، أسامة مجاهد، ماجدة ابراهيم، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة – مصر، ط١، ٢٠١٣م.

١٤. ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ٢٠١١م.

١٥. العقل الأخلاقي العربي – دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، محمد عابد الجابري. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠٦م.

١٦. القبيلة أو القبائلية – هويات ما بعد الحداثة، د. عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط٢، ٢٠٠٩م.

١٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ

١٨. المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، مطبعة شريعت، قم، ١٤٢٤هـ.

١٩. مقدمات العلوم والمناهج محاولة لبناء منهج اسلامي متكامل، أنور الجندي، دار الأنصار، ط١، ١٩٧٩م.

٢٠. النباهة والاستحمار، د. علي شريعتي، تقديم: د. إبراهيم دسوقي شتا، دراسة وتعليق: عبد الرزاق الجبران، مراجعة: حسين علي شعيب، دار الأمير، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٢١. نظرية القيم في الفكر المعاصر بين المطلقية والنسبية، د. الربيع ميمون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠م.

٢٢. النظرية النقدية التواصلية – يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، حسن مصدق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٣. نهج البلاغة، تصنيف الشريف الرضي، شرح: محمد عبده، تصحيح: إبراهيم الزين، منشورات دار الفكر، بيروت، ١٩٦٥م.

٢٤. نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، منشورات دار الثقلين، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

٢٥. الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مجموعة باحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير وتقديم: رياض زكي قاسم، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٣م.

٢٦. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

نعم لدولة الإنسان

من خلال القيم الأخلاقية

لأمير المؤمنين علي (عليه السلام)

الدكتور فاضل عبد العباس محمد اللامي
باحث في الشؤون الإدارية والاجتماعية

إن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بخلقه الرحيم كان قد مثل الإسلام ومبادئه السمحاء، وقد قال فيه الباري سبحانه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**..﴾**(القلم: ٤)**، وخَلَّفَهُ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فلم تعرف الدنيا رجلاً جمع الفضائل ومكارم الأخلاق بعد الرسول الأعظم كالإمام أمير المؤمنين، فقد سبق الأولين، وأعجز الآخرين، ففضائله أكثر من أن تحصى، ومناقبه أبعد من أن تتناهى، وكيف تعد مناقب رجل قال فيه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يوم برز لعمرو بن عبد ود العامري: (**برز الإيمان كله إلى الشرك كله**).

تميزت سيرة أمير المؤمنين بخصال عديدة كان من أوضحها تعامله الإنساني مع الآخرين المبني على احترام الإنسان كإنسان، بغض النظر عن أي شيء آخر، والمحافظة على حقوقه وشخصيته المادية والمعنوية في أي موقع ومكان، ومهما كان حجمه ومستواه، وإن حضور هذا البعد في حياته هو الذي جعل من شخصيته شخصية إنسانية خالدة على مستوى البشرية كلها، وليس في تاريخ المسلمين وحدهم، وقد تمثلت في وصيته لولديه الإمامان الحسن والحسين (عليهما السلام) لما ضربه أبن ملجم لعنه الله، بقوله: (**أنه أسير فأحسنوا نزله، وأكرموا مثواه، فإن بقيت قَتَلّتَ أو عفوت، وإن مُتُّ، فاقتلوا قاتلي، ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين**).

فما أحوجنا ونحن نعيش في مجتمعنا العراقي مآسي فقدان المساواة، وفتن الخلافات القومية والطائفية أن نقرأ سيرة الإمام علي (عليه السلام) المليئة بالقيم الأخلاقية الإنسانية وغرسها في النفوس.. لأن الناس لا ينظرون إلى معتقدك ولا إلى عبادتك، وإنما ينظرون إلى خلقك أولاً، فإذا أعجَبهم أخذوا عنك العقيدة والأخلاق والعبادة والعلم، وإذا لم تعجبهم تركوك وما أنت عليه من العلم.

هدف البحث

أنّ الهدف من البحث هو بيان دور أمير المؤمنين (عليه السلام) الرسالي عملياً في تكوين الأسرة الصالحة والمجتمع، فهو الإمام الجامع لصفات الجمال والكمال، والوارث للخصال التي تميز بها الأنبياء والأوصياء بما يتحلى به من قيم أخلاقية إنسانية، للوصول إلى مجتمع إسلامي مثالي ينسجم مع كل الأديان والأطياف من حوله، كما يسعى إلى بناء نظام اقتصادي وسياسي يضمن للجميع الحرية والعدل والمساواة .

فرضية البحث

إن غياب القيم الأخلاقية ستفقدنا الهوية الإنسانية، والعودة إلى ما قبل الرسالة السماوية لخير البشرية خُلُقاً وخَلقاً محمد (صلى الله عليه وآله) من همجية وجاهلية وعصبية قبلية والحاد .

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من خلال النقاط التالية :

١. إطفاء نار روح العنصرية والطائفية والإقليمية بين المسلمين، من خلال روح الأخوة الإسلامية التي كان يعيشها أتباع أهل البيت، وخصوصاً عند أمير المؤمنين (عليه السلام) .

٢. إطفاء حب الذات - الأنا - وإشاعة روح الجماعة بين ألأفراد لتحقيق المساواة والعدالة والديمقراطية .

٣. أشاعة روح الأخوة والتعاون من خلال غرس القيم الأخلاقية الفاضلة بين كافة المكونات .

٤. غرس القيم الخلقية الفاضلة، والابتعاد عن رذائلها بين الحاكم والمحكوم، وذلك بأن لا يستأثر بشي لنفسه، وأن يساوي بينه وبين الناس .

المبحث الأول
الإطار المفاهيمي للأخلاق

المقدمة :

نجد أن علماء الأخلاق وعلماء النفس الحديث عنونوا أبحاثاً عميقة ومفصلة، اعتمدوا فيها على النواحي العلمية في كيفية الوقاية ومكافحة المفاسد الأخلاقية، وكيفية تحصيل الصفات والروحيات الإنسانية العالية، وعلى رأس هؤلاء العلماء وفي مقدمتهم تقدم أئمتنا (عليهم السلام) الذين كانوا هم اعلم المعلمين وأزكى المربين بأوامر أخلاقية عميقة لتربية الملكات الفاضلة في الإنسان، أضف إلى أقوالهم في هذا المجال أنهم كانوا يدرسون البشرية بأعمالهم وسيرة حياتهم دروساً نستطيع أن نعيش في ظلها أناسا سعداء ذوي قيم[1].

وليس غريب أن تكون فكرة او موضوعة الأخلاق موضوعة عالمية تتسارع إليها أعناق وأفئدة الأفذاذ في كل زمان ومكان مع اختلاف جنسياتهم، وقومياتهم، ومذاهبهم، ومشاربهم، والسر في ذلك واضح لان حب وعشق الأخلاق أمر فطري يقتضيه الطبع الإنساني السوي بشكل طبيعي.. إذن فطرة الإنسان السليم لا تقبل إلا الأخلاق، ولا ترضى عنها بدلاً او حولاً[2]، ينبغي معرفة ماذا نعني بالأخلاق :

أولاً: تعريف الأخلاق:

ومما لا شك فيه أنّ الأبحاث الأخلاقية ولدت مع أوّل قَدَمْ وضعها الإنسان على الأرض، لأن النّبي آدم (عليه السلام) لم يعلّم أبناءه الأخلاق فقط.. بل إنّ البّاري تعالى عندما خلقه وأسكنه الجنّة، أفهمه المسائل الأخلاقيّة، والأوامر

والنّواهـي في دائـرة السّـلوك الأخلاقـي مـع الآخريـن، وأتخـذ سـائر الأنبيـاء (عليهـم السـلام) طريـق تهذيـب النّفـوس والأخـلاق، والتـي تكمَـن فيهـا سـعادة الإنسـان، حتـى وصـل الأمـر إلى السيّد المسيح (عليـه السـلام)، حيـث كان القسـم الأعظـم مـن تعاليمـه هـو أبحـاثٌ أخلاقيّةٌ، فَنَعَتـه حواريّـوه وأصحابـه بالمعلِّـم الأكـبر للأخـلاق(٣)، وقـال عنـه البـاري تعـالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُق عَظِيم**...﴾ القلم:٤)، والخُلُق العظيـم: هـو الخُلُق الأكـرم في نـوع الأخـلاق، وهـو البالـغ أشـدّ الكـمال المحمـود في طبـع الإنسـان.. فهـو أرفـع مـن مطلـق الخُلُق الحسـن، وفي ذلـك ينقـل العلامـة المجلسي قـولاً في تفسـير ألآيـة حيـث يقـول: (**سُـمّي خُلُقُـه عظيـماً لاجتـماع مـكارم الأخـلاق فيـه**)(٤).

وبعـد رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه) فـإنّ الأئمّـة (عليهـم السـلام) هـم أكـبر معلّمـي الأخـلاق، وذلـك بشـهادة الأحاديث التـي نُقلـت عنهـم حيث ربّـوا أشـخاصاً بارزيـن يمكـن أن يعتـبر كلّ واحـد منهـم مُعلِّـماً لعـصرهِ، فحيـاة المعصومـين (عليهـم السـلام) وأتباعهـم هـي خـيرُ دليـل عـلى سُـمّو نفوسـهم ورفعـة أخلاقهـم في حركـة الواقـع.

إن المنظومـة الأخلاقيـة في الإسـلام تشـتمل عـلى جملـة أخـلاق يصـح أن نسـميها (أخـلاق التعايـش)، ونعنـي بهـا تلـك الأخـلاق المنظمـة لشـئون المجتمـع الإسـلامي وعلاقـات أبنائـه فيـما بينهـم، سـواء العلاقـات بـين المسـلمين أنفسـهم، أو العلاقـات بينهـم وبـين غيرهـم مـن أصحـاب الأديـان الأخـرى، وتلـك الأخـلاق تزيـد مـن مسـاحة التعـاون والتضامـن والتكافـل بـين المواطنـين الذيـن يعيشـون في دولـة واحـدة أو في وطـن واحـد، وإن حسـن الخلـق يقـوم عـلى أربعـة أركان أو رؤوس الأخـلاق أربعـة هـي: (الصـبر، والعفـة، والشـجاعة، والعـدل)، وأن الأخـلاق السـافلة مبناهـا عـلى أربعـة أخـلاق هـي: (الجهـل، والظلـم، والشـهوة، والغضـب)، قـال أمـير

المؤمنين (صلوات الله عليه): أربع خصال سود بها المرء: العفّة، والأدب، والجود، والعقل[٥].

وفي حديث للإمام الصادق (صلى الله عليه وآله): (**أربعة من كن فيه كمل أيمانه، وأن كان من قرنه إلى قدمه ذنوب لم ينقصهُ ذلك وهي الصدق، وأداء الأمانة، والحياء، وحسن الخلق**) .

إن الغاية لكل أحكام الشريعة الغّراء هي التزام المؤمن بالأخلاق الفاضلة، اعتقادا وفكراً وسلوكاً وتطبيقاً، لأن الشريعة هي المنبع الصافي الذي ينبغي على المؤمن أن ينهل منه فلسفته الروحيّة والأخلاقية، وهي الحقيقة الموجهة له في الحياة، والمعاملات وشتى المظاهر الاجتماعية[٦] .

- **~~تعريف الأخلاق~~: لغة :**

قال أبن منظور في لسان العرب الخُلُق: الخليقة، أعني: الطبيعة، والجمع: أخلاق، وقال أيضاً: والخُلُق - بضم اللام وسكونها- وهو: الدِّين والطبع والسجية، ويفسر أبن منظور ذلك بقوله: (وحقيقته أي الخُلُق، أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة)، وقد ميّزوا بين الخَلق بالفتح والخُلق بالضمّ - وإن كانا في الأصل واحد كالشَرب والشُرب - لكن خص الخَلق بالعينات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلُق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة[٧] .

ويشير المعنى اللغوي إلى أن الأخلاق هي جمع خُلُق، والخُلُق هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها، فهي بمنزلة الصورة الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولها أوصاف حسنة وقبيحة،

والثـواب والعقـاب يتعلقـان بأوصـاف الصـورة الباطنـة أكثـر ممـا يتعلقـان بأوصـاف الصـورة الظاهـرة [٨] .

ومـن خـلال هـذا العـرض اللغـوي لمفهـوم الأخـلاق يمكـن اسـتخلاص ثلاثـة مفاهيـم بـارزة هـي :

١. أن الخُلُـق يـدل عـلى الصفـات الطبيعيـة في خِلْقـة الإنسـان الفطريـة عـلى هيئـة مسـتقيمة متناسـقة .

٢. أن الأخـلاق ينضـوي فيهـا أيضـاً الصفـات المُكتَسَـبَة التـي صـارت كأنهـا خُلِقَـتْ مـع طبيعـة الفـرد، وانعـكاس تلـك الصفـات عـلى سـلوكه وعاداتـه واتجاهاتـه، كالاسـتقامة في السـلوك أو الانحـراف عـن الصـواب .

٣. أن للأخـلاق جانبـين: الأول نفـسي داخـلي باطـن، والآخـر سـلوكي ظاهـر، وهـو انعـكاس للباطـن عـلى هيئـة سـلوكيات ومعامـلات، وهـذان الجانبـان همـا وجهـان لعملـة واحـدة .

- **اصطلاحاً** :

قـال (أبـن مِسـكَوَيه) في كتـاب تهذيـب الأخـلاق وتطهـير الأعـراق: (إنّ الخُلُـق هـو تلـك الحالـة النفسـانيّة التـي تدعـو الإنسـان لأفعـال لا تحتـاج إلى تفكّـر وتدبّـر) [٩] .

والخُلُـق بالضـم عبـارة عـن: هيـأة للنفـس راسـخة تصـدر عنهـا الأفعـال بسـهولة ويـسر مـن غـير حاجـة إلى فكـر ورويـة، فـإن كان الصـادر عـن تلـك الهيـأة أفعـالاً جميلـة محمـودة عقـلاً وممدوحـة شرعـاً سـميت تلـك الهيـأة (خلقـاً حسـناً)، وإن كان الصـادر منهـا أفعـالاً قبيحـة سـميت (خلقـاً سيئاً) ، وإنـما أشـترط فيهـا الرسـوخ لأن مـن يصـدر عنـه بـذل المـال مثـلاُ عـلى النـدرة لحاجـة عارضـة لا يقـال (خلقـه السـخاء) مـا لم يثبـت

ذلك في نفسه ثبوت رسوخ [١٠] .

وفي قوله: (الخُلُق عبارة عن هيأة للنفس راسخة) إشارة إلى وجود هيئات للنفس غير راسخة أيضاً.. إذ الهيئات في الإنسان على قسمين [١١] :

الأول: هيئات غير راسخة: وهي الهيئات التي تزول بسرعة كاحمرار وجه الإنسان عند الخجل أو اصفراره عند الخوف .

الثاني: هيئات راسخة: وهي الهيئات التي لا تزول، إما لا تزول أصلاً كلون الإنسان – مثلاً – لأنها غير اختيارية، أو لا تزول بسهولة، وإذا زالت لسبب ما فإنها سرعان ما ترجع مرّة أخرى، وهذه مورد بحوثنا وتسمّى (بالملكات الاختيارية كالعدالة والشجاعة)، فالعادل قد يرتكب ما ينافي العدالة ولكنه سرعان ما يندم على فعلته ويعود إلى عدالته، وهذا معنى قولنا: إن العدالة هيأة راسخة في وجود مثل هذا الإنسان[١٢]، إذاً الأخلاق هي قوة أو ملكة تدفعك للقيام بالأعمال الحسنة، وتنهاك عن فعل الأعمال السيئة[١٣] .

ثانياً: مفهوم الأخلاق :

إن حدود الشخصية العظيمة ترسمها الأخلاق.. فسمو الذات إنما هو بسمو المعنى، وعلو المكانة هي في تلك الأصول الأخلاقية التي يلتزم بها الرجال، وهي المقياس في تقييم أعمالهم وأفعالهم، فقيمة الإنسان بإنسانيته، وقيمة العمل بمحتواه، وقيمة الدين بالترفع عن الدنايا، وميزان البطولة هو الأخلاق .

فالخُلق وعاء الدين، وهو عنوان صحيفة المؤمن، وما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق.. من هنا فإنه (لا قرين كحسن الخلق) و (لا عيش أهنأ من حسن الخلق) لأن من (حسنت خليقته طابت عشيرته)، وعلى

كل حال فإن)أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا (فالأخلاق من ثمار العقل، وصحيح أن قلنا في داخل كل إنسان كوامن خيرة، تدعوه إلى الالتزام بالأخلاق والعمل الصالح، وكوامن شريرة تدعوه إلى الفساد والشر ومناوأة الصالحين، ويقول الإمام علي (صلى الله عليه وآله) : (رأس العلم التمييز بين الأخلاق، وإظهار محمودها وقمع مذمومها)، وبمقدار ما تكون الأخلاق الحسنة مطلوبة، فإن سوء الخلق مذموم[١٤] .

إن علم الأخلاق من أشرف العلوم إن لم يكن أشرفها، إذ أن قيمة المرء في الحقيقة تقدر بأخلاقه وأعماله لا بجسمه ولا بعلمه ولا بماله، وتعد الحجر الأساس لبناء المجتمع المتكامل، وهي الدعامة القوية لحفظ كيان المجتمع، حيث ترتفع بها النفوس إلى مراتب الكمال[١٥] .

فالأخلاق علم فلسفي تُعرف به الفضائل السامية التي يجب أن يتحلى الإنسان بها وكيفية اقتنائها لتتمثُّلها النفس، وتُعرف به الرذائل وكيفية تَوقِّيها والتخلي عنها، وهو علم فلسفي يعالج سلوكيات الإنسان المترتبة على إدراكه لمفاهيم الخير والشر، وهي مقياس الأمم وثمرات حضارتها وتدنيه[١٦] .

أما مفهوم الأخلاق في نظر الإسلام هو مجموعة المبادئ والقواعد للسلوك الإنساني، والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه[١٧] .

ويعرف (يعقوب فام) في كتابه (التربية الأخلاقية) الخُلُقُ هو نشاط الفرد في المجتمع البشري وميوله الملآزمة له نحو نظم الجماعة ومنشأها واتجاهاته الفكرية نحو من يحيط به من الناس بما يفيد، ولا يضر بالجماعة البشرية[١٨] .

أما الشهرستاني فيقول[١٩] : (إن الناس يولدون خيرين سواسية بطبيعتهم،

وكأنهم كلما شبوا أختلف الواحد منهم عن الآخر تدريجياً على وفق ما يكتسب من عادات .

إن أفضل طريقة لبيان ومعرفة أهمية علم الأخلاق الرجوع إلى القرآن الكريم، والروايات الصادرة عن المعصومين (عليهم السلام):

الآيات القرآنية:

كلنا يعلم بأنه كان من اكبر عوامل تقدم الإسلام (حسن أخلاق) الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، وكما أن الله تعالى ينسب توسع الإسلام إلى الأخلاق الحسنة للرسول فيقول: ﴿**وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**..﴾ **(آل عمران: ١٥٩)**[٢٠] .

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) مضرب المثل والقدوة الحسنة في حسن الخُلق، فلقد أثنى عليه ربه عز وجل في كتابه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾(... **القلم:٤**)، ووصفه سبحانه بالرأفة والرحمة على المؤمنين، وهذا من حسن الخلق فقال: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**...﴾**(التوبة:١٢٨)**.

الأحاديث والروايات الشريفة :

إنَّ الهدف الأساس من البعثة النبوية هو بمكارم الأخلاق، وهذا معناه أنّ الشريعة الخاتمة التي جاء بها سيّد الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه وآله) ذات أسس أخلاقية عليها تقوم وبها تنفذ في كل جوانبها الإيمانية والتعبدية والتعاملية، فلا يزكو إيمان ولا عبادة ولا عمل ما لم يكن مصبوغاً بالصبغة الأخلاقية الفاضلة، إذ ليس من خلق كريم ولا فعل جميل إلا وقد وصله الله بالدين .

يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): (**إنّما بعثتُ لأُتمّم مكارم الأخلاق**)، وفي رواية: (**إنّما بعثت لأُتمّم صالح الأخلاق**) وفي ثالثة: (**إنّ بعثتي بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال**) (٢١).

وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: (**أفضل ما يوضع في الميزان حسن الخُلق والسخاء، ولما خلق الله تعالى الإيمان قال: اللهمّ قوّني، فقواه بحسن الخُلق والسخاء، ولما خلق الكفر قال: اللهمّ قوّني، فقواه بالبخل وسوء الخُلق**) (٢٢).

قال (صلى الله عليه وآله): (**جعل الله سبحانهُ مكارمَ الأخلاق صِلةً بينه وبين عبادِهِ، فحّسْبُ اَحدِكُم أن يتمسّك بخُلقٍ مُتَّصلٍ بالله**)(٢٣).

يقول الشيخ حسن زاده آملي: (والتخلّق هو التحقّق والاتصاف بحقيقة ذلك الخلق لا العلم بالمفهوم بمعناه كما يحصل بالرجوع إلى المعاجم بأن الراحم كذا والعطوف كذا (٢٤).

وقال أمير المؤمنين عليٌّ (عليه السلام): (**لو كنّا لا نرجو جَنةً، ولا تخشى ناراً، ولا ثواباً ولا عقاباً، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق، فإنها ممّا يدلّ على سبيل النجاح**)(٢٥).

فالإنسان الفرد لا يعيش وحده في هذه الحياة، فهو بطبيعته اجتماعي يعيش ضمن مجتمع يحتك فيه بالآخرين، والقيم الأخلاقية إضافة لكونها كمالاً على المستوى الشخصي، لابد منها أيضاً لكمال المجتمع وتحسين العلاقة بين الأفراد، ومن هنا فلا بد من تحديد هذه القيم على ضوء العقل والشرع ثم الالتزام بها وتطبيقها على المستوى العملي.. وإذا ما التزمنا بالقيم كانت السعادة الفردية والاجتماعية، في الدنيا والآخرة(٢٦).

ولا بُدعْ فالأخلاق الفاضلة هي التي تحقق في الإنسان معاني الإنسانية الرفيعة، وتحيطه بهالة وضّاءة من الجمال والكمال وشرف النفس والضمير، وسمو العزة والكرامة، كما تمسخه الأخلاق الذميمة، وتحطّه إلى سويّ الهمج والوحوش، وإن أثر الأخلاق ليس مقصوراً على الأفراد فحسب.. بل يسري إلى الأمم والشعوب، حيث تعكس الأخلاق حياتها وخصائصها، ومبلغ رقيّها أو تخلفها في مضمار الأمم، وكما قال الشاعر:

وإذا أصيب القوم في أخلافهم فأقم عليهم مأتماً وعويلا[٢٧]

لقد خلق الله الإنسان مزودا بمجموعة من الغرائز والقابليات التي امتاز بها على سائر المخلوقات الأخرى، ومن هذه الغرائز المميزة غريزة حب الذات (الأنا)، وطفق الإنسان يتحرك بدافع من هذه الجاذبية الباطنية لإدراك بعض الأمور المعنوية، ولكن الإنسان قلما يواصل سلوك الطريق الذي ينتهي به إلى كماله، إذ يستغرقه السعي لسد حاجاته المادية اليومية المتجددة بدافع من غرائزه الأخرى، وقد تباينت الطرق والمناهج أمام السالكين للحصول على كمال الذات الإنسانية عبر الأجيال المتعاقبة، وشمل جميع المذاهب والديانات السماوية والوثنية، فالكل له شريعة ومنهاج في السلوك، وهكذا كان اختلاف السبل عقبة جدية أمام الإنسان الذي انتشل نفسه من بحر الماديات ليسقط من جديد في متاهات الضلال والضياع[٢٨] .

أن الأخلاق عند الإنسان الملتزم تفتح آفاقاً واسعة، فلا يحصرها فقط عند حدود (الأنا) ومنافعها الزمنية، نتيجة حبه الدنيوي لذاته، بل يغدو منفتحاً على كل الناس ينظر لهم كما ينظر لذاته، ويخلص لهم كما يخلص لها، ويتحول حبه لذاته من حب مادي إلى حب أعمق يشمل المادة والروح، لهذا جاءت الأديان

لتصقل العلاقة الروحية بين الإنسان وظروفه الحياتية، وما من نبي جاء لينقض رسالات من كان قبله من الأنبياء.. إنما جاء ليؤكد على جوهر الرسالات السماوية التي سبقته[٢٩] .

إن علم الأخلاق هو العلم الباحث في محاسن الأخلاق ومساوئها، والحث على التحلي بالأولى والتخلي عن الثانية، ويحتل هذا العلم مكانة مرموقة، ومحلا رفيعا بين العلوم، لشرف موضوعه وسمو غايته، فهو نظامها وواسطة عقدها، ورمز فضائلها، ومظهر جمالها.. إذ العلوم بأسرها منوطة بالخُلق الكريم تزداد بجماله وتحلو بآدابه، فان خلت منه غدت هزيلة شوهاء تثير السخط والتقزز[٣٠] .

ثالثاً: الأخلاق هل هي فطرية أم مكتسبة؟

هل الأخلاق فطرية أم مكتسبة؟ سؤال تُحَّدد إجابتهُ مصدر الأخلاق عند الناس، فهنالك من ذهب إلى أن مصدر الأخلاق هو الفطرة التي فطر الناس عليها، وهنالك من ذهب إلى أن المجتمع والأحداث وأنماط الحياة هي من تصنع أخلاق الفرد، أي أن الأخلاق كلها مكتسبة.. كلا القولين أُخِذَ بطرف وأُهمِلَ الطرف الآخر، إذ من الأخلاق ما هو فطري، ومنها ما هو مكتسب، وإيضاح ذلك بذكر أدلة تثبت فطرية الأخلاق، ثم ذكر أدلة تثبت كونها مكتسبة، ثم بيان وجه الجمع بين الأمرين[٣١] :

أولاً: أدلة أن بعض الأخلاق فطري:

هنالك أدلة تدل على أن بعض الأخلاق فطري خلقه الله في نفس الإنسان، ومن هذه الأدلة:

١. مما أستدل به بعضهم على فطرية الأخلاق الأحاديث الواردة في الفطرة

وبعض الآيات كقوله تعالى: (**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ٨**... الشمس:٧-٨)، ونحو ذلك من النصوص التي تدل على المعنى دلالة اقتضاء أو لزوم.

٢. قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأشج عبد القيس: (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة).

٣. ومن هذه النصوص نستنتج أن الفطرة من مصادر الأخلاق، بمعنى أن الله أوجد في النفس الإنسانية أخلاقاً في أصل خلقتها، وهي توجد مع الإنسان منذ ولادته وتَرسَخ وتقوى بما يناسبها من أعمال كسبية، وتضعف وتتلاشى بالإهمال أو باكتساب ما يضادها من أخلاق، كقوله تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾(.. **الشمس:٧-٨**).

٤. من أدلة النظر أن المتأمل في طباع الناس وأخلاقهم وخاصة الأطفال، يرى أن هنالك جملة من الأخلاق الحسنة أو الرديئة موجودة فيهم خلقةً، ولا يوجد دليل على أنهم تعلموها من غيرهم، ويمكن إدراك هذا المعنى بجلاء عندما تتأمل حال طفلين شقيقين أو توأمين نشئا في بيئة واحدة وفي ظروف متطابقة، وتجد أحدهما حاد الطبع سريع الغضب، والآخر هادئ الطبع فيه أناة، أو أحدهما كريماً سخياً والآخر شحيحاً ممسكاً(٣٢).

والأخلاق الفطرية نابعة من النفس، وموروثة في جملة العادات والأعراف، أو ذاتية خاصة متاصلة في بعض جينات الإنسان، وهذه الأخلاق ثابتة في نفس المرء، ولا يمكن تغييرها وتدعى (الطَّبْع)(٣٣).

ثانياً: أدلة أن بعض الأخلاق مكتسبة:

١. الدعاء النبوي في استفتاح الصلاة، ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **(اللهم أهدني لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وقني سيء الأعمال وسيء الأخلاق ولا يقي سيئها إلا أنت)**، ولو كانت كل الأخلاق فطرية موجودة في النفس لما دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربه أن يهديه لتحصيل الأخلاق الحسنة وأن يقيه الأخلاق السيئة.

٢. دعاؤه (صلى الله عليه وآله): **(اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء)** ، فهذه استعاذة من أخلاق يمكن أن تحصل بالاكتساب، كما تحصل الأعمال، وكما تحصل الأهواء .

٣. ومن أدلة النظر: أن بعض الناس ينشأ على أخلاق فطرية معينة كالكرم، والشجاعة، ولكنه بسبب ظروف أو تنشئة اجتماعية معينة تضمر فيه هذه الأخلاق، وينمو بالاكتساب المضاد أخلاقاً عكس ما فطر عليه، فيصبح بخيلاً أو جباناً، فأبواه يبخلانه ويجبنانه، وليس الأبوين فقط، بل المجتمع والبيئة العامة التي يعيش فيها، وطبقاً لهذه النظرية (فإن النفس البشرية لوح خال من كل شيء، وكل ما يسيطر عليه تكتبه التجربة)، لذا فإن الإنسان على هذا الأساس لا يأتي إلى هذه الدنيا بأخلاق حسنة أو سيئة، ولكنه سيكتسب هذه الأخلاق من خلال تجاره الحياتية، ومن البيئة المحيطة به، وفي فترة من التربية والتعليم التي يجتازها[٣٤] .

والأخلاق المكتسبة يقتبسها المرء من محيطه وبيئته، ويتلقَّنها في مدرسته وجامعته، وفي حياته اليومية من معلمه أو مؤسسته، وقد تكون الأخلاق المكتسبة

مؤقّتة في زمان أو مكان كظاهرة الكرم والبخل، والشجاعة والجبن، والحلم والغضب، وقد تطغى أخلاق على أخلاق كما قد تسود الأخلاق المكتسبة على الأخلاق الفطرية في حين من الزمان، أو تبعاً لظروف خاصة، فإذا زالت هذه الظروف عادت الأخلاق الفطرية والطبعية إلى الظهور، وما دام العقل مستعداً للتغيير فهو قابل للتطور، فقد تنقلب رأساً على عقب.. من ذي أخلاق إيجابية إلى ذي أخلاق سلبية عن طريق فقه السوء، أو خَوَرٍ في النفس[٣٥].

والحقيقة أن الأخلاق المكتسبة قد تطغى على الأخلاق الفطرية لاسيما إذا كان توجيهها إلى الخير أو إلى الدين، والمرءُ يعلم أن الأخلاق المكتسبة تربطه بالدين أولاً وبالمجتمع ثانياً، لأن صاحب الأخلاق الإيجابية أشد تمسكاً بأخلاقياته وأكثر ارتباطاً بالمجتمع، بينما ذو الأخلاق السلبية أبعد عن الروح الاجتماعية لرفضه الأعراف الموروثة، ونخلص من هذه الدراسة إلى أن كلَّ خُلق قابل للتغيير شراً أو خيراً، وسلباً أو إيجاباً، ويرى فيها أنطوان رحمة أن الأخلاق مجموعة القواعد السلوكية التي تستند إلى قيم مختارة سندُها خيرُ المجتمع أو القيم العليا الخَيِّرة[٣٦].

ويتفق الباحث مع النظرية الاكتسابية بأن الأخلاق قابلة للتغيير، وذلك بالتربية المقترنة بالإرادة والقيم، وهو المقصود بثبات الأخلاق، وأن الفضائل والقيم الأخلاقية الأساسية للمجتمع من (صدق، ووفاء، وبِّرْ، وأمانة، وعفة، وصبر، وحلم، ورفق، وإيثار..) ثابتة في معناها الديني والفلسفي، وتعد حواجز متينة ضد الفوضى والظلم والشر، بينما سلوك وأخلاق الإنسان هي القابلة للتغيير[٣٧].

ثالثاً: الجمع بين كون الأخلاق فطرية ومكتسبة:

١. اعتبار بعض الأخلاق جبلياً، وبعضها مكتسباً يتوافق مع الواقع والمشاهد من أحوال الناس، وبه يحصل أعمال جميع الأدلة الشرعية، قال أبن القيم بعد أن أورد حديث أشج عبد القيس السابق: (فأخبرني النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الله جبله على الحلم والأناة وهما من الأفعال الاختيارية، وإن كانا خلقين قائمين بالعبد فإن من الأخلاق ما هو كسبي ومنهما ما لا يدخل تحت الكسب، والنوعان قد جبل الله العبد عليهما وهو سبحانه يحب ما جبل عبده عليه من محاسن الأخلاق، ويكره ما جبله عليه من مساوئها فكلاهما بجبله، وهذا محبوب له وهذا مكروه) (٣٨) .

ومن الخلق ما هو طبيعة وجبلة وما هو مكتسب، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يقول في دعاء الاستفتاح: (**اللهم أهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وأصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت**)، فذكر الكسب والقدر والله أعلم(٣٩) .

٢. في حديث أشج عبد القيس السابق دليل ظاهر على أن الأخلاق منها فطري، ومنها مكتسب، وذلك فيما قاله أشج: (يا رسول الله أنا أتخلق بهما، أم الله جبلني عليهما؟) وفي رواية (أنا تخلقت بهما، أم الله جبلني عليهما؟) ، ولو كان في الأمر خطأ لبينه(صلى الله عليه وآله)، قال أبن القيم: (وفيه دليل على أن الخلق قد بالتخلق والتكلف، لقوله في هذا الحديث خلقين تخلقت بهما، أو جبلني الله عليهما: فقال جبلت عليهما) (٤٠) .

٣. إن الأخلاق الفطرية كالحلم والأناة والكرم والشجاعة تنمو بتأكيدها وتثبيتها بما يناسبها من الاكتساب، وتذوي بالإهمال أو بالاكتساب

المضاد، فالفطرة – مثلاً – على الأناة تزداد هذه الخصلة الأخلاقية لديه بالاكتساب، وقد تضعف إذا أهملتها، أو أكتسب ما ينافيها كالعجلة والطيش والتسرع .

٤. أن الأخلاق الإنسانية لها تعلق بمكونات الإنسان الأساسية، فمنها ما له علاقة باللسان كالصدق والكذب، ومنها ما هو متعلق بالعقل والإدراك (كالفهم والحكمة والسفه والحماقة)، ومنها ما هو متعلق بالجوارح (كالخيلاء والرشوة والعنف والإيثار والرفق)، وكل ذلك يندرج تحت الفطري أو المكتسب من الأخلاق .

المبحث الثاني
مفهوم القيم الأخلاقية

١)) تعريف ومفهوم القيم

وردت كلمة (قيمة) في القرآن الكريم في آيات متعددة منها قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ..**﴾ (البينة:٥) وقوله تعالى: ﴿**فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ...**﴾(**البينة:٣**)، وقوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا**﴾(٢)... (**الكهف:١-٢**)، نجد أن الآيات جميعها جاءت بمعنى الاستقامة والاستواء والعدل والإحسان والحق، وقد ارتبطت جميع الآيات بالدين .

أهتم علماء المسلمين بموضوع القيم وبحثوها على أنها أحكام شرعية تحت مصطلح الفضائل والأخلاق والآداب، والقيمة يختلف مدلولها عند الناس، وهذا الاختلاف يرجع إلى استعمالاتها في المواقف والمناسبات والحديث الذي جاءتْ فيه، فالقيمة هي كل ما يُعدُّ جديراً باهتمام الأفراد وعنايتهم لاعتبارات اجتماعية نابعة من المجتمع، أو اعتبارات اقتصادية تهم حياة الأفراد وعيشهم، أو اعتبارات نفسية ترضي نوازع الأفراد وتسد حاجاتهم، أو اعتبارات أخلاقية تربوية تهيئ لهم العيش الهني بأسلوب مرضٍ عنه بين جماعاتهم[٤١] .

وهنالك من يرى أن القيم تتكون أساساً من مجموعة من الاتجاهات أو المعايير، أو أنها تشكيلة من المعتقدات، وآخرون يرون أن القيم تتمثل في الأنشطة السلوكية التي يمكن أن يمتلكها الأفراد، في حين يتخذ فريق ثالث مواقف وسطية تحاول

أن تجمع بين هذه المفاهيم، فالقيم - في نظر الفريق الأول - ما هي إلا اتجاهات أو اهتمامات حيال أشياء أو مواقف أو أشخاص، والفرد بحكم وجهة النظر هذه إنما يعايش قيمة من القيم من خلال علاقته بشيء أو أشياء تثير اهتمامه أو رغبته [٤٢] .

يرى مورفي (Murphy) إلى أنه إذا أريد فهم شخصية الفرد وسلوكه ينبغي دراسة نظام القيم لديه، والذي تترتب فيه القيم بشكل هرمي يظهر تفضيلات الشخص، وهذا يساعد في التبؤ بسلوكه، ويتأثر الأفراد بعدة عوامل منها داخلية (تتعلق بالفرد نفسه من حيث قدراته واتجاهاته وميوله والقيم التي يؤمن بها)، وعوامل خارجية (تتعلق بالبيئة المحيطة به كالمجتمع المحلي، والأصدقاء المقربون، والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسة والثقافة وغيرها)، وتعد القيم من أهم العوامل التي تؤثر في سلوك الفرد واتخاذهم للقرارات .

لقد حاول العديد من الفلاسفة تحديد مفهوم القيمة فذهب ريبوت (Ribot) إلى القول بأن قيمة الشيء هي قدرته على إثارة الرغبة، وإنَّ القيمة تتناسب مع قوة الرغبة جاعلاً هذا التعريف شاملاً لكلَّ من القيمة الاقتصادية والاجتماعية والمعنوية، ويذهب بعض المفكرين إلى القول بتعريفات أخرى للقيمة مثل :

القيمة صفة الشيء المعتبر أو ما يسمى بالأكسيولوجيا (Axiology) وهي الدراسة المنهجية التي تتناول طبيعة القيم وأنواعها ومعاييرها، ومن هذه الزاوية تعرف القيمة بمعنيين هما[٤٣] :

الأول: وجهة النظر الذاتية (Subjective) وتعني: القيمة هنا تلك الصفة التي يتصف بها موجود ما -سواء أكان شخصاً أم شيئاً - إذا ما كان هذا الموجود بالفعل مراداً أو مرغوباً من إنسان أو جماعة من الناس، فالقيمة تعني درجة التقدير أو الرغبة لموجود ما .

الثاني: وجهة النظر الموضوعية (Objective): والقيمة هنا تعني ما في الموجود نفسه – سواء أكان شخصاً أم شيئاً – من سببٍ لتقديره تقديراً له ما يسوغّه، فالقيمة هي إذن هذا الذي من الممكن أن يصبح الموجود هدفاً لإرادة صحيحة وليس فقط لرغبة فعل .

وهنالك من يرى بأن القيمة هي : عبارة عن مجموعة من المعايير التي يحكم عليها الناس بأنها حسنة ويردونها لأنفسهم، ويبحثون عنها ويكافحون في سبيل تقديمها للأجيال القادمة والإبقاء عليها جزءاً حياً مقبولاً من التراث الذي تعامل به الناس جيلاً بعد جيلٍ .

أما (خليفة، ١٩٩٢) فيرى أن القيمة لها مفاهيم وتعريفات متعددة، وهذا الاختلاف يرجع إلى كون القيمة عملية نسبية تختلف تبعاً برؤية الأفراد في كل مجتمع، وهنالك بعض الدراسات التي ربطت القيمة بمفاهيم محددة مثل الحاجة، والدافع، والاهتمام، السمة، المعتقد، والاتجاه، ومن المهم توضيح الفروق والعلاقات المتبادلة بين القيمة وتلك المفاهيم .

أما القيم من المنظور الإسلامي هي : (مجموعة المبادئ والقواعد والمثل العليا التي نزل بها الوحي والتي يؤمن بها الإنسان، ويتحدد سلوكه في ضوئها، وتكون مرجع حكمه في كل ما يصدر عنه من أفعالٍ وأقوالٍ وتصرفاتٍ تربطه بالله والكون) ، ونظراً للانفتاح على العالم صار هناك خليط من القيم التي لا تمت بأي صلة للدين الإسلامي، وإنما هذه القيم مأخوذة من الغرب .

ثانياً: مصادر القيم

تختلف المصادر التي تستقي منها القيم باختلاف ثقافات المجتمعات والأفراد الذين يعيشون فيها، وعندما نتساءل بقولنا: مَّنْ يضع القيم الأخلاقية ؟ نرى أن

هنالـك فئـة تقـول: أن الفـرد هـو نفسـه الـذي يحـدد القيـم، في حـين أن هنالـك قـولاً آخـر يـرى أن المجتمـع هـو الـذي يضـع القيـم، وهنالـك مَّـنْ يقـول: أن واضـع القيـم سـلطة إلهيـة ، وأمـا الذيـن يقولـون بـأن الإنسـان هـو واضـع القيـم فهـم الأغلبيـة مـن الفلاسـفة، ويتجهـون عـدة اتجاهـات، ومنهـا[٤٤] :

١. مـا يرونـهُ مـن إنَّ الـذي يُحدِد القيـمْ الإنسـان، وهـو مقيـاس كلَّ شيء، وهـو الـذي يحـدد الخـير والـشر، والصـواب والخطـأ، والقبيـح والجميـل، والإنسـان هـو الـذي جعـل لأي قيمـة معنـى بقبولـه لهـا والتزامـه بهـا، ومـن ذلـك يتبـين أن خالـق القيمـة هـو مصـدر التقويـم وهـذا المصـدر هـو الإنسـان الفاعـل .

٢. أمـا الفريـق الـذي يـرى أن واضـع القيمـة سـلطة إلهيـة وهـم الأغلـب مـن رجـال الديـن، فيذكـرون أن المصـدر الوحيـد للقيـم والتقويـم هـو (الله)، فهـو الـذي يقـرر مـا هـو حـلال ومـا هـو حـرام، ومـا هـو خـير ومـا هـو شر، وليـس في الأفعـال ولا في الأشـياء في ذاتهـا صفـة تقويميـة، وإنـما الـذي يعطيهـا هـذه الصفـة هـو الـشرع الإلهـي، فالتحسـين والتقبيـح همـا مـن (الله) وليـس مـن العقليـين، ومـن المذاهـب الإسـلامية مـن قـال بهـذا الـرأي مـن أهـل السـنة (الأشـاعرة) بنحـو عـامٍ، في حـين أن مـن علـماء المسـلمين الذيـن يسـتبدلون بالإلوهيـة القيـم المطلقـة، وهـم العقليـون مـن المتكلمـين المسـلمين، وهـم المعتزلـة[٤٥] .

٣. وأمـا الذيـن يقولـون إن واضـع القيـم ومبدهـا هـو المجتمـع، وعـلى رأسـهم (دور كايـم)،/ فهـو يـرى أن الأمـور الأخلاقيـة لهـا قيمـة لا تقـاس بسـائر القيـم الإنسـانية، وآيـة ذلـك أننـا نضحـي بأنفسـنا مـن أجلهـا فـلا نظـير لهـا، والعواطـف الجماعيـة هـي التـي يتوافـر فيهـا هـذا الـشرط لأنهـا الصـدى في

نفوسنا لصوت الجماعة العظيم، فإنها تخاطب ضمائرنا بلهجة مختلف تمامًا عن العواطف الفردية، وذكر ابن حزم إن أصول الفضائل كلها أربعة عنها تتركب كل فضيلة وهي: (العدل والفهم والنجدة والجود)[٤٦] .

ثالثاً: تصنيف القيم:

إن ترتيب القيم داخل السلم القيميّ يتباين من فلسفة لأخرى، ومن وقت لآخر، لأنها في حقيقة الأمر تُظهر الواقع الاجتماعي السائد، وعليه فإن فئات القيم الإنسانية تتنوع في البناء الواحد، ويُعزى سبب ذلك إلى تباين الاهتمامات الروحية والمصالح الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وكذلك إلى اختلاف تفضيلات الأفراد أنفسهم، وتتباين أحكامهم التقديرية والواقعية لمظاهر النشاط الاجتماعي [٤٧] .

ويرى كثير من العلماء والباحثين الذين تعرضوا لدراسة القيم أنه من العسير تصنيفها تصنيفاً شاملاً يتم الاتفاق عليه من قبل الجميع، إلا أن ذلك لم يمنع من المحاولات لتصنيف القيم في أبعاد مختلفة كلٌّ حسب المنظور الذي ينظر به، والفلسفة التي يؤمن بها، والآيدولوجية التي يدعو إليها.. لذا ظهرت تصنيفات متعددة للقيم منها[٤٨] :

١) على أساس بعد المحتوى

أ- تصنيف سبرانجر:

هنالك محاولات مختلفة لتقسيم القيم من حيث محتواها، إلا أنَّ أبرزها كان التصنيف الذي قدمه (سبرانجر) في كتابه (أنماط الرجال) الذي قسم فيه القيم على ستة أنماط هي:

١. **النمط النظري (Theoretical Type)**: ويعبرّ عنها باهتمام الفرد وميله إلى اكتشاف الحقيقة، فيتخذ اتجاهاً معرفياً من العالم المحيط به، ويسعى وراء القوانين التي تحكم هذه الأشياء بقصد معرفتها، ويتميز الأشخاص الذين تسودهم هذه القيمة بنظرة موضوعية نقدية معرفية تنظيمية .

٢. **النمط الاقتصادي (Economic Type)**: ويقصد بها اهتمام الفرد وميوله إلى ما هو نافع، وهو في سبيل هذا الهدف يتخذ من العلم المحيط به وسيلة للحصول على الثروة وزيادتها في ضوء الإنتاج والتسويق واستهلاك البضائع واستثمار الأموال، لذلك نجد أن الأشخاص الذين تلتصق فيهم هذه القيم يمتازون بنظرة عملية تُقوَّم الأشياء والأشخاص تبعاً لمنفعتها، لذا فهم يكونون غالباً من رجال العمال والمال .

٣. **النمط الجمالي (Aesthetic Type)**: ويعبر عنها من اهتمام الفرد وميله إلى كل ما هو جميل من ناحية الشكل، لذا فهو ينظر إلى العالم المحيط به على أساس التكوين والتنسيق والتوافق الشكلي، وهذا لا يعني أن الذين يمتازون بهذه القيم فنانون بالضرورة، بل أن بعضهم لا يستطيع الإبداع الفني وإنما يقتصر على تذوق الإنتاجان الفنية فحسب .

٤. **النمط الاجتماعي (Social Type)**: ويقصد بها اهتمام الفرد بالآخرين ويسعى إلى مساعدتهم وإبداء المعونة متى ما تطلب الأمر ذلك، لأنَّهُ يجد في ذلك متعةً لإشباع رغباته، وهو ينظر إلى غيره من الناس على أنهم غايات وليسوا وسائل لغايات أخرى، لذا فالذين يحملون هذه القيم يتصفون بالعطف والحنان والإيثار والتضحية .

٥. **النمط السياسي (Political type)**: ويقصد بها اهتمام الفرد وميله

للحصول على القوة، لذا فالأشخاص الذين يحملون هذه القيم يتصفون بحبِّ السيطرة والتحكم بالأشياء والأشخاص عن طريق قيادتهم لنواحي الحياة المختلفة وتوجيههم والتحكم في مصائرهم، حتى وإن لم يكونوا من رجال الحرب أو السياسة .

٦. **النمط الديني (Religious Type)**: يهتم حامل هذه القيم في معرفة ما وراء هذا العالم الظاهري، واصل الإنسان ومصيره والطبيعة الإنسانية، ويرى أن هنالك قوة تسيطر على العالم الذي يعيش فيه، وهو يحاول أن يربط نفسه بهذه القوة بصورة ما، إلا أن هذا لا يعني أن الذين يمتازون بهذه القيم هم من الناس الزاهدين .

2) على أساس بُعد المقصد:

وتنقسم القيم من حيث المقصد على قسمين هما :

١. **قيم وسائلية**: وهي تلك القيم التي ينظر إليها الأفراد والجماعات على أنها وسائل لغايات أبعد.

٢. **قيم غائية أو هدفية**: ويقصد بها الأهداف والفضائل التي يضعها الأفراد والجماعات لنفسهم، ويسعون إلى تحقيقها من طريق وسائل معينة، مثل الصحة التي تعدُّ غاية في حدَّ ذاتها، وكذلك حبّ البقاء، وقد تستعمل بعض القيم الوسائلية لتحقيق قيم غائية كالعملية الجراحية، فإنها القيمة الوسائلية للمريض من أجل حفظ حياته أو إطالة بقائه.

٣) القيم على أساس بعد الشدَّه:

تختلف القيم من حيث شدّتها، وتقدير شدة القيم بدرجة الإلزام التي

تفرضها، وبنوع الجزاء الذي تقرَّه وتوقعه على من يخالفها، لذا القيم تتناسب طردياً مع درجة الالتزام .

4) القيم على أساس العمومية:

يمكن تقسيم القيم من حيث شيوعها وانتشارها على قسمين هما:

١. **قيم عامة**: وهي القيم التي تنتشر في المجتمع كلَّه بغض النظر عن ريفه وحضره وطبقاته وفئاته المختلفة، لذا فإنَّ هذه القيم تكثر في المجتمعات التي دأبت على إذابة الفوارق بين الطبقات .

٢. **قيم خاصة**: وهي التي تتعلق بمناطق محدودة أو بطبقة أو جماعة خاصة أو بمواقف أو مناسبات اجتماعية معينة مثل: إخراج الزكاة في أواخر شهر رمضان .

٥) القيم على أساس بعد الوضوح:

تنقسم القيم من حيث وضوحها على قسمين هما[٤٩]:

١. **القيم الظاهرة (الصريحة)**: وهي القيم التي يُصرَّح ويعبر عنها بالكلام، وقد تكون هذه القيم غير حقيقية لأن العبرة في القيم ليست بالكلام المنطوق.. بل بالعمل والسلوك الفعلي، إذ لا يكفي أن يقول شخص بلسانه أنَّهُ وطني مثلاً من غير أن يبادر إلى حمل السلاح والنزول إلى ساحة المعركة لإثبات ذلك دفاعاً عن وطنه، ولو أنَّ مجاهداً قذف بنفسه إلى المعركة مضحياً بحياته في سبيل الذود عن وطنه من غير أن يُعْلن بأنهُّ وطني لحكم عليه بغير شك بأنَّ القيمة الوطنية مفضلة عنده على كلَّ شيءٍ آخر.

٢. **القيم الضمنية**: وهي تلك القيم التي تستخلص ويُستدل على وجودها من ملاحظة الاختبارات والاتجاهات التي تتكرر في سلوك الأفراد بصفة منمطة لا بصفة عشوائية، ويرى (لابيير) إن القيم الضمنية هي في الغالب القيم الحقيقية لأنها هي القيم على أساس مُنْدَمِجَة في سلوكهِ.. أما الصريحة تكون زائفة ولا تعبر عن الحقيقة .

٦) القيم على أساس بُعد الدوام:

وتصنف القيم من حيث دوامها على قسمين هما [٥٠] :

١. **القيم العابرة**: وهي القيم الوقتية العارضة القصيرة الدوام، السريعة الزوال مثل: القيم المرتبطة بالموضة، وهي قيم تتعلق بالحاضر ولا بالماضي، وأكثر من يحمل هذه القيم هم المراهقون والناس السطحيون .

٢. **القيم الدائمة**: وهي القيم التي تتصف بالديمومة والبقاء لمدةٍ طويلة، والديمومة هنا نسبية، ومن هذه القيم، القيم المتعلقة بالعرف والتقاليد، وهذه القيم على خلاف القيم العابرة من حيث ارتباطها بالماضي واتصافها بالقداسة والإلزام لأنها تمسُّ الدين والأخلاق كما تمس الحاجات الضرورية للناس .

7) القيم على أساس الشيوع والانتشار:

١. **قيم عامة** : وهي التي تنتشر في المجتمع عامةً، في الريف والحضر وبين جميع الطبقات والفئات المختلفة مثل : (الاعتقاد بأهمية الدين والزواج والعفة...الخ) .

٢. **قيم خاصة**: (وهي التي تتعلق بمواقف أو سلبيات خاصة أو لطبقة

أو جماعة خاصة أو دور اجتماعي خاص، مثل القيم المتعلقة بالزواج والأعياد...الخ) .

8) القيم على أساس البناء الاجتماعي:

١. **قيم إلزامية** : وهي التي تحدد أنماط التفاعل الايجابي، وقواعد السلوك المقررة، تلك القيم التي تتعلق بالأوضاع الاجتماعية وهي التي تحدد الأدوار والمراتب الاجتماعية .

٢. **قيم تقليدية** : وهي التي تهتم بالمحافظة على الممارسات الاجتماعية المعتادة .

٣. **القيم المثالية** : وهي التي تحدد الصورة المثلى لأهداف المجتمع وتطلعاته للمستقبل .

٤. **القيم الروحية** : وهي التي تتصل بأشياء غير مادية أو بمواضيع اجتماعية مثل القيم المتصلة بالشرف والمحبة والطاعة والصبر والوفاء والصداقة .

المبحث الثالث

القيم الأخلاقية والإنسانية عند أمير المؤمنين (عليه السلام)

أولا: نفحات من سيرة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

والحديث عن الإمام علي (عليه السلام) له صلة بالنفس الإنسانية في كل مناحيها، وفي سيرته ملتقى بالعواطف الجياشة، والأحاسيس المتطلعة إلى الرحمة والإكبار، لأنه الشهيد أبو الشهداء، وملتقى بالخيال.. حيث دار حول شجاعته منزع الحقيقة، ومنزع التخيل، وملتقى بالفكر، فهو صاحب آراء لم تسبق في التصوف والشريعة الأخلاق، ويعتبر صاحب مذهب حكيم بين حكماء العصور، وأوتي من الذكاء ما هو أشبه بذكاء الباحثين المنقبين منه بذكاء الساسة المتغلبين، وملتقى مع الذوق الأدبي والفني، تراه في نهجه البلاغي والأدبي، وملتقى مع خلاف الطبائع والأذهان، أو الخصومة الناشئة أبداً على رأي أو حق أو وطن، فتنازع الناس حوله، وتناقضت آراؤهم فيه، حتى عبر عن ذلك بقوله: (ليحبني أقوام حتى يدخلوا النار في حبي، ويبغضني أقوام حتى يدخلوا النار في بغضي).. وملتقى مع الشكوى والتمرد، أو الرغبة في التجديد والإصلاح، فصار اسمه علماً يلتف به كل مغصوب، وصيحة ينادي بها كل طالب إنصاف، وصارت الدعوة (العلوية) كأنها الدعوة المرادفة لكلمة (إصلاح)، فالتقت النفوس مع علي في وجه من وجوهه، وعلى حالة من حالاته، وتلك مزية تفرد بها الإمام [٥١].

نحن لا نستطيع أن نعرف علم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ومدى إيمانه بالله تعالى، لأن الرسول (صلى الله عليه وآله) قال: (**يا علي لا يعرف الله إلا أنا وأنت، ولا يعرفني إلا الله وأنت، ولا يعرفك إلا الله وأنا**)، ولا نستطيع أن

نحدد علم الإمام ونحيط به، لأنه من علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلم رسول الله من الله تعالى، وليس عن طريق الاكتساب والتحصيل بل بالإفاضة من عند الله تعالى، ونجد في القرآن الكريم طائفة كبيرة من الآيات البينات التي تصرح بأن علوم الأنبياء من عند الله تعالى عن طريق الإفاضة والإلقاء في القلب، ومعلوم أن هذا النوع من العلم لا يشوبه شيء، ولا مجال للباطل إليه، بل هو الحق الصحيح الصدق المطابق للواقع، لقد خصه الله تعالى بفضائل وكرامات فاقت الأوَّلين والآخرين – ما عدا خاتم النبيِّين محمد (صلى الله عليه وآله) – فهو الإمام الجامع لصفات الجمال والكمال، والوارث للخصال التي تميَّز بها الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) .

وما يدري هل آسف على الإمام الذي ضاع قدره في ذلك العهد فلم يفسح له المجال ليبث للمسلمين شيئاً من علومه الإلهية ومعارفه الربانية؟ أم آسف على المسلمين الذين حرموا من ذلك المنهل العذب وهم بأمس الحاجة إلى العلم؟ فقد مضى خمس وعشرون سنة وعلي (عليه السلام) جليس بيته مسلوب الإمكانيات، مكبوتاً عليه لا يستطيع تنوير العقول بعلومه وتزويد النفوس بمواهبه ؟ .

إن الفضائل النفسية التي امتاز بها الإمام (عليه السلام) وإنما وصفنا الفضائل بالنفسية، لأن هناك فضائل لا ترتبط بالنفس كالنسب الشريف، والجمال والقوة فإنها أمور لا اختيارية، والفضائل النفسية تظهر إلى الوجود بالطوع والاختيار (كالجود والعفو والزهد والعبادة وما شاكل ذلك)، فإنها منبعثة من نفس طاهرة شريفة فاضلة، وقال الشاعر:

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح

فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... فكل إناء بالذي فيه ينضح

قال ابن أبي الحديد في مقدمته على شرح نهج البلاغة: وما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل؟ ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله؟ فقد علمت أنه استولى بني أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريف عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من راوية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكراً، حتى حضروا (منعوا) أن يسمى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعة وسمواً، وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه وكلما كتم تضوع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة، وما أقول في رجل تعزى (تنسب) إليه كل فضيلة؟ وتنتمي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها وسابق مضمارها، ومجلي حلبتها، وكل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى(٥٢) .

عن الأصبغ بن نباته، قال: لما بويع أمير المؤمنين (عليه السلام) بالخلافة خرج إلى المسجد معتماً بعمامة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لابساً برديه، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وأنذر، ثم جلس متمكناً وشبك بين أصابعه ووضعها أسفل سرته، ثم قال: يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثني لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينهى كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يا رب إن علياً قضى بقضائك، والله إني لأعلم بالقرآن وتأوليه من كل مدّعٍ علمه، ولولا آية في كتاب الله تعالى لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة(٥٣) .

إن سمو الأخلاق والتسامح والعدل والشجاعة والصدق لدى أمير المؤمنين (عليه السلام) دفعت بالكثير من الكتاب غير المسلمين للكتابة عنه بصورة وجدانية، أمثال (جورج جرداق) ذو الإطلاع الواسع في ثقافات العالم في كتابه (الأمام علي صوت العدالة الإنسانية)، فقد قال: وجدت في شخصية علي بن أبي طالب علما شاملا، ونبوغاً ساحراً، وبلاغة آسرة، وخلقا نقيا، ومثالا رائعا في قيادة الأمة، انه كان قويا في إيمانه ووداعته وعدله وزهده وتقواه، هذه هي الصفات الأخلاقية التي يتطلبها الحاكم العادل الكفوء في قيادة مجتمعه لذي يطمح إلى الرقي والازدهار، وبولس سلامه في (عيد الغدير)، وعبد المسيح الأنطاكي في (ملحمة الأمام علي)، وسليمان كتاني في (أخلاق وفضائل أهل البيت)، وركس العزيزي في (الأمام علي أسد الإسلام وقديسه).. لقد أقام هؤلاء المفكرين البارزين جسور التواصل الفكري بعد أن اكتشفوا في هذا الأدب القيم الأخلاقية والمثل الروحية العليا التي فرضت نفسها عن طريق الحديث من القلب إلى القلب لا عن طريق السيف والنار(٥٤).

إن أسلوب التشدد في فرض معايير اجتماعية أو سياسية متصفة بالعنف والإجبار أسلوب بغيض لا يؤدي إلى نتائج مرضية في حين يكون الأسلوب المعتدل الذي يتوافق مع الثوابت السلوكية الحسنة هو الذي يستقطب النفوس ويغرس فيها القيم الخلقية السامية فعندما يقول الأمام علي (**لا تخلقوا أبنائكم بأخلاقكم فأنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم**)، يقصد بهذا التصريح التحولات الاجتماعية التي تظهر في المجتمع وليست الآداب العامة والأخلاق الاجتماعية، فهي الركن الرصين لسلوك الفرد وعليه أن يلتزم به حيثما وأينما وجد .

هذا هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) أمير المؤمنين، وإمام المتقين،

وسـيد القيـم الأخلاقيـة والإنسـانية، وأب اليتامـى والمسـاكين، ومعـين المظلومـين والمحكومـين.. شـخصية لا غنـى عنهـا، فالجميع بحاجـة إليـه ولحكمتـه، ومـا العجـب فهـو ولـد في بيـت الله (الكعبـة المشرفـة)، وتربـى بـين يـدي خـير البـشر الرسـول الأعظـم محمـد (صـلى الله عليـه وآلـه)، بـل هـو نفـس رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) وزوج ابنتـه فاطمـة الزهـراء البتـول، ووالـد سـبطي النبـي الكريـم الحسـن والحسـين، وصاحـب التاريـخ المـشرف في الفـداء والبطولـة والإبـاء والعطـاء والأعـمار والعدالـة الإنسـانية، حتـى استشـهد بـين يـدي الله أثنـاء الصـلاة في المحـراب، وأن آل الرسـول (عليهـم السـلام) لا يقـاس بهـم أحـد مـن هـذه الأمـة، ولا يسـوّي بهـم مـن جـرت نعمتهـم عليـه أبـداً، فهـم أسـاس الديـن، وعـماد اليقـين، إليهـم يفيـئ الغـالي، وبهـم يلحـق التـالي، ولهـم خصائـص الولايـة، وفيهـم الوصيـة والـوراث .

يجدر بالأمّـة التـي تنتسـب لمثـل هـذا القائـد والقـدوة الـذي يعتـبر تجسـيداً لتعاليـم الإسـلام وثمـرة جهـود الرسـول (صـلى الله عليـه وآلـه) أن تقـدي بسـيرته وتسـتنير بإرشـاداته في خضّـم الفتـن والتحديـات التـي تواجـه كيانهـا وتراثهـا وأبناءهـا .

ثانياً: بعض القيم الأخلاقية لأمير المؤمنين

عندمـا بـدأ أئمـة أهـل البيـت (عليهـم السـلام) بنـاء الجماعـة الصالحـة وضعـوا مجموعـة مـن القواعـد والأسـس القويـة والمحكمـة لإرسـاء هـذا البنـاء عليهـا، وقـد تـم استنباط هـذه القواعـد والأسـس مـن الرسـالة الإسـلامية الخاتمـة بحيـث تمثـل الفهـم الصحيـح للرسـالة مـن ناحيـة، وتحقـق الأهـداف والخصائـص مـن ناحيـة أخـرى .

ولذلـك نجـد أن هـذه القواعـد والأسـس اتصفـت بالشـمولية والأصالـة والإحـكام والانسـجام، فكانـت مزيجـاً مـن الأبعـاد والجوانـب تتوافـر فيـه جميـع مسـتلزمات البنـاء المرصـوص المحكـم الـذي يؤهّلـه للقيـام بهـذا الـدور التاريخـي

وهو حفظ الإسلام والأمة الإسلامية والدفاع عنهما من ناحية، وتحقيق المثل الصالح للجماعة الإنسانية في مسيرة البشرية من ناحية أخرى، وتمثل هذه القواعد والأسس الجانب العقائدي والأخلاقي والثقافي والمعنوي والروح المعنوية العالية والخطوط السياسية العامة[٥٥] ، وسنشير فيما يلي إلى بعض القيم الأخلاقية لأمير القيم والأخلاق علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهي [٥٦] :

١. النية:

هي القصد والإرادة المحركة للإنسان نحو الفعل، وليس الغرض من البحث عنه في المقام مجرد إثبات صدور الفعل عنها، فإنه لا إشكال في ذلك في الأفعال الاختيارية، بل يرجع البحث هنا إلى ملاحظتها من جهة عللها ومعاليلها اعني مناشئ صدورها من اقتضاء العقل والإيمان والغرائز وآثارها وكيفية تأثيرها في أعمال العباد وأنفسهم في الدنيا ويوم القيامة، وإلى أنواعها من خالصها ومشوبها، ومراتب خلوصها وشوبها، والى ترتب الثواب والعقاب عليها وعدمه وغير ذلك .

٢. الورع:

فقد يطلق على التقوى، وقد يطلق على خصوص ترك المحرمات، وقد يطلق على ترك الشبهات أيضاً، ورد في النصوص: أن الله لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة، أي: (كان النبي المبعوث متلبساً بالصدق في كلامه، أو أن وجوب الصدق في الحديث كان من أحكام شريعته) .

٣. الصبر :

الأولى تعريفه بأنه : ملكة قوة وصلابة في النفس تفيد عدم تأثرها عند المكاره، وعدم تسليمها للأهواء، ويسهل عليها القيام بما يقتضيه العقل ويطلبه الشرع، فيسهل للصابر حبس النفس عند المصائب عن اضطراب القلب وشكاية اللسان

وحركات الأعضاء على خلاف ما ينبغي، وعند المحرمات والشهوات عن الوقوع في العصيان، وعند الفرائض حملها على الطاعة والانقياد، ويدخل تحتها عدة من الصفات وتكون من مصاديقها: كالشجاعة في الحروب ويضادها الجبن، وقوة الكتمان ويضادها الإذاعة، والتقوى عن المحارم ويضادها الفسق، والجود عن النفس والمال ويضادها البخل .

وقال مولانا الصادق عليه السلام: إنا صبّر وشيعتنا أصبر منا، لأنا نصبر على ما نعلم، وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون أي: (نحن نعلم بالمصائب قبل حدوثها، ونعلم الحكمة في حدوثها والثواب المترتب عليها، ونعلم عواقبها ووقت زوالها، وكل ذلك له دخل في سهولة التحمل) .

٤. العدل :

هذه الكلمة التي تتلهف إليها النفوس، وعليها أساس الملك، وبها نظام الاجتماع واعتداله، وإنني أعتقد أن أصعب قانون يمكن تطبيقه وتنفيذه في المجتمع هو قانون العدالة!! لاصطدام هذا القانون بنزعات الأقوياء الذين لو كانت العدالة موجودة لما كانوا أقوياء، وهؤلاء في طليعة المكافحين لهذه الفضيلة، والتاريخ والحس والوجدان شواهد على هذا، ولا أراني بحاجة إلى دليل .

ومن لوازم تطبيق العدالة وتنفيذها قوة الإيمان بالله تعالى والتقوى أولاً، وحزم وعزم فوق كل عاطفة واتجاه ومصانعة ثانياً، وعدم الخوف من المشاكل المتوقعة المحتمل وقوعها ثالثاً .

٥. في التربية

إن تحمل الإنسان لمسؤولية أبنائه وعائلته، يجب أن يكون دافعاً له نحو الالتزام بمبادئ الدين وأحكامه، وبمكارم الأخلاق والصفات، فذلك هو الذي يؤهله

للقيام بوظيفته التربوية، ودوره التوجيهي، إن بعض الآباء يضعفون أمام دواعي الأهواء والشهوات، ويسمحون لأنفسهم بارتكاب بعض المحرمات والمحظورات، لكن بعيداً عن أنظار عوائلهم وأبنائهم، في الوقت الذي يوجهون فيه أبناءهم ليكونوا صالحين ملتزمين، فهل يتوقعون لكلامهم المجرد أن يترك أثرا في نفوس أبنائهم؟ إن التوجيه الصادق، الذي يتطابق مع سلوك الاستقامة والصلاح، هو التوجيه المؤثر .

٦. الحسنات بعد السيئات :

إن إتيان الإنسان بحسنة بعد كل سيئة لأجل تكفيرها وتطهير النفس عن الرجز الحاصل منها كاشف عن حالة يقظة للنفس وصلاحها، وهو يمنعها عن حدوث حالة الغفلة والقسوة فيها، والمواظبة على هذا النحو من النظافة والنزاهة تورث ملكة المراقبة وتزكية النفس، وهي من أفضل الملكات، وأنه إذا هم المؤمن بحسنة كتبت له حسنة، فإذا عملها كتبت له عشر حسنات، وإذا هم بسيئة لم تكتب عليه، فإذا عملها أجل تسع ساعات، فإن ندم واستغفر لم تكتب، وإلا كتبت عليه سيئة واحدة .

٧. عفة البطن والفرج :

تخصيص العضوين بلزوم العفة من بين سائر الأعضاء التي يجب حفظها عن المعاصي التي تصدر منها: (كاللسان عن الكلام المحرم، والعين عن النظر الحرام، والسمع عن استماع اللغو واللهو، والبدن عن اللبس المحرم لابتلاء الإنسان بمعاصيهما أكثر من غيرها) لاسيما في أوائل شبابه وأزمنة ثوران شهوته .

٨. السخاء والجود :

السخاء، لغة واضح، وشرعاً: بذل المال أو النفس فيما يجب أو ينبغي، عن ملكة

حاصلة بالممارسة عليه، أو هو نفس تلك الملكة، ونظيره الجود فيشمل اللفظان جميع موارد الإنفاقات الواجبة: كالزكوات والأخماس، والإنفاقات المندوبة، وهي كثيرة في الشرع، وهذه الصفة من أفضل الصفات والملكات الإنسانية قد حكم بحسنها العقل ومدحها الشرع، وحث على الأعمال الموجبة لحصولها في النفس، ويقابلها البخل والشح كما سيأتي بيانهما، قيل: وأن الشاب السخي المعترف للذنوب أحب إلى الله تعالى من الشيخ العابد البخيل .

٩. حسن الخلق :

الخُلق بالضم وبضمتين: الطبع والسجية، وهو صورة نفس الإنسان وباطنه، في مقابل الخَلق بالفتح الذي هو صورة جسمه وظاهره، وهي تتصف بالحسن والقبح كاتصاف الجسم بهما، إلا أن ذاك الاتصاف يكون تحت اختيار الإنسان وإرادته .

أن إصلاح صورة النفس في الدنيا وتحصيل الفضائل لها وإزالة الرذائل عنها بيد الإنسان، قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ..**﴾**(آل عمران: ١٥٩)**، وقال الرسول الأكرم: (**وأن العجب ممن يشتري العبيد بماله كيف لا يشتري الأحرار بحسن خلقه**)، وقال: (**وأن أحسن الحسن الخلق الحسن**) .

١٠. الحلم وكظم الغيظ والعفو والصفح :

الحلم: ضبط النفس عن هيجان الغضب .

والكظم: الحبس والسد، فكظم الغيظ يرادف الحلم .

والعفو: ترك عقوبة الذنب .

والصفح: ترك التثريب واللوم عليه .

فالمراد من العبر والعناوين المذكورة أن يحلم الإنسان عند غضبه للغير ولا يرتب الآثار التي يقتضيها الغضب من العقوبة بالقول أو الفعل، والممارسة على ذلك والعمل بما يحكم به الشرع والعقل سبب لحصول ملكة في النفس تمنعها من سرعة الانفعال عن الواردات المكروهة، وجزعها عن الأمور الهائلة، وطيشها في المؤاخذة، وصدور الحركات غير المنظمة منها، وإظهار المزية على الغير، والتهاون في حفظ ما يجب عليه شرعاً وعقلاً، وهذه الملكة عن أفضل الأخلاق وأشرف الملكات، والحليم هو صاحب هذه الملكة، وكذا الكاظم، قيل: وأن من كف غضبه عن الناس كف الله عنه عذاب يوم القيامة .

١١. الكذب ونقله وسماعه :

الكذب لغة هو: اللاّ مطابقة، ويتصف به الاعتقاد والفعل كما يتصف به الكلام فالظن أو الاعتقاد المخالف للواقع (كذب)، كما أن العمل المخالف للقول والوعد - مثلاً - كذب، والكذب في القول هو: (الكلام المخالف للواقع، خالف الاعتقاد أيضاً أم لا)، أو هو: (الكلام المخالف للاعتقاد، خالف الواقع أم طابق).

ثم إنه لا ريب في أن الكذب من أعظم المعاصي وأشنعها، وهو مما يحكم العقل والنقل بقبحه، وله مراتب شتى في القبح والشناعة: (كالكذب على الله ، وعلى رسوله، وعلى الأئمة عليهم السلام، وعلى المؤمنين وهكذا) .

وأن الله قد جعل للشر أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب، وأن الكذب مذموم إلا في الحرب، ودفع شر الظلمة، وإصلاح ذات البين .

١٢. الرّياء:

الرّياء لغةً: مصدر باب المفاعلة من رأي، فهو والمراءاة بمعنى: إراءة الشيء للغير على خلاف واقعه: كإراءة أنّ صلاته وصيامه لله، وليس كذلك، ويقع غالباً في الأفعال الحسنة لطلب المنزلة عند الناس، فالمرائي اسم فاعل، هو العامل كذلك، والمرائى له اسم مفعول من يطلب جلب قلبه، والمرائى به هو: العمل والرياء قصد إظهار ذلك، والمرائى به تارة يكون من حالات البدن: كإظهار الحزن والضعف والتحوّل ونحوها، وأخرى من قبيل الزّي: كالهيئة وكيفية الشّعر واللباس، وثالثة من قبيل القول والكتابة ونحوهما، ورابعةً من قبيل العمل، وخامسة من قبيل الرفقة والأصحاب والزائرين والمزورين وغيرهم فجميع ذلك ممّا يمكن للإنسان الرياء فيها .

وقد ورد في نصوص أهل البيت عليهم السلام: أنه للمرائي ثلاث علامات: ينشط إذا رأى الناس، ويكسل إذا كان وحده، ويحب أن يحمد في جميع أموره.. وأنه: سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا، يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف، يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم .

١٣. في الدنيا وحبها وذمها(٥٧) :

هنا أمور: الأول: الدنيا في اللغة: اسم تفضيل مؤنث أدنى، تستعمل تارة بمعنى: الأقرب زماناً أو مكاناً، ويقابله الأبعد، وأخرى بمعنى: الأرذل ولأخس، ويقابله الخير، وثالثة بمعنى الأقل ويقابله: الأكثر، والكلمة تطلق بمعانيها على هذه الدنيا في مقابل الآخرة، فإنها الأقرب وجوداً والأرذل جوهراً قيمةً، والأقل كماً وكيفاً.. والدنيا المصطلح عليها عند الشرع وأهله لها أطلاقات ثلاثة :

أحدهـا: الدنيـا المسـتعملة مطلقـة في مقابـل الآخـرة، وهـي: عبـارة عـن كل مـا يرتبـط بالإنسـان ولـه مسـاس بـه قبـل موتـه في هـذا العـالم مما هـو في داخـل وجـوده كتصوراتـه وتصديقاتـه وأقوالـه وأفعالـه، ومما هـو خـارج عنـه متأصـلاً كان، كمآكلـه وملابسـه ومسـكانه، أو غـير متأصـل، كمناصبـه وولاياتـه ونحوهـا، وتقابلـه الآخـر عـلى نحـو الإطـلاق، وهـي: العـالم المحيـط بـه بعـد موتـه .

وثانيهـا: الدنيـا المذمومـة، وهـي أخـص مـن الأولى، فإنهـا عبـارة عنهـا، أو عـن بعـض مصاديقهـا مـع انطبـاق بعـض العناويـن عليهـا وعـروض بعـض الحـالات والإضافـات لهـا كـما سـتعرف .

وثالثهـا: الدنيـا الممدوحـة، وسـيأتي ذكرهـا في ضمـن الروايـات، والـكلام هنـا في القسـم الثـاني، وهـو: الدنيـا التـي نطـق الكتـاب الكريـم بذمهـا وتحقيرهـا، وحثـت النصـوص المتواتـرة عـلى تركهـا والإعـراض عنهـا، وهـذا القسـم يشـمل جميـع مـا يتعلق بالإنسـان مـن تنعّماتـه وانتفاعاتـه، ومـا يسـعى في تحصيلـه مـن علومـه وفنونـه ومناصبـه، ومـا يحصلـه ويعـده لنفسـه مـن أموالـه وأولاده وكل مـا يملكـه ويدخـره لينتفـع بـه، كل ذلـك إذا حصلـت مـن الوجـه المحـرم، أو كانـت مقدمـة للحـرام، أو لوحظـت بنحـو الأصالـة في الحيـاة، وكانـت مبلـغ علـم الإنسـان ومنتهـى همتـه، فتطلـق عـلى الحيـاة المقرونـة بجميـع ذلـك والمشـتملة عليهـا حيـاة الدنيـا، وعـلى نفـس تلـك الأمـور عـرض الحيـاة وزينتهـا ومتاعهـا وحطامهـا ومـا أشـبهها مـن التعابـير القرآنيـة .

وأن الله قـال: (جعلـت الدنيـا ملعونـة، ملعـون مـا فيهـا إلا مـا كان فيهـا لي، وأن عبـادي زهـدوا في الدنيـا بقـدر علمهـم، وسـائر النـاس رغبـوا فيهـا بقـدر جهلهـم، ومـا مـن أحـد عظمهـا فقـرت عينـه فيهـا ولا يحقرهـا أحـد إلا انتفـع بهـا).

وأن الدنيـا دار مـن لا دار لـه، ومـال مـن لا مـال لـه، ولهـا يجمـع مـن لا عقـل لـه،

وشهواتها يطلب من لا فهم له، وعليها يعادي من لا علم له، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له [٥٨]، أنه: لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل يزداد كل يوم إحساناً ورجل يتدراك سيّئته بتوبةٍ.

١٤. في حب الرئاسة

الرئاسة من مصاديق الدنيا، وحبها من حب الدنيا، وقد عرفت تفصيل الأمرين، إلا أن لها أهمية وخطراً وشأناً ومحلاً يقتضي تخصيصها بالذكر كتاباً، وبتوجيه النفس إلى حالاتها وآثارها باطناً، وبالمراقبة عن موجباتها احتياطاً.

وليعلم أن الرئاسة والجاه منها ممدوحة ومنها مذمومة، والأولى هي التي جعلها الله وأنشأها لبعض عباده: كأنبيائه وأوصيائه ومن يتولى الأمور والرئاسة من قبلهم على اختلاف شؤونهم ودرجاتهم، وهذا القسم الذي في مقدمه منصب الإمامة مقام محمود، وجاه ممدوح، خص الله به أولياءه وحفظهم بنحو العصمة التكوينية والتوفيقات الغيبية الإلهية والأوامر والقوانين التشريعية عن خطراته وزلاته.

والدفاع عنها والقتال مع من يزاحمهم فيها أو يريد غصبها، إذ هي كما أنها حق للمعصوم المتصدي لها والمتلبس بها فهي حق الله تعالى عهده إليهم، وأمانته التي أودعها عندهم، وحق للناس فإنها مجعولة لأجلهم ولهدايتهم وإصلاح حالهم وفوزهم، ونجاتهم في دنياهم وسعادتهم ونجاحهم في أخراهم، فالمتصدي الغاصب لها قد ظلم ربه وإمامه وعباد الله تعالى، قال النبي يوسف عليه السلام: ﴿**اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ**﴾، وكان المقام الذي سأل فرعاً من فروع حقه وشعبة من أصوله تمكن من أخذه فطلبه.

ويجب على غير المعصوم أيضاً فيما ولاه من المناصب الشرعية وترتيب آثارها

والعمل بوظائفها ما دامت باقية مع رعاية عدم الوقوع في العصيان لأجلها، وقد بين حدودها في الفقه، وذلك كمنصب الإفتاء والولاية، والحكومة على الناس، والحكم والقضاء بينهم والمناصب الجندية والإدارية، وغيرها مما كانت مجعولة من ناحية الإمام الوالي على الناس، أو من نصبه الإمام والياً لإدارة أمور المجتمع، فمن قصد بقبولها طاعة الإمام والشفقة على عباد الله وإحقاق حقوقهم وحفظ أموالهم وأعراضهم ودمائهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحفظ الحدود ومرابطة الثغور، فهو من أفضل المجاهدات والعبادات .

١٥. في الغفلة واللهو :

الغفلة عن الشيء معروف، والمراد هنا: غفلة القلب عن الله تعالى وعن أحكامه وأوامره ونواهيه، وبعبارة أخرى: عما ينبغي أن يكون متوجهاً إليه ويكون حاضراً عنده ولها مراتب مختلفة: يلازم بعضها الكفر والطغيان، وبعضها الفسق والعصيان، وبعضها النقص والحرمان، فالغفلة عن أصول الإيمان بمعنى عدم التوجه إلى لزومها وإلى قبولها كفر، سواء كان الغافل قاصراً أو مقصراً، وإن لم يعاقب على الأول، والغفلة عن أداء الواجب وترك الحرام مع التقصير فسق، والغفلة عن الإقبال والتوجه إلى آيات الله تعالى الآفاقية والأنفسية، وعن الاهتداء بذلك إلى وجوده تعالى وصفات جلاله وجماله وعن التقرب بذلك لحظة بعد لحظة، وآناً بعد آن إلى قربه ورحمته، وعن كونه حاضراً عنده بجميع شؤون وجوده وخواطر قلبه، ولحظات عينه، ولفظات لسانه، وحركات أركانه، نقص وبعد وحرمان عن مقام السعداء والأولياء، وقد قال تعالى في كتابه: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ** إلى قوله: **لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ**..﴾(الانبياء:١-٣).

١٦.في الكبر :

الكبر: رذيلة من رذائل الإنسان، وخلق سيئ من سجايا باطنه وهو: أن يرى نفسه كبيراً عظيماً بالقياس إلى غيره، وعلى هذا فالكبر صفة ذات إضافة تستدعي مستكبراً به ومستكبراً عليه فهو يفترق عن العجب المتعلق بالفعل بتغاير المتعلق وعن العجب المتعلق بالنفس، بعدم القياس فيه على الغير .

وهذه الصفة من أقبح خصال النفس وأشنعها، ولعل أصل وجودها كالحسد وحب الرئاسة والمال من السجايا المودعة في فطرة الإنسان وزيادتها وتكاملها وتحريكها صاحبها نحو العمل بمقتضاها، تكون باختياره وتحت قوته العاقلة، كما أن معارضتها والسعي في إزالتها أيضاً كذلك، وهي من الصفات التي تورث اغتراراً في صاحبها وفرحاً وركوناً إلى نفسه، ومحل هذه الصفة ومركزها القلب كما يقول الله تعالى: ﴿**إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ**..﴾**(غافر:٥٦)**، لكنه إذا ظهرت على الأعضاء والأركان سميت تكبراً واستكباراً، لاقتضاء زيادة المباني ذلك، لكن أطلقت الكلمتان في الكتاب الكريم على نفس الصفة أيضاً.. ثم إن الكبر من حيث المتكبر عليه ينقسم إلى أقسام ثلاثة مع اختلاف مراتبها في القبح :

الأول: التكبر على الله تعالى: إما بإنكار وجوده جل وعلا، أو وحدانيته، أو شيئاً من صفات جلاله وجماله، ومنه أيضاً عدم قبول إبليس أمره، وهذا أفحش أنواع الكبر، ولا صفة في النفس أخبث وأقذر منه، وقد أتفق فيما يظهر من التأريخ صدوره من عدة ممن ادعى الإلوهية وغيرهم .

الثاني: التكبر على أنبياء الله ورسله وأوصيائه بإنكار رسالتهم ورد ما جاؤوا به من الكتاب والشريعة .

الثالث: التكبر على عباد الله بتعظيم نفسه وتحقيرهم والامتناع عن الانقياد لمن

هو فوقه منهم بحكم العقل أو الشرع، وعن العشرة بالمعروف مع من هو مثله فيترفع عن مجالستهم ومؤاكلتهم، ويتقدم عليهم في موارد التقدم ويتوقع منهم الخضوع له، ويمتنع عن استفادة العلم وقبول الحق منهم، ويأنف إذا وعظوه، ويعنف إذا وعظهم، ويغضب إذا ردوا عليه، وينظر إليهم نظر البهائم استجهالاً واستحقاراً وهكذا .

١٧. في الحسد:

الحسد: تمني زوال نعمة الغير، وله صور: فإن الحاسد: إما أن يتمنى زوالها عن الغير فقط، أو يتمنى مع ذلك انتقالها إليه، وعلى التقديرين: إما أن يصدر منه حركة من قول أو فعل على طبق تمنيه، أو لا يصدر، وعلى أي فحقيقة الحسد عبارة عن تلك الصفة النفسية، ولها مراتب في الشدة والضعف وصدور الحركات الخارجية من آثارها ومقتضياتها .

والحسد من أخبث الصفات وأقبح الطبائع، وهو من القبائح العقلية والشرعية، فإنه في الحقيقة سخط لقضاء الله واعتراض لنظام أمره وكراهة لإحسانه، وتفضيل بعض عباده على بعض، ويفترق عن الغبطة الممدوحة، بأن الحاسد يُحبّ زوال نعمة الغير والغابط يحب بقاءها، لكنه يتمنى مثلها أو ما فوقها لنفسه .

وللحسد أسباب كثيرة: عداوة المحسود مخافة أن يتعزز ويتفاخر عليه، وتكبره على المحسود وتعجبه من نيل المحسود بتلك النعمة، وحب الرئاسة على المحسود، فيخاف عدم إمكانها حينئذ وغير ذلك، ومن آثاره تألم الحاسد باطناً، ووقوعه في ذلك العذاب دائماً، ولذا قال علي عليه السلام: (لله در الحسد حيث بدأ بصاحبه فقتله) .

١٨. الغضب[٥٩] :

الغضـب: ثـوران النفـس واشـتعالها لإرادة الانتقـام، ويسـتخرجه الكـبر والحسـد والحقـد الدفينـات في باطـن النفـس، فالغضـب مـن حـالات النفـس وصفاتهـا ومـن آثـاره صـدور الأفعـال والحـركات غـير العاديـة مـن صاحبـه .

والغضـب منه تعالى: هـو الانتقـام دون غـيره فهـو في الإنسـان في صفـات الـذات، وفي الله تعـالى مـن صفـات الفعـل، ولـذا يتصـف تعـالى بوجـوده وعدمـه، وتتوجـه هـذه القـوة عنـد ثورانهـا تـارة إلى دفـع المـؤذي قبـل وقوعـه، وأخـرى إلى الانتقـام لأجـل التّشـفّي بعـد وقوعهـا والانتقـام قـوت هـذه القـوة، وفيـه شـهوتها ولذّتهـا ولا تسـكن إلا بـه، ولهـذه القـوة درجـات ثـلاث:

حالـة التفريـط المذمومـة: كضعفهـا في النفس بحيـث لا يغضـب فيـما هـو محمـود فيه عقـلا وشرعـاً: كمـوارد دفـع الـضرر عـن نفسـه، والجهـاد مـع أعـداء الديـن، ومـوارد الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر ونحوهـا .

وحالـة الإفـراط المذمومـة أيضـاً: كإظهارهـا بالشـتم والـضرب والإتـلاف والقتـل ونحوهـا فيـما نهـى العقـل والـشرع عنـه .

وحالـة الاعتـدال: كاسـتعمالها فيـما تقتضيـه قـوة العقـل وحكـم الـشرع، وهـذه حـد اعتدالهـا واسـتقامتها.. وقـد ورد في نصـوص هـذا البـاب: أن الغضـب مفتـاح كل شر، وأن الرجـل البـدوي سـأل رسـول الله ثـلاث مـرات أن يعلّمـه جوامـع الكلـم، فقـال (صـلى الله عليـه وآلـه) في كل مـرة: آمـرك أن لا تغضـب .

وأنـه أي شيء اشـد مـن الغضـب ؟ إن الرجـل يغضـب فيقتـل النفـس التـي حـرم الله، ويقـذف المحصنـة، وأن هـذا الغضـب جمـرة مـن الشـيطان توقـد في قلـب ابـن آدم،

وأن أحدكم إذا غضب احمرت عيناه وانتفخت أوداجه، ودخل الشيطان فيه[٦٠] .

وأما الغضب الحاصل بحق: كغضب أولياء الله على أعدائه وعلى العصاة المرتكبين للمعاصي من عباده لكفرهم وعنادهم ولفسقهم وعصيانهم، فهو أمر آخر، وهو ممدوح مطلوب، وإعماله في الخارج بالقيام على أمر الجهاد وبإقامة مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل أن تقع المعاصي وتصدر الكبائر من أهلها، وبإجراء حدود الله تعالى وتعزيزاته بعد وقوعها وصدورها، فهو واجب في الشريعة، والغضب الحاصل لهم من أفضل السجايا، والعمل الصادر منهم على طبقه من أفضل العبادات، وليس للمتصدي لتلك الأمور، المجري لها بأمر الله العفو والإغماض إلا في موارد رخص فيه الشرع ذلك، وتفصيله في باب الحدود والتعزيزات من الفقه.

١٩. البخل :

البخل: إمساك المال وحفظه في مورد لا ينبغي إمساكه، ويقابله الجود، والبخيل من يصدر منه ذلك، والمراد به في المقام هو: الحالة الباطنية والصفة العارضة على النفس، الباعثة على الإمساك والمانعة عن الإنفاق، والشح: أيضاً هو البخل، وقيل: هو البخل مع الحرص، فيحفظ الموجود ويطلب غير الموجود .

وأن الشحيح أشد من البخيل، إن البخيل يبخل بما في يديه، والشحيح بما في أيدي الناس، فلا يرى في أيديهم إلا تمنى أن يكون له بالحل والحرام ولا يشبع، ولا يقنع بما رزقه الله، وأنه: إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالكذب فكذبوا، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، ودعاهم حتى سفكوا دماءهم، ودعاهم حتى انتهكوا واستحلوا محارمهم[٦١] .

٢٠. زهده :

يقول الإمام (عليه السلام): (على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيتهم في الأكل واللباس، ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدرون عليه ليراهم الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه ويراهم الغني فيزداد شكراً وتواضعاً) (٦٢) .

٢١. قسوة القلب :

القسوة: غلظ القلب، وصلابته وعدم تأثّره بالمواعظ والعبر، في مقابل رقة القلب، ورحمته وتأثره بالعظات واتعاظه بالعبر، وهي من حالات القلب وصفاته المذمومة السيئة، وهي قد تكون ذاتيّةً مودعةً في القلب بالفطرة، وقد تكون كسبيّةً حاصلة من الممارسة على المعاصي والمآثم، وعلى التقديرين: فهي قابلة للزوال بالكلية، أو للتخفيف والتضعيف .

قال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ..**﴾ **(الزمر:٢٢)**، فذكر الله قسوة القلب هنا في مقابل انشراح الصدر للإسلام وانفتاحه وسعته، فصار لذلك على نور من العلم والعمل، والقسوة في قباله انسداد القلب وضيقه وعدم تأثير العظات فيه، وقد أوعد الله تعالى جزاءها بالويل، وهي بمعنى: القبح والشّر والهلاك، فالمراد: إنشاء دعاء من الله على قاسي القلب، أو إخبار باستحقاقه .

ورد في النصوص: أن القلب له لمتان: لمة من الشيطان ولمة من الملك، فلمّة الملك: الرقة والفهم، ولمة الشيطان: السهو والقسوة، (واللمة بالفتح: الإلقاء والخطور، فخطرات الخير فيه من الملك، وخطرات الشر من الشيطان، ويتولد من الأول فهم المعارف الإلهية ولين القلب لفعلها، ومن الثاني غفلته عن الحق وقسوته، فقوله: لمة الملك الرقة: أي نتيجتها الرقة أو علامتها ذلك.

هوامش البحث:

١. اللاري، مجتبى/ دراسة في المشاكل النفسية والأخلاقية، ط١ / دار الصفوة -بيروت/ ١٩٩٢، ص: ١٣ .

٢. الناصري، عباس/ الأخلاق الإسلامية/ بلا دار نشر- النجف الاشرف/ بلا.ت، ص: ٧ .

٣. - ألأسدي ومحمد، أ.د. سعيد جاسم، ود.فاضل عبد العباس / قراءة فلسفية في أخلاقيات مهنة الإدارة واتخاذ القرارات الإستراتيجية / مؤسسة البصرة للطباعة والنشر- العراق- بصرة/ ٢٠١٦، ص: ٨ .

٤. المجلسي، محمد باقر ألمجلسي/ بحار الأنوار، ط٢/ مؤسسة الوفاء- بيروت / ١٤٠٣، ص:٣٨٢.

٥. الطبرسي، ميرزا حسين النوري الطبرسي/ مستدرك الوسائل / مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط١ ، / بلا دار نشر- قم المقدسة / ١٤٠٨ ، ٨٤ ح:٣٨ .

٦. مغنية، محمد جواد / فلسفة الأخلاق في الإسلام، ط١/ دار اليتيم، ودار الجواد / ١٩٩٢، ص:١٥ .

٧. الإصفهاني، بلا.ت / أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني/ مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٢ / دار القلم- دمشق، ودار الشامية- بيروت/ ١٤١٨- ١٩٧٧، ص:١٥٨ .

٨. المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي / لسان العرب، المجلد: ١٠ / دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت / ١٩٦٨، ص:٦٨ .

٩. أبن مسكويه، أحمد بن محمد / تهذيب الأخلاق وتطهير العراق، تحقيق: قسطنطين زريق / الجامعة الأمريكية- بيروت / ١٩٦٦، ص:٥١ .

١٠. شبر، السيد عبد الله / الأخلاق، ط١ / مؤسسة ذو القربى/ ١٤٢٧= ٢٠٠٦ .

١١. الغزالي، أبو حامد محمد / كتاب الأربعين في أصول الدين / القاهرة / بلا.ت، ص:٥٣ .

١٢. الحيدري، السيد كمال / بحوث في جهاد النفس، ط:٢٠ / مؤسسة الإمام الجواد (عليه السلام) للفكر والثقافة - قم المقدسة / ٢٠١٢، ص:٦٣ .

١٣. شريعتي، د.علي / الأخلاق للشباب والطلاب والناشئة، ط:٢/ دار الأمير للثقافة والعلوم-

بـيروت / ٢٠٠٧، ص:١٢ .

١٤. متوفر على الموقع : www.alzahrah.net

١٥. الأسـدي، أ.د. سعيد جاسـم/ الإلتـزام الخُلقـي لـدى عينـة مـن الطالبـات العراقيـات – بحـث ميـداني / مجلـة ص والقـران ذي الذكـر – مجلة علمية بحثيـة تصـدر عـن قسـم الدراسـات والبحـوث في مؤسسـة وارث الثقافية/ الغدير للطباعة– بـصرة/ ٢٠٠٨، ص:٦١ .

١٦. التونجي، د. محمد / أخلاقيات المهنة والسلوك الإجتماعي، ط١/ دار وائل للنشر والتوزيـع – عـمان / ٢٠١١، ص:٩٥ .

١٧. العلـواني، طـه جابر/ الأزمـة الفكريـة المعـاصرة تشـخيص ومقترحـات وعـلاج / القاهـرة– إصـدارات المعهـد العالمي للفكـر الإسـلامي/ ١٩٩٢، ص:١٦٧ .

١٨. – فـام، يعقـوب فـام / أطفالنـا وكيـف نؤسسـهم، ط١/ مؤسسـة دار الهـلال – القاهـرة / ١٩٣٠، ص:٧-١٣ .

١٩. الشهرستاني، أبـو الفتـح / الملـل والنحـل، تحقيـق: محمـد الكيـلاني / مطبعـة البـابي – القاهـرة/ ١٣١٧، ص:١٢ .

٢٠. اللاري، مجتبى/ الأخلاق الإسلامية / مصدر سابق، ص: ٢٤ .

٢١. الطـبرسي، أبـو عـلي بـن الحسـن (القـرن السـادس الهجـري) / مجمـع البيـان في تفسـير القـرآن/ دار مكتبـة الحيـاة – بـيروت/ بـلا.ت، ص:١٨٧

٢٢. الغـزالي، أبـو حامـد محمـد / إحيـاء علـوم الديـن/ مكتبـة محمـد عـلي صبيـح– القاهـرة / ١٣٧٥، ص:٤٦ .

٢٣. الحلـواني، الشـيخ الحسـين بـن محمـد بـن الحسـن بـن نـصر/ نزهـة الناظـر وتنبيـه الخاطـر، الطبعـة الأولى المحققـة / مؤسسـة الإمـام المهـدي (عليـه السـلام) – قـم المقدسـة / ١٤٠٨، ص:٥٢ .

٢٤. الصدوق، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار / بلا. ت، ص:٥٩٣ .

٢٥. الطـبرسي، مـيرزا حسـين النـوري الطـبرسي/ مسـتدرك الوسـائل / مؤسسـة آل البيـت (عليهـم السـلام) لإحيـاء الـتراث، ط١ – قـم المقدسـة / ١٤٠٨، ص:١٩٣ .

٢٦. متوفر على الموقع : www.almaaref.org

٢٧. الصدر، السيد مهدي الصدر / أخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، تقديم السيد محمد هادي الموسوي الخراساني / نشر: وانك - قم المقدسة / ٢٠١١ ،ص:١٣- ١٤ .

٢٨. الحلي، جمال الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن فهد / المهذب البارع في شرح المختصر النافع، تحقيق : الحجة الشيخ مجتبى العراقي،ج١ / مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة/ ١٤٠٧ ، ص:٦) .

٢٩. الحسني، السيد محمد نجيب/ مجلة نور الإسلام، دور الأخلاق في بناء الفرد والمجتمع، العدد:١ / ٢٠٠٨-٢٠٠٩ .

٣٠. محمد، فاضل عبد العباس / رسالة ماجستير (غير منشورة) بعنوان: أخلاقيات مهنة الإدارة وأثرها في اتخاذ القرارات للعمليات الإنتاجية الإستراتيجية في العراق / جامعة سانت كليمنتس، تخصص: أدارة صناعية، العراق- البصرة / ٢٠١٣ .،ص:٧-١٤ .

٣١. الغامدي، ٢٠١٠م / سعيد بن ناصر / سلسلة دعوة الحق: أخلاقيات العمل (ضرورة تنموية ومصلحة شرعية) / دعوة الحق كتاب شهري محكم يصدر عن الإدارة العامة للإعلام والثقافة برابطة العالم الإسلامي، العدد:٢٥، مكة المكرمة / ٢٠١٠، ص:٢١.

٣٢. الغامدي، د.خالد بن مسفر/ مصدر سابق، ص:٢٣ .

٣٣. التونجي، د. محمد / أخلاقيات المهنة والسلوك الإجتماعي، ط١/ دار وائل للنشر والتوزيع - عمان / ٢٠١١، ص: ٩٨ .

٣٤. الكبيسي وآخرون، أ.د عبد الواحد حميد، وأ.د.صبري بردان الحياني، ود.إسماعيل علي حسين، وآخرون / أخلاقيات وآداب مهنة التدريس الجامعي / مركز ديبونو لتعليم التفكير- عمان / ٢٠١٢، ص:٢٤-٢٧ .

٣٥. (التونجي، د.خالد بن مسفر، ٢٠١١/ مصدر سابق، ص: ٩٨-٩٩) .

٣٦. رحمة، أنطوان / التربية الخلقية / جامعة دمشق، بلا دار نشر / ١٩٨٤ .

٣٧. حسن، إيناس عبد / تطوير أهداف التعليم الجامعي المصري في ضوء بعض المتغيرات العالمية والمحلية والاتجاهات المستقبلية وتحديات معوقات تحقيقها (دراسة ميدانية على جامعة الزقاقيق)

المؤتمر القومي السنوي الثاني لمركز تطوير التعليم الجامعي (الأداء الجامعي الكفاءة والفاعلية والمستقبل) / جامعة عين شمس- مركز تطوير التعليم الجامعي / ١٩٩٥ .

٣٨. شفاء العليل، محمد بن أبي بكر أبن القيم الجوزية / شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي/ دار الفكر- بيروت / ١٣٩٨، ص:١٢٩ .

٣٩. ابن قيم، محمد بن أبي بكر/ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق:محمد حامد الفقي/ دار الكتب العلمية- بيروت / ١٣٩٣، ص:٢/ ٢١٥ .

٤٠. زاد الميعاد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية / زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط،وعبد القادر الأرناؤوط،ط١٤ / مؤسسة الرسالة-بيروت / ١٤٠٧،ص:٣/ ٦٠٨ .

٤١. ناصر، د. نعيم عقلة / الإدارة العامة العربية الإسلامية – موسوعة الإدارة العامة العربية الإسلامية / المنظمة العربية الإدارية – عمان / ٢٠٠٤، ص:٣٦

٤٢. زاهر، ضياء / القيم والمستقبل: دعوة للتأمل / مستقبل التربية العربية، مجلد:١، العدد:١ / ١٩٩٥، ص:١٨ .

٤٣. بدوي، عبد الرحمن / الأخلاق عند كانت / وكالة المطبوعات – الكويت / ١٩٧٩، ص: ٤٣٩ .

٤٤. ألأسدي، أ.د. سعيد جاسم، ٢٠١٣/ مصدر سابق، ص:٨٠ .

٤٥. بدوي، عبد الرحمن ، ١٩٧٩/ مصدر سابق، ص:٩٨ .

٤٦. الأندلسي، ابن حزام / المحلي، تحقيق: أحمد محمد شاكر / بلا دار نشر – القاهرة / ١٩٨٠، ص:٣٧٩ .

٤٧. فرج، محمد سعيد / البناء الاجتماعي والشخصي / دار المعرفة – الإسكندرية / ١٩٨٩، ص:٣٤٩ .

٤٨. محمد، فاضل عبد العباس،٢٠١٦/ مصدر سابق، ص:٢٥-٢٨ .

٤٩. ذياب، فوزية / القيم والعادات الإجتماعية / دار الكتاب العربي للطباعة والنشر- القاهرة / ١٩٨٠، ص:٨٧-٨٩ .

٥٠. مرعي، توفيق، وأحمد بلقيس / الميسر في علم النفس الاجتماعي / دار الفرقان للنشر والتوزيع – عمان / ١٩٨٤، ص:٢٣٣ .

٥١. العقاد، عباس محمود/ مجموعة العبقريات الاسلامية كاملة/ المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت/ بلا.ت، ص:٣ .

٥٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي/ دار الجيل – بيروت ط١/ ١٣٩٣، ص: ٦٥٥ .

٥٣. المفيد النيسابوري، أبي سعيد محمد بن احمد الحسين الخزاعي/ الأربعين عن الأربعين في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام/ العتبة الحسينية المقدسة، فقسم الشؤون الفكرية والثقافية- كربلاء/ ٢٠١٦، ص:٥٧- ٦٨ .

٥٤. العطار، رضا / متوفر على الموقع: ridhaalattar@yahoo.com

٥٥. الحكيم، محمد باقر/ دور اهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، ج١/ المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام) قم المقدسة/ بلا.ت، ص:٥٦ .

٥٦. القزويني، السيد محمد كاظم/ علي من المهد إلى اللحد/ مطبعة الآداب – النجف الشرف/ ١٩٦٧، ص: ٥٤- ٢٧٣ .

٥٧. القزويني، السيد محمد كاظم، ١٩٦٧/ مصدر سابق، ص: ٢٠٧-٢١١ .

٥٨. بحار الأنوار، العلامة المجلسي / دار الكتب الإسلامية – طهران/ بلا .ت، ج:٧٣، ص:١٢٢ .

٥٩. القزويني، السيد محمد كاظم، ١٩٦٧/ مصدر سابق، ص: ٢٤٣-٢٥٤ .

٦٠. الكافي، ثقة الإسلام الكليني / دار الكتب الاسلامية – طهران ط٣ ، ج٢ ، ص:٣٠٤ .

٦١. الخصال الشيخ الصدوق / جماعة المدرسين – قم ، ط ٤/ بلا .ت ، ص:١٧٦ .

٦٢. محمديان، محمد/ حياة أمير المؤمنين عن لسانه، ط١/ مؤسسة النشر الاسلامي- قم المشرفة/ ١٤١٧، ص:٦٥ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١) والاحاديث النبوية الشريفة .

٢) القواميس العربية :

١- المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي / لسان العرب، المجلد: ١٠ / دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت / ١٩٦٨ .

٣) كتب الاحاديث الدينية .

١- أبن مسكويه، أحمد بن محمد / تهذيب الأخلاق وتطهير العراق، تحقيق: قسطنطين زريق / الجامعة الأمريكية- بيروت / ١٩٦٦ .

٢- ابن سينا، الحسين بن عبد الله/ تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات (الرسالة التاسعة في الأخلاق)، ط١ / دار الجوانب/ ١٢٩٨ هجرية .

٣- ابن قيم، محمد بن أبي بكر/ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق:محمد حامد الفقي/ دار الكتب العلمية- بيروت / ١٣٩٣ هجرية .

٤- بحار الأنوار، العلامة المجلسي / دار الكتب الإسلامية – طهران/ بلا .ت .

٥- زاد الميعاد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية / زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، ط١٤ / مؤسسة الرسالة - بيروت / ١٤٠٧ هجرية .

٦- - الحكيم، محمد باقر/ دور اهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، ج١/ المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت (ع)– قم المقدسة/ بلا.ت .

٧- الحلواني، الشيخ الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر/ نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الطبعة الأولى المحققة / مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام) - قم المقدسة / ١٤٠٨ هجرية .

٨- الأندلسي، ١٩٨٠ / ابن حزام/ المحلي، تحقيق: أحمد محمد شاكر / بلا دار نشر - القاهرة / ١٩٨٠ .

٩- الغزالي، أبو حامد محمد / إحياء علوم الدين/ مكتبة محمد علي صبيح- القاهرة / ١٣٧٥ هجرية .

١٠- الغزالي، بلا.ت / ------------------------------/ كتاب الأربعين في أصول الدين / القاهرة / بلا.ت .

١١- شفاء العليل، محمد بن أبي بكر أبن القيم الجوزية / شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي/ دار الفكر- بيروت / ١٣٩٨ هجرية .

١٢- ألمجلسي، محمد باقر ألمجلسي/ بحار الأنوار، ط٢/ مؤسسة الوفاء- بيروت / ١٤٠٣ هجرية .

١٣- الحلي، جمال الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن فهد / المهذب البارع في شرح المختصر النافع، تحقيق : الحجة الشيخ مجتبى العراقي،ج١ / مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة/ ١٤٠٧ ، ص:٦ .

١٤- الشهرستاني، أبو الفتح / الملل والنحل، تحقيق: محمد الكيلاني / مطبعة البابي – القاهرة / ١٣١٧ هجرية .

١٥- الطبرسي، بلا.ت / أبو علي بن الحسن (القرن السادس الهجري) / مجمع البيان في تفسير القرآن/ دار مكتبة الحياة – بيروت/ د.ت .

١٦- الطبرسي، ميرزا حسين النوري الطبرسي/ مستدرك الوسائل / مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط١ – قم المقدسة / ١٤٠٨ .

١٧- الصدوق، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار / بلا. ت .

١٨- الكليني، محمد بن يعقوب الكليني / الأصول من الكافي (ت٣٢٨ه)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط١، ج٢ / دار صعب – بيروت / ١٤٠١هجرية .

١٩- الإصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني/ مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٢ / دار القلم- دمشق، ودار الشامية- بيروت / ١٤١٨= ١٩٧٧ .

٢٠- الأندلسي، ابن حزام / المحلي، تحقيق: أحمد محمد شاكر / بلا دار نشر – القاهرة / ١٩٨٠ .

٢١- المفيد النيسابوري، أبي سعيد محمد بن احمد الحسين الخزاعي/ الأربعين عن الأربعين في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام/ العتبة الحسينية المقدسة، فقسم

الشؤون الفكرية والثقافية- كربلاء/ ٢٠١٦، ص:٥٧- ٦٨ .

٤) **الرسائل والاطاريح والمجلات والدوريات :**

١- حسن، إيناس عبد / تطوير أهداف التعليم الجامعي المصري في ضوء بعض المتغيرات العالمية والمحلية والاتجاهات المستقبلية وتحديات معوقات تحقيقها (دراسة ميدانية على جامعة الزقاقيق) المؤتمر القومي السنوي الثاني لمركز تطوير التعليم الجامعي (الأداء الجامعي الكفاءة والفاعلية والمستقبل) / جامعة عين شمس- مركز تطوير التعليم الجامعي / ١٩٩٥ .

٢- الحسني، السيد محمد نجيب/ مجلة نور الإسلام، دور الأخلاق في بناء الفرد والمجتمع، العدد :١ / ٢٠٠٨-٢٠٠٩ .

٣- زاهر، ١٩٩٥م / ضياء / القيم والمستقبل: دعوة للتأمل / مستقبل التربية العربية، مجلد:١، العدد:١ / ١٩٩٥ .

٤- محمد، فاضل عبد العباس / رسالة ماجستير (غير منشورة) بعنوان: أخلاقيات مهنة الإدارة وأثرها في إتخاذ القرارات للعمليات الإنتاجية الإستراتيجية في العراق / جامعة سانت كليمنتس، تخصص: أدارة صناعية، العراق- البصرة / ٢٠١٣ .

٥- الأسدي، أ.د. سعيد جاسم/ الإلتزام الخُلقي لدى عينة من الطالبات العراقيات - بحث ميداني / مجلة ص والقران ذي الذكر - مجلة علمية بحثية تصدر عن قسم الدراسات والبحوث في مؤسسة وارث الثقافية/ الغدير للطباعة- بصرة/ ٢٠٠٨ .

٦- الحساني، علي حسين/ المؤتمر الفكري الرابع بعنوان: (محمد الصدر شموخُ عطاءْ وشهادةُ كبرياء)، مداخلة بعنوان: (مهدوية النشأة لدى السيد محمد الصدر) / منشورات مؤسسة وارث الأنبياء الثقافية، العراق- بصرة / ٢٠١٠ .

٧- العلواني، ١٩٩٢ / طه جابر/ الأزمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات وعلاج / القاهرة- إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي/ ١٩٩٢.

٥) **الكتب العربية :**

١- رحمة، أنطوان / التربية الخلقية / جامعة دمشق / ١٩٨٤ .

٢- بدوي، عبد الرحمن / الأخلاق عند كانت / وكالة المطبوعات - الكويت / ١٩٧٩ .

٣- بكر، عبد الجواد السيد/ فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، ط١/ دار الفكر

العربي- مصر/ ١٩٨٣.

٤- ذياب، فوزية / القيم والعادات الإجتماعية / دار الكتاب العربي للطباعة والنشر- القاهرة / ١٩٨٠ .

٥- شبر، السيد عبد الله / الأخلاق، ط١ / مؤسسة ذو القربى/ ١٤٢٧= ٢٠٠٦ .

٦- شريعتي، د.علي / الأخلاق للشباب والطلاب والناشئة، ط:٢/ دار الأمير للثقافة والعلوم- بيروت / ١٤٢٨ هجرية- ٢٠٠٧ .

٧- فام، يعقوب فام / أطفالنا وكيف نؤسسهم، ط١/ مؤسسة دار الهلال - القاهرة / ١٩٣٠ .

٨- فرج، محمد سعيد / البناء الإجتماعي والشخصي / دار المعرفة - الأسكندرية / ١٩٨٩ .

٩- مرعي، توفيق، وأحمد بلقيس / الميسر في علم النفس الإجتماعي / دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان / ١٩٨٤ .

١٠- مغنية، محمد جواد / فلسفة الأخلاق في الإسلام، ط١/ دار اليتيم، ودار الجواد / ١٩٩٢ .

١١- ناصر، د. نعيم عقلة / الإدارة العامة العربية الإسلامية - موسوعة الإدارة العامة العربية الإسلامية / المنظمة العربية الإدارية - عمان / ٢٠٠٤ .

١٢- الحيدري، السيد كمال / مقدمة في علم الأخلاق / دار فراقد للطباعة والنشر- قم المقدسة / ١٤٢٥هجرية - ٢٠٠٤ .

١٣- الحيدري، السيد كمال / بحوث في جهاد النفس، ط:٢٠ / مؤسسة الإمام الجواد (عليه السلام) للفكر والثقافة - قم المقدسة / ٢٠١٢ .

١٤- التونجي، د. محمد / أخلاقيات المهنة والسلوك الإجتماعي، ط١/ دار وائل للنشر والتوزيع - عمان / ٢٠١١.

١٥- الصدر، السيد مهدي الصدر / أخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، تقديم السيد محمد هادي الموسوي الخراساني / نشر: وانك - قم المقدسة / ٢٠١١ .

١٦- العقاد، عباس محمود/ مجموعة العبقريات الاسلامية كاملة/ المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت/ بلا.ت .

١٧- الكبيسي وآخرون، أ.د عبد الواحد حميد، وأ.د.صبري بردان الحياني، ود.إسماعيل علي حسين، وآخرون / أخلاقيات وآداب مهنة التدريس الجامعي / مركز ديبونو لتعليم التفكير- عمان / ٢٠١٢ .

١٨- النراقـي، محمـد مهـدي / جامـع السـعادات، تحقيـق وتعليـق: السـيد محمـد كلانـتر، تقديـم الشـيخ رضـا المظفـر/ منشـورات مطبعـة النعـمان – النجـف الأشرف / بـلا ت .

١٩- الناصري، عباس/ الأخلاق الإسلامية/ بلا دار نشر- النجف الاشرف/ بلا.ت، ص: ٧ .

٢٠- القزويني، السيد محمد كاظم/ علي من المهد إلى اللحد/ مطبعة الآداب –النجف الشرف / ١٩٦٧، ص:٢ .

٢٢- ألأسدي، أ.د. سعيد جاسم / معايير أخلاقية لتنمية التعليم الجامعي والعالي/ مكتبة نور الحسن بغداد/ ٢٠١٣.

٢٣- ألأسدي ومحمد، أ.د. سعيد جاسم، ود.فاضل عبد العباس / قراءة فلسفية في أخلاقيات مهنة الإدارة واتخاذ القرارات الإستراتيجية / مؤسسة البصرة للطباعة والنشر- العراق- بصرة / ٢٠١٦.

٢٤- الاسدي، ا.د. سعيد جاسم/ السلوك الإنساني / مؤسسة البصرة للطباعة والنشر – البصرة/ ٢٠١٧، ص ٦٢.

٢٥- اللاري، مجتبى/ دراسة في المشاكل النفسية والأخلاقية، ط١ / دار الصفوة –بيروت / ١٩٩٢، ص: ١٣.

٢١- محمديان، محمد/ حياة أمير المؤمنين عن لسانه، ط١/ مؤسسة النشر الاسلامي- قم المشرفة/ ١٤١٧، ص:٦٥ .

٢٦- الصفار، فاضل / إدارة المؤسسات من التأهيل إلى القيادة / دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع - بيروت / ٢٠٠٢.

٦) المواقع الالكترونية :

١- العطار، رضا / متوفر على الموقع : ridhaalattar@yahoo.com

٢- الاعرجي، زهير/ النظام العائلي ودور الأسرة في البناء الاجتماعي الإسلامي/ قم- إيران / ١٤١٣ ،

ص:١-١٧/ متوفر على الموقع : net.rafed.www

٣- متوفر على الموقع : www.alzahrah.net

الأثر القرآني في فكر الإمام علي (عليه السلام)

دراسة للمبادئ التربوية في نهج البلاغة

أ.م.د. محمد كاظم حسين الفتلاوي

كلية التربية / جامعة الكوفة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

أما بعد.. لسمو المعاني التي يطرحها الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة لا يجعل مجالاً للشك ان منهل نهج البلاغة نابع من سمو مبادئ التنزيل الحكيم، تكاد تستطيع أن تحصل على ما يقابل ويؤيد أي مقطع تربوي منه في نصوص القرآن الكريم، ومن ثم كان ذلك مشجعاً للباحث على ان يلج بين البحرين لبيان ذلك الأثر القرآني التربوي في فكر الإمام علي عليه السلام من خلال مقاطع من نهج البلاغة.

إن الإمام عليه السلام في ميزانه الخُلقي الذي يقدمه في منهجه، كإمام معصوم وكوصي لخاتم الأنبياء المصطفى محمد، إنما هو منهج رباني للإنسان الخليفة الذي جعله الله تعالى على سطح هذا الكوكب.

إن هذا الميزان الذي يرتكز على الرحمة، ويمتد لطرفين في تحصيل الفضائل هما الأول: الحرص على رضا الله تعالى وتقواه، والثاني: هو توعية الإنسان بإطلاع المولى على سريرته؛ كي تقترن السريرة بالسيرة على علة واحدة ويجتمعان في اتجاه واحد.

فكان من **أسباب اختيار موضوع البحث** أنّ التربية تُعد قوة مؤثرة في حركة التغيير الاجتماعي نحو الأفضل إذا أُحسن توجيهها، وإذا كانت الفجوة كبيرة بين حاضرها والواقع الذي عاشه أسلافنا الكرام فإن ذلك يدفعنا إلى تأكيد أهمية التأصيل بإرجاع القضايا التربوية إلى جذورها في تراثنا الإسلامي، لذا من الضروري أن ننطلق من الواقع ومتغيراته المختلفة، ورصد مشكلاته المتنوعة لتجاوز التخلف، والإمام علي بن ابي طالب عليه السلام يمثل ذلك النص المعصوم الناطق

بالدلالات البنائية المترجمة لآي النص القرآني الكريم، فهو ﷺ في أقواله وأفعاله أنموذجاً رائداً في المجال التربوي، وان كل النظريات التربوية سواء منها المستوردة أو التي انتجها العقل المسلم بعيداً عن منهل القرآن الكريم وسُنة المعصوم لا تلبّي حاجات الفرد والمجتمع وقد بان فشلها ولم تثمر في الواقع العملي، ولعل ذلك نلتمسه في قوله ﷺ: (**غداً ترون أيامي ويكشف لكم عن سرائري، وتعرفونني بعد خلو مكاني وقيام غيري مقامي**)[١].

ومنهج البحث فكان المنهج الوصفي التحليلي الذي يهدف إلى: (وصف الأشياء أو الظواهر أو الأحداث وبيان العلاقات التي تربط بينها وتفسيرها ووسائلها وتحليلها واخذ العبرة منها وتوقع تأثيراتها المستقبلية)[٢] .

اما خطة البحث فكانت من مطلبين الأول منهما كان بعنوان: الأثر القرآني في المبادئ التربوية الفردية في نهج البلاغة، والمطلب الثاني بعنوان: الأثر القرآني في المبادئ التربوية الاجتماعية في نهج البلاغة، مع خاتمة وقائمة بالمصادر.

ونظراً لسعة مفهوم التربية الإسلامية وفروعها، فقد قيد الباحث عنوان بحثه بالمبادئ التربوية في نهج البلاغة[٣]، وان قد حدد بعض الباحثين المبادئ التربوية في نهج البلاغة بمجموعة مبادئ[٤]، ولكن الباحث لا يرى بالإمكان بحال من الاحوال اختزال هذه المبادئ بعدد معين، وذلك لتداخل معانيها من جانب ومن جانب آخر تكاملها في الغاية، وإنما كان هذا البحث هو في معالم المبادئ التربوية في نهج البلاغة، حتى لا يُغلق باب البحث على الباحثين في نهج البلاغة في هذا الموضوع لما في كتاب نهج البلاغة من منهل لا ينضب.

أما مشكلة البحث: هناك اختلافٌ بين المهتمين بالقضايا التربوية حول مفهوم التربية حيث تتعدد الآراء ووجهات النظر في هذا الشأن؛ نظراً لتعدد الأطراف

المُشاركة في العملية التربوية، واختلاف الزوايا التي يُنظر من خلالها لهذه العملية؛ فضلاً عن اختلاف الاتجاهات، والآراء، والثقافات، والفلسفات، واختلاف ظروف الزمان، والمكان، والجوانب التي يتم معالجتها، ونحو ذلك من العوامل الأخرى.

ومع أن هذا الاختلاف في تحديد مفهوم مبادئ التربية يُعد أمراً مقبولاً – نسبيّاً – عند أصحاب الفلسفات والنظريات والأفكار التربوية البشرية؛ إلا أنه ينبغي ألاَّ يكون كذلك في ميدان التربية الإسلامية، إذا نظرنا إلى الدراسات التربوية المعاصرة وجدنا مفهوم التربية الإسلامية لم يكن موضع الاتفاق بين الدارسين بعد، ويمكن إجمال أغلب المفاهيم في النقاط الآتية[٥]:

١. انه منهج مقررات المواد الإسلامية في المدارس.
٢. انه تاريخ التعليم، أو تاريخ المؤسسات التعليمية، أو تاريخ أعلام الفكر التربوي والتعليمي في العالم الإسلامي انه تعليم العلوم الإسلامية.
٣. انه نظام تربوي مستقل؛ ومنبثق من التوجيهات والتعاليم الإسلامية الأصيلة، ويختلف عن النظم التربوية الأخرى شرقيةً كانت أو غربية.

ومن المؤكد أن معظم هذه المفاهيم قد حصرت « مبادئ التربية الإسلامية « في نطاقٍ ضيقٍ لا يتفق مع ما ينبغي أن يكون عليه هذا المفهوم من شموليةٍ واتساع لكل ما يهم الإنسان في حياته وبعد مماته؛ فهو مفهومٌ ينظر إلى الإنسان نظرةً شموليةً لكل جوانب شخصيته وأبعادها المختلفة، وهو مفهومٌ يُعنى بجميع مراحل النمو عند الإنسان، وهو مفهومٌ يوازن بين مطالب الفرد وحاجات المجتمع، ويهتم بجميع الأفراد والفئات، ويوائم بين الماضي والحاضر، فضلاً عن أنه يُشير إلى نظامٍ تربوي مُستقلٍ ومتكاملٍ، يمتاز بإصوله الثابتة، ومناهجه الأصيلة، وأهدافه

الواضحة، وغاياته السامية، ومؤسساته المختلفة، وأساليبه المتنوعة... التي تُميزه عن غيره، وتوسع دائرته ليُصبح منهجاً كاملاً وشاملاً لجميع مجالات الحياة.

وبكلمة أن مفهوم المبادئ التربية الإسلامية يتضح في كونها أحد فروع علم التربية الذي يتميز في مصادره الشرعية (المتمثلة في القرآن الكريم، وسُّنة المعصوم، وتُراث العلماء العاملين)؛ وغاياته (الدينية الدنيوية)، ويقوم على نظامٍ تربوي مُستقل ومُتكامل، ويعتمد اعتماداً كبيراً على فقه الواقع، ولابد له من متخصصين يجمعون بين علوم الشريعة وعلوم التربية؛ حتى تتم معالجة القضايا التربوية المختلفة من خلاله معالجةً إسلاميةً صحيحةً ومناسبةً لظروف الزمان والمكان.

وأما منهج البحث فقد اعتمد المنهج الوصفي التحليلي الذي يهدف إلى: (وصف الأشياء أو الظواهر أو الأحداث وبيان العلاقات التي تربط بينها وتفسيرها ووسائلها وتحليلها واخذ العبرة منها وتوقع تأثيراتها المستقبلية)[٦].

وبما ان المبادئ التربوية بخصوص الفرد: تعني عملية إحداث تغيير في جسم المتعلم وقدراته وتفكيره وعاداته وميوله واتجاهاته وقيمه أي في شخصيته بجملتها حتى يصبح بعدها الإنسان في حال يختلف كثيراً عما كان عليه من قبل[٧] .

فضلاً عن أنها عملية اجتماعية؛ بمعنى أنها تعد صورة لحياة المجتمع الذي تعيش في إطاره، تعكس فكره الاجتماعي وتشير الى مدى نموه وتطوره وتحدد درجة تطلعه وطموحه وألوان النشاط المتعددة الاوجه التي يمارسها أفراده[٨].

فهي وسيلة المجتمع لتغيير واقعه وترسيخ قواعد الاخلاق والمثل العليا بين مكوناته وافراده، وغايتها النهوض بالمجتمع عن طريق تهذيب الفرد وتنمية قواه ومواهبه من خلال خبرات ومعارف لها قيمتها الاجتماعية السامية.

ولهذا كانت خطة البحث في ضوء علاقة المبادئ التربوية بالفرد والمجتمع، من مطلبين الأول بعنوان: الأثر القرآني في المبادئ التربوية الفردية في نهج البلاغة، والثاني بعنوان: الأثر القرآني في المبادئ التربوية الاجتماعية في نهج البلاغة، مع خاتمة وقائمة بالمصادر، وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول: الأثر القرآني في المبادئ التربوية الفردية في نهج البلاغة

الإمام علي عليه السلام شديدٌ في محاسبة نفسه، حريص على ترويضها: (وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوِّضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ)(٩)، أو كما يقول عليه السلام في كتابه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري: (لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهِشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا أَتَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ؟ وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ؟ وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ؟ قَرَّتْ إذن عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ)(١٠).

فالأخلاق رياضة النفس لتزكو على الربيضة عند الإمام عليه السلام، مغموسة بتقوى الله ومراعاة حقوق المحرومين والمظلومين. فهي غاية الرحمة وكمالها.

لذا بلغ الإمام عليه السلام في ذلك الغاية القصوى، حتى نسب من غزارة حُسْنِ خُلُقِه إلى الدعابة، وكان مع هذه الغاية في حُسْنِ الخُلُق، ولِين الجانب، يخص ذلك بذوي الدين واللين. وأما من لم يكن كذلك، فكان يوليه غلظة وفظاظة؛ للتأديب، حتى روي عنه أنه قال في هذا المعنى شعراً(١١):

أَلين لِمَنْ لأنَ لي جَنْبه ... وأنزو على كلِ صَعْبٍ شديدِ
كذا الماس يعمل فيه الرصاص ... على أنه عامل في الحديدِ

فإن بدا الإمام عليه السلام حاداً وشديداً في تربية نفسه وحسابها وأتباعه، فأنه إنما ينطلق من تلبُّسه الرحمة وسعيه إلى تحقيقها؛ اتقاءً من غضب الرحمن، فالتقويم الموضوعي للذات له اثره الفعّال في متابعة دخائل النفس وخوالج القلب والافادة من التوازن بين الطموح والواقع في توجيه الشخصية وارشادها لتسمو في جميع مقوماتها الفكرية والعاطفية والسلوكية بعد استحضار المفاهيم والقيم الصالحة وتعميقها في القلب ومن ثم تقريرها في واقع الحياة وقد أكدت التوجيهات والإرشادات القيام بتقييم موضوعي للذات معرفة النفس لأنه الحصن الواقعي من الأخطاء والممارسات غير السليمة، وان معرفة النفس هي المصداق الامثل في التقييم الموضوعي للذات حيث يقول الإمام علي عليه السلام: (اعظم الحكمة معرفة الإنسان نفسه)[١٢]، وفي موضع آخر قال عليه السلام: (افضل الحكمة معرفة الإنسان نفسه ووقوفه عند قدره)[١٣].

لذا سوف يكون هذا المطلب عن الأثر القرآني في المبادئ التربوية الفردية في فكر الإمام علي عليه السلام، وعلى النحو الآتي:

أولاً: مبدأ التربية وفق الفطرة: لقد جاءت الفطرة الإنسانية على غير خلق الله تعالى جميعاً ولم يكن وجودها بـ(كن فيكون)، وانما جاءت حاملة تشريف اختصها به المولى عز وجل وتكريماً لم يمنحه لباقي خلقه، وذلك في قوله تعالى للملائكة حين خلق آدم عليه السلام)): ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[١٤].

فجاءت الفطرة الإنسانية على أجمل صورة وأكرم تشريف، إذ نفخ من روحه سبحانه وهذا مظهر جلي من مظاهر التكريم، وعنايته سبحانه وتعالى بخلق الإنسان وتسويته وأخذ العهد عليه في عالم الذر هي أمور كامنة في الفطرة.

من الآية المتقدمة وغيرها يترسخ لدينا ان الله سبحانه فاطر الوجود ومن ثم

هو أعلم بما يُصلح حال الإنسان النفسي ويبلغ به التكامل الروحي وسعادته، وهذا الأثر القرآني التربوي نجده عند الإمام علي عليه السلام، إذ قال: (اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ ودَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ - وجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيِّهَا وسَعِيدِهَا)[١٥]، فالرجوع الى تعاليم السماء والالتزام بها يضمن لنا تربية ننال بها السعادة في الدارين، وبخلافه فالشقاء هو المصير الابدي.

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾[١٦]. وقد تباينت آراء المفسرين في فهم الآية واخذوا فيها مناحي متعددة، إلا أن ما ينسجم مع فرضية البحث هو (أن المراد من هذا العالم وهذا العهد هو عالم الاستعداد (والكفاءات)، و(عهد الفطرة) والتكوين والخلق، فعند خروج أبناء آدم من أصلاب آبائهم إلى أرحام الأمهات، وهم نطف لا تعدو الذرات الصغار، وهبهم الله الاستعداد لتقبل الحقيقة التوحيدية، وأودع ذلك السر الإلهي في ذاتهم وفطرتهم بصورة احساس داخلي(...) كما أودعه في عقولهم وأفكارهم بشكل حقيقة واعية بنفسها)[١٧].

فالفطرة التي انشأنا الله سبحانه عليها سليمة مؤمنة صالحة، وهي بهذا تربية الله لنا، وان الصلاح المقترن بها هو صلاح اصيل وان الانحراف هو الطارئ عليها، جراء غواش الدنيا والشيطان الذي يحول عن تذكر سالف نعم الله في تعريفه ايانا، وهذا المعنى نجد تجلياته في كلام الإمام علي عليه السلام إذ قال: (**فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته**)[١٨]، وكل ذاك اتماماً للحجة عليهم (لأن أخذ الميثاق لا يكون حجة على المأخوذ عليه، إلا أن يكون ذاكراً له، فيجب أن نذكر نحن الميثاق)[١٩].

ويؤكـد هـذا سـيد قطـب بقولـه: (أمـا الرسـالات فتذكـير وتحذيـر لمـن ينحرفـون عـن فطرتهـم الأولى فيحتاجـون إلى التذكـير والتحذيـر، إن التوحيـد ميثـاق معقـود بـين فطـرة البـشر وخالـق البـشر منـذ كينونتهـم الأولى)[٢٠].

والله سـبحانه عـالم بالأشـياء (قَبْـلَ ابْتِدَائِهَـا مُحِيطـاً بِحُدُودِهَـا وَانْتِهَائِهَـا عَارِفـاً بِ قَرَائِنِهَا[٢١]وَأَحْنَائِهَـا[٢٢])[٢٣]، ومـع هـذا جعـل سـبحانه مـن هـذا الاشـهاد هـو إتمـام الحجـة، وأن لا يقولـوا بالاحتجـاج بآبائهـم، وأنهـم اقتـدوا بهـم، وانهـم كانـوا أطفـالاً لا يعقلـون، وانهـم معذبـون بجريـرة آبائهـم المنحرفـين عـن الفطـرة، فـكان الإشـهاد دافعـاً لـكل تلـك الاحتجاجـات والتعويـلات، يقـول الشـيخ الطـبرسي في تفسـير الآيـة: (إني إنـما قرَّرتكـم بهـذا لتواظبـوا عـلى طاعتـي، وتشـكروا نعمتـي، ولا تقولـوا: إنـما أشرك آباؤنـا مـن قبـل، فنشـأنا عـلى شركهـم احتجاجـاً بالتقليـد، وتعويـلاً عليـه، أي فقـد قطعـت حجتكـم هـذه بـما قررتكـم بـه مـن معرفتـي، وأشـهدتكم عـلى أنفسـكم بإقراركـم بمعرفتكـم إيـاي)[٢٤].

٢- مبدأ التربية بالإيـمان بـالله تعـالى: الإيـمان بـالله سـبحانه مبدأ تربـوي ان صلـح في نفـس الإنسـان صلحُـت بـه كل جوارحـه، فهـو إيـمان بالغيـب الحـاضر في وجـدان الإنسـان والمنعكـس في سـلوكياته اليوميـة، فمعرفـة الله تعـالى تحتـاج الى إيـمان بالبصـيرة، يقـول الإمـام عـلي ﷺ: (الحمـد لله المعـروف مـن غـير رؤيـة)[٢٥].

وهـذا مصـداق قولـه سـبحانه: ﴿**لَا تُدْرِكُـهُ الْأَبْصَـارُ وَهُـوَ يُـدْرِكُ الْأَبْصَـارَ وَهُـوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[٢٦]، وقولـه تعـالى: ﴿**وَهُـوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيـمٌ**﴾[٢٧]، وقولـه تعـالى: ﴿**إِنَّ اللهَّ وَاسِـعٌ عَلِيـمٌ**﴾[٢٨]، وقولـه تعـالى: ﴿**إِنَّ اللهَّ بِـمَا يَعْمَلُـونَ مُحِيـطٌ**﴾[٢٩]، وقولـه تعـالى: ﴿**عَـالِمُ الْغَيْـبِ وَالشَّـهَادَةِ**﴾[٣٠]، فاستشـعار الرقابـة الغيبيـة في نفـس الإنسـان تجعلـه في حـذر دائـم سـواء بحضـوره في المجتمـع أو في خلواتـه مـع نفسـه، لأن الرقيـب هـو الله

سبحانه المحيط بكل شيء والقادر المطلق على كل شيء، وهو عنده الغيب شهادة، وهذا الأثر القرآني التربوي يتضح في فكر الإمام علي عليه السلام وهو يصف قدرة الله سبحانه المطلقة، إذ يقول: (كل شيء خاشع له، وكل شيء قائم به، غِنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، من تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه منقلبه،..، وكل غيب عندك شهادة، انت الأبد لا أمد لك)[٣١].

فكأنّه عليه السلام قال: (وكلّ غيب عندك شهادة هذان الاعتباران يستلزمان كمال علمه وإحاطته بجميع المعلومات، ولمّا كانت نسبة علمه تعالى إلى المعلومات على سواء لا جرم استوى بالنسبة إليه السرّ والعلانية، وأيضا فإنّ السرّ والغيب إنّما يطلقان بالقياس إلى مخفيّ عنه وغائب عنه وهى القلوب المحجوبة بحجب الطبيعة وأستار الهيئات البدنيّة والأرواح المستولي عليها نقصان الإمكان الحاكم عليها بجهل أحوال ما هو أكمل منها، وكلّ ذلك ممّا تنزّه قدس الصانع عنه)[٣٢].

ومن ثم ان كل الأعمال التي نمارسها في الحياة الدنيا سوف تكون حاضرة أمامنا في الحياة الأخرى، وان الله تعالى سيجزي العبد بها، وهو الواضح في قوله تعالى: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣٣]، فمَن آمن بغيب الله سبحانه ستكون أعماله على وفق ما اراد الله منه من تعاليم السماء ويمنع النفس من ان تنجر وراء هواها راكبة موج الخطايا والظلم، فالآية تندب (الناس الى مراقبة أعمالهم بتذكيرهم أن لأعمالهم من خير أو شر حقائق غير مستورة بستر، إن لها رقباء شهداء سيطلعون عليها ويرون حقائقها وهم رسول الله وشهداء الأعمال من المؤمنين والله من ورائهم محيط فهو تعالى يراها وهم يرونها، ثم إن الله سبحانه سيكشف عنها الغطاء يوم القيامة للعاملين أنفسهم)[٣٤].

وبهذه المراقبة التي يستشعرها الإنسان تكون التربية الناجحة ومن ثم تسمو نفسه في تربيةٍ سليمة من آفات النفاق ويكون سره كعلانيته مع الله سبحانه الذي لم يخلقنا اعتباطاً ولا لهواً، فيكون الإنسان محاسباً لنفسه على الدوام خشية لذاك اليوم الذي تكون فيه الاسرار علانية، وهذا المعنى التربوي نلحظه عند قول الإمام علي ﷺ: (عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا، وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا)[٣٥]، وذلك ان الله سبحانه لم يخلقنا إلا لنكون به معتصمين وإليه لاجئين، فكان قريب مدبر للأمور، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[٣٦]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ**﴾[٣٧].

وهذا القرب الإلهي الذي نصت عليه آيات الذكر الحكيم تشعرنا باللطف الإلهي والتودد من الله سبحانه لعباده، إذ القرب هنا (مستعار للرأفة والإكرام)[٣٨]، الرأفة التي تملئ كل جوانب الحياة، والإكرام الذي لا يقف عند حد وقدر معين، رأفة وإكراماً من الله سبحانه لعباده وانه معهم في كل مكان وزمان، قريب بإحسانه ولطفه قريب بدفع البلاء قريب في استجابة الدعاء، قريب حيث لا تشتبه عليه الأصوات والالوان، قريب من القلوب التي تخالجها إنسانيتها اتجاه الإنسان الآخر، وانه سبحانه لهذا خلقنا وبهذا امتحننا وفي هذا تكون تربيتنا وتزكية لنفوسنا، ولم يتركنا مهملاً ولكن كلشئ عنده بقدر معلوم.

وهذا المعنى التربوي نلحظه في فكر الإمام علي ﷺ، إذ يقول: (واعلموا عباد الله أنه لم يخلقكم عبثاً، ولم يرسلكم هملاً، علم مبلغ نعمه عليكم، وأحصى إحسانه إليكم، فاستفتحوه واستنجحوه، واطلبوا إليه واستمنحوه، فما قطعكم عنه حجاب، ولا أغلق عنكم دونه باب، وإنه لبكل مكان، وفي كل حين وأوان،

ومع كل إنس وجان، لا يثلمه العطاء، ولا ينقصه الحباء ولا يستنفده سائل، ولا يستقصيه نائل، ولا يلويه شخص عن شخص، ولا يلهيه صوت عن صوت، ولا تحجزه هبة عن سلب، ولا يشغله، غضب عن رحمة، ولا تولهه رحمة عن عقاب، ولا يجنه البطون عن الظهور، ولا يقطعه الظهور عن البطون، قرب فنأى، وعلا فدنا، وظهر فبطن، وبطن فعلن..)(٣٩).

٣- مبدأ التقوى: فإذا ايقن الإنسان ان أعماله وكل سلوكياته غير مخفية عن عالم الغيب سبحانه، يكون عندها الإيمان، الإيمان الذي يركن له الإنسان في تطوير ذاته، لأنه ارتبط بالمطلق، وأولى مظاهر هذا الإيمان هي التقوى.

ومفهوم التقوى ومعناها أن يجعل المرء بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تحول دون مغبته، وتقوى الله تكون الطاعة واجتناب المعصية، ولا أدل على حب الله تقواه من ذكرها وتكرارها في غير آية من سور القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾(٤٠)، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾(٤١)، وقال أيضاً: ﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾(٤٢)، فالقرآن الكريم لا يجعل من التقوى أداة لتجنب ما نهى الله عنه، أو وسيلة لعمل الواجبات في الدنيا، بل ان التربية القرآنية تجعل من الإنسان المتقي محبوب لمن أحبّه وتعلّقت ارادته بإرادة حبيبه، وان الذي لا يتقي فيما اراده منه الحبيب هو إنسان مخالف لمبدأ الحب والطاعة، وان الترجمة الحقيقة لهذا الحب هو لزوم تقوى الله سبحانه فيما أراد وفيما نهى ومن ثم الحراك الاجتماعي وعدم الانزواء والعزلة، وان العمل بالتقوى يجنبنا مزالق هوى النفس والفساد الذي تظهر آثاره في الدارين، فالإنسان المتقي له من السمات ما تقربه من الله سبحانه، وهو بهذا لا يستوي مع مَن لم يجعل للتقوى نصيباً في حراكه اليومي، وإن (طريقة

القرآن الكريم في الكشف عن الحقائق، وإستخلاص المواقف، تكون من خلال عملية مقارنة يعرضها الله سبحانه في الآيات الكريمة، وهذا الأُسلوب مؤثّر جدّاً من الناحية التربوية)[٤٣].

فالتقوى بهذا المفهوم القرآني هي طاعة نابعة من قلب الإنسان مترجمة على جوارحه وفي سلوكياته اليومية مع نفسه ومع المجتمع، وهذا الأثر التربوي القرآني نلحظه في نهج البلاغة إذ ان التقوى في نهج البلاغة ليست الخوف وتجنب الناس والانزواء عن المجتمع بل هي في فكر الإمام علي عليه السلام - حسب تعبير مرتضى مطهري – (قوَّة روحيِّة تتولّد للإنسان من التمرين العملي الذي يحصل من الحذر المعقول والمنطقي من الذنوب)[٤٤]، فنلحظ الإمام علي عليه السلام يقول: (فمن أشعر التقوى قلبه برز مهله[٤٥] وفاز عمله، فاهتبلوا هبلها، واعملوا للجنة عملها)[٤٦]، وفي مكان آخر من النهج يقول عليه السلام: (ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها وأعطوا أزمتها فأوردتهم الجنة)[٤٧]، فنفهم من هذا القول ان التربية بمبدأ التقوى وترويض النفس هو سفينة نجاة في الدار الدنيا، وان عاقبتها دار النعيم المقيم.

وان الله سبحانه رفع أهل التقوى في الدارين، وجعل الحُسنى للمتقين، فقال سبحانه: ﴿**وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٤٨]، وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ**﴾[٤٩]، وهذا مدح عظيم من الله سبحانه وبشارة للمتقين في الحياة الدنيا، فمبدأ التربية بالتقوى له دور كبير (في تحديد العاقبة الحسنة والمرجع الأفضل، إذ تحدّد عظمة النهاية من خلال استقامة البداية)[٥٠]، ومن ثم كان علينا لزاماً ان نُكرم من أكرم نفسه بالتقوى ورباها على منهج قويم، وهذه تربية لنا في التعاطي مع المتقين، يقول الإمام علي عليه السلام: (ولا تضعوا من رفعته التقوى، ولا ترفعوا من رفعته الدنيا)[٥١]، فالميزان الوحيد في تقييم الناس وبيان فضلهم هو ميزان التقوى،

والتسابق والفخر منوط بلوائها الذي يجب ان يقف الجميع تحته، وهذا أثر آخر من آثار التربية القرآنية في فكر الإمام علي عليه السلام نلحظه في نهج البلاغة، ومصداقه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٥٢]، فهذا اللواء هو (الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية للجنس، والعصبية للأرض، والعصبية للقبيلة، والعصبية للبيت، وكلها من الجاهلية وإليها، تتزيا بشتى الأزياء، وتسمى بشتى الأسماء، وكلها جاهلية عارية من الإسلام!)[٥٣]، ومن ثم لا راية للوطنية، ولا راية للقومية، ولا راية للبيت، ولا راية للجنس، فكلها رايات باطلة ومن صنع البشر والأهواء الضالة لا يعرفها الإسلام.

وكما وعد الله تعالى المتقين الزلفى والبشرى يوم القيامة، كذلك اوعدهم في الدنيا بالأمان من شر فتنها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[٥٤]، فهذا الوعد الإلهي للمتقين بان يهديهم سبل الرشاد، وهذا الترغيب الرباني لعباده المتقين نلحظه في فكر الإمام علي عليه السلام إذ قال: (واعلموا أنه من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ونوراً من الظلم، ويخلده فيما اشتهت نفسه، وينزله منزل الكرامة عنده)[٥٥]، ومعنى كلامه عليه السلام إن (من يتق الله يأمن في الدنيا من شر الفتن، وله في الآخرة ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين في صحبة الأنبياء والصالحين والملائكة المقربين)[٥٦]، فالصلاح في الدارين رهين بمبدأ التربية بالتقوى، التقوى التي يكون الإنسان فيها بحراك دائم ورياضة مستمرة، تربية متجددة مع المواقف.

٤- **مبدأ التربية بالزُّهد**: اتَّفق العلماء والحكماء على علوِّ مكانة الزهد، وشرَف مقامه؛ بَيْدَ أنهم اختلفوا في حقيقتِه الشرعيَّة اختلافاً كثيراً، وتنوَّعت عباراتهم، وقد يصل هذا الاختلافُ إلى التغاير، ولا يعنينا في هذا المقام استعراض آراء أهل الاخلاق في مفهوم الزهد، ولكن الذي ننشده بيان هذا المبدأ التربوي في القرآن

الكريم وأثره في فكر الإمام علي ﵇ في نهج البلاغة، وكيف يسمو بنفس الإنسان، يقول الإمام علي ﵇: (الزهد كله بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه: ﴿**لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**﴾[٥٧]، ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه)[٥٨].

ودليل عدم الرغبة في الدّنيا عدم الحزن على ما فات منها وعدم الفرح بما يأتي منها، فيساوي عند الزاهد وجدان الدنيا وفقدانها، وهذا تعريض على من تظاهر بالزهد بترك العمل ولبس الخشن، يقول الشيخ محمد جواد مغنيه: (الزهد هو الرضا بالميسور، ومعنى الكلمتين في الآية الكريمة واضح، تقول الأولى: لا تحزنوا لمفقود، وتقول الثانية: لا تفرحوا بموجود، لأن الفائت لا يتلافى بالعبرة، والآتي لا يستدام بالحبرة على حد تعبير حكيم قديم. وقال آخر: لا أقول لشيء كان: ليته لم يكن، أو لشيء لم يكن: ليته كان)[٥٩].

والزهد انعكاس نفسي نابع من معرفة الإنسان حقيقة الدنيا، ومن ثم لا يكون الزهد شعاراً خاصاً باللباس والزي، بل هو تربية نفسية أكبر في تجلياتها من مظهر خارجي يرتديه مُدعي الزهد، هو تربية سلوكية، يقول الإمام علي ﵇: (أفضل الزهد إخفاء الزهد)[٦٠]، إذ أنّ الزهد ليس مظهراً رخيصاً يتلبّس به الإنسان وابتعاداً عن المعطيات الطيّبة من أنعم الله عليه به، وإنّما هو مبدأ تربوي وانفصال نفسي عن عوامل الفتنة، وأسباب التعلّق بمغريات الدنيا والركون إليها على حساب الآخرة.

هذا ما يُفهم مِن نصوص القرآن الكريم إذا جُمِع بعضها إلى بعض، كقول الحقّ سبحانه: ﴿**فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ**

النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ[٦١]، فآيات القرآن الكريم تربي الإنسان على التعلق برضا الله، وتكون أعماله على نهج تعاليم الدين القويم، فهذا الزهد الحقيقي عن المعاصي، وان الدار الآخرة هي دار القرار، ومَن النقيض الآخر من الناس (يريد الدنيا فلا يذكر غيرها ولا نصيب له في الآخرة، ومنهم من يريد ما عند الله مما يرتضيه له وله نصيب من الآخرة والله سريع الحساب يسرع في حساب ما يريده عبده فيعطيه كما يريد)[٦٢].

ولتتمة الموضوع هنا ان آية: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ مطلقة، ولها مصاديق ومن مصاديق هذه الآية نذكر ما ذكره جملة من المفسرين من قول للإمام علي (عليه السلام)، إذ قال: (الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء، وعذاب النار امرأة السوء)[٦٣]، ويمكن توجيه هذا الحديث بما يقتضيه المقام، هو ان الدنيا مزرعة الآخرة كما نصت العديد من الروايات، وان المرأة الصالحة في الدنيا عون للزوج على اجتناب المعاصي والزهد عن حرامها وتذكيره بالآخرة والنعيم المقيم فيها.

فلمبدأ الزهد أثر تربوي في فكر الإمام علي عليه السلام لا تخفى آثاره على المسلمين، وقد اشار الدكتور كامل مصطفى الشيبي[٦٤] إلى ذلك حين ربط بين التشيع لعلي عليه السلام ورغبة الفئة المستضعفة بالحفاظ على مبادئ الإسلام بما يمثله الإمام عليه السلام من زهد وعفة وقوة وإيمان ولهذا نلحظ الصحابي عمار بن ياسر يحتفي بالإمام عليه السلام لأنه كان زاهداً، ويجعل الزهد زينة الابرار كما كان المال زينة الملأ المكي الذي حاربه الإسلام، فيروي عماراً حديثاً عن النبي = انه قال في الإمام علي عليه السلام: (يا علي، إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إليه منها، هي زينة الأبرار عند الله تعالى، الزهد في الدنيا، جعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً، ولا ترزأ الدنيا

منك شيئاً، ووهب لك حب المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، ويرضون بك إماماً)[٦٥].

كما نلحظ هذا المبدأ التربوي عند صحابي آخر من تلامذة الإمام عليه السلام وهو الصحابي الجليل ابو ذر الغفاري، إذ اعترض أبو ذر الغفاري في الشام على ثراء معاوية مبرزاً اتجاهه في الزهد، فقال عندما رأى قصر الخضراء بدمشق: (يامعاوية إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الاسراف، فسكت معاوية)[٦٦].

ومن هنا تأتي أهمية هذا المبدأ التربوي وهو يتسع في شعاع أثره من النفس الى محيطها ومجتمعها، من دون ان يكون غايته ترويض النفس والميول الى السكون والانشغال بخلجات النفس وفي قوقعتها، فنراه يبرز في معارضة الظالمين ويُترجم الى عمل حركي في حياة الفرد والمجتمع.

وكذلك هي سائر المبادئ التربوية المتقدمة فالمنهج القرآني ونصوص المعصوم تتعاضد في ترسيخها في النفس وتتجذر فيها لتُنمي لنا شخصية مسلمة ثابتة في مبادئها حازمة في الشدائد مستبسلة في ذات الله تعالى، ولولا ذاك الإيمان واليقين فيها لما كان لهذه المبادئ التربوية ان نجد اثرها في حياة الفرد الخاصة ناهيك عن أثرها المرجو في الحياة الاجتماعية، كما سوف نلحظ أثر المبادئ في بُعدها الاجتماعي في حنايا المطلب الثاني.

المطلب الثاني: الأثر القرآني في المبادئ التربوية الاجتماعية في نهج البلاغة

من أهم المجالات التي عُني ببنائها القرآن الكريم ونصوص المعصوم المجال

الاجتماعي، وهو مجال له أهميته البالغة في عملية التربية، ولذا أعطاه الإسلام حقه من العناية، وحظه من الاهتمام، والإسلام دين اجتماعي وليس ديناً فردياً، وهو يقوي روح التعايش الجماعي في حس الأفراد بشتى الصور والأساليب.

وقد لحظنا في المطلب الأول أهمية التربية الفردية للإنسان في ضوء فكر الإمام علي عليه السلام وأثرها القرآني، وان أول ما ينمى عند الإنسان ويهذب هو نفسه، ومن ثم الانتقال الى التربية في بُعدها الآخر وهو المجتمع، فلا بد من أن ترتبط التربية الفردية بالتربية الاجتماعية، فهي نتيجة لها، لما لها من الشأن في تقوية العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأمة كالمحبة والإخاء والإيثار، وأمر بالتعاون على البر والتقوى، ودعا الى توحيد الكلمة وجمع الصف، كما دعا الى التراحم والتسامح جاعلاً من الإنسان عنصراً فاعلاً لا منفعلاً، وذلك بإثارة تفكيره، والعناية بروحه، وتحقيق حاجاته العلميّة والنفسية التي تجعله عنصراً اجتماعياً ناجحاً، مؤتلفاً غير مستوحش أو مبغوضاً، فيكون حركياً سواء بشخصه أو بذكراه في المجتمع، وهذا ما عناه الإمام علي عليه السلام في فكره حين قال: (خالطوا الناس مخالطة ان متم معها بكوا عليكم، وان عشتم حنوا اليكم)، وهذا ما سوف نحاول بيانه في هذا المطلب، وفق المبادئ التربوية الآتية:

أولاً: التربية بمبدأ الاستخلاف (الحكومة):

وهذا المبدأ التربوي يقوم على أساس عظيم مفاده ان الإنسان لم يُخلق عبثاً، وان عليه رسالة كبيرة في وجوده على الأرض يجب ان يبلغها، منها عمارة الأرض وتطبيق تعاليم السماء، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[٦٧]، ونستطيع اجمال وظائف الإنسان الخليفة ومهماته بما يأتي[٦٨]:

١. عمارة الأرض: وتعني عمارة الأرض استصلاحها واعدادها للحرث،

ولا تعني بناءها بالقصور الشاهقة والعمارات الباسقة، وان كانت هذه ضمناً، لكن عمارة الأرض تشمل أيضاً اصلاح نفوس أهلها وهدايتهم الى مسالك الخير والهداية.

٢. العدالة: من الوظائف الأساسية للإنسان، امضاء منهج العدل، فقد خاطب الله تعالى الإنسان بان يحكم بالعدل منصفاً بني جنسه من نفسه، امراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وغيرها من أعمال البر والخير..

٣. العبادة (المعرفة): ان عبادة الله تعالى أو معرفته هي الوظيفة الأساسية للإنسان، والمعرفة هي السبيل الوحيد للوصول الى الحقائق المجهولة، والاسرار الخفية التي تسير هذا الكون..

نعم ظهرت آثار الإنسان الخليفة في هذه (الخلافة على الأرض ونحن نشاهد عجائب صنعه في المعدن والنبات، وفي البرّ والبحر والهواء، فهو يتفنّن ويبتدع، ويكتشف ويخترع ويجدّ ويعمل، حتى غيّر شكل الأرض فجعل الحزن سهلا، والماحل خصباً، والخراب عمراناً، والبراري بحاراً أو خلجاناً، وولّد بالتلقيح أزواجاً من النبات لم تكن ..)(٦٩)، وهذه المعاني التربوية القرآنية التي أرادها الله سبحانه من الإنسان نلحظها في فكر الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، إذ يقول عليه السلام - بعد كلام عن آدم عليه السلام -: (فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله وليقيم الحجة به على عباده..)(٧٠)، وهنا الإمام عليه السلام يوضح المهام ذاتها التي كلّف الله سبحانه بها خليفته، من عمارة الأرض بكل ما تحمل كلمة عمارة من معنى وفي كل المجالات المادية منها أو المعنوية، وان هذا الاستخلاف تُبنى روابطه بين الإنسان وأخيه، ومن ثم تكون علاقة الإنسان بالمجتمع، وبهذا يكون الإعداد والتربية المسبقة والآنية للإنسان في سلوكياته وتفكيره لما فيه صلاح الأرض ومن ابرز مصاديق الصلاح

للأرض هو صلاح الإنسان مع مجتمعه فكل نفع وأعمار للأرض هو نفع وأعمار للفرد الآخر وهذا اسمى معاني الأعمار.

وهذا المعنى التربوي المجتمعي في الاستخلاف وإقامة الحكومة العادلة التي تسوس الناس بالحق بعيداً عن الهوى، يتضح أكثر في خطاب الله تعالى لنبيه داود عليه السلام، إذ قال تعالى: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى**﴾[٧١]، ومن هنا يكون مبدأ الاستخلاف التربوي بما تقدم من معطيات غاية الوجود الإنساني الذي (يمكن إيجازه في كلمات قصيرة وعميقة، وهي (التكامل) و(التعليم) و(التربية) ومن هنا نستنتج أن الحكومات عليها أن تسير وفق هذا الخطّ، فعليها أن تثبت أُسس التربية والتعليم لتكون أساس التكامل المعنوي عند الإنسان، وبعبارة أُخرى: إن الحقّ والعدل هما أساس عالم الوجود، وعلى الحكومات أن تعمل وفق موازين الحقّ والعدالة)[٧٢].

فنلحظ ان التربية القرآنية لم تهمل الإنسان في عالم الدنيا من غير مهام رسالية من أعمار للأرض بكل معانيه، وهذا الأثر ليس ببعيد في فكر الإمام علي عليه السلام إذ نجد الإمام يحث في تربية الناس على اغتنام فرصة وجودهم في الحياة الدنيا لإقامة الحق والعدل والاستخلاف الحقيقي، فيقول عليه السلام: (ايها الذام للدنيا.. إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أحباء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحي الله ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها)[٧٣]، ونلحظ ان الإمام علي عليه السلام يذكر ثمان موارد تجعل من الإنسان مستعمراً لهذه الدنيا، عاملاً فاعلاً منسجماً غير منزوٍ فيما أراده الله منه في استخلافه إياها، ذاكراً له عليه السلام منهج قويم في التعايش الناجع، وهذه الصفات هي[٧٤]:

١. أنّها دار صدق لمن صدقها: أي فيها أخبر به بلسان حالها من فنائها وزوالها، وتصديقه لها اعترافه بذلك منها والعمل به.

٢. ودار عافية لمن فهم عنها ما أخبرت عنها من عظاتها حتّى احترز من آفاتها وعوفي من عذاب الله بها.

٣. ودار غنى لمن اتّخذ فيها التقوى زادا لسفره إلى الله، وظاهر أنّ التقوى وثمرتها في الآخرة أعظم غنى للمتّقين.

٤. ودار موعظة لمن اعتبر بها فعلم وصفها وغايتها.

٥. كونها مسجد أحبّاء الله من رسله وأوليائه.

٦. كونها مصلّى ملائكة الله الأرضيّة الَّذين سجدوا لآدم عليه السّلام.

٧. كونها مهبط وحى الله.

٨. كونها متجر أولياء الله الَّذين اكتسبوا بعبادتهم فيها رحمته وربحوا جنّته.

ثمّ استفهم ﮏ بعد هذه المادح عمّن يذمّها منكراً عليه ومبيّناً لأحوال أخرى لها ينافي ذمّها أي فمن ذا يذمّها ولها الصفات المذكور وهي على هذه الأحوال.

وفي اتمام الأثر القرآني المتقدم من استخلاف نبي الله داود ﮏ وبيان أهمية الحكومة أيضاً ودورها في اعمار الأرض والحفاظ على الأمن واقامة العدل، يقول الإمام علي ﮏ: (السلطان وزعة الله في أرضه)[٧٥]، فالسلطان العادل وضعه الله (في أرضه ليمنع به ما يريد منعه)[٧٦] من الباطل والجور وكل ما فيه فساد للعباد والبلاد، لأن الوظيفة التربوية أساس من أُسس بناء المجتمع المسلم وهي مسؤولية الدولة المسلمة ووظيفة من وظائفها بعدِّها مكلفة من هذا المجتمع بالقيام على مصالحه والحفاظ على مقوماته.

ثانياً: مبدأ الحرية والاختيار:

لعل من اولى أساسيات الحرية عند الإمام علي عليه السلام هو اعطاؤه الحرية الشخصية للإنسان، أي ان يكون الإنسان حر التصرف في اموره الشخصية من دون قيد منع ايذاء الجماعة، كما ان منح الحرية الشخصية المنضبطة للإنسان لا بد ان تبدأ من اشاعة هذا المفهوم داخل المجتمع وفي أولى نواة وهي الاسرة كأسلوب لتربية الابناء، وهذه اشارة مهمة ولاسيما في تلك الحقبة من التاريخ، إذ يقول الإمام عليه السلام: (لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم)[٧٧]. ويعلق جورج جرادق على هذا المبدأ العلوي قائلاً: (ان الإمام ينادي بمبدأ (الولادة الحرة)، فان الابناء ان تخلصوا من القسر والإكراه والاستعباد من جانب السلطة والقوانين، فانهم لا يتخلصون عادة من اخلاق ابائهم وعاداتهم وميولهم وسائر ما يفرض عليهم بحكم نزوع الآباء الى ان ينشأ اولادهم على ما نشاوا عليه ... وان الحرية لا تتقيد حتى بشروط يضعها الآباء قسراً أو فرضاً لأن الحرية في أقصى معانيها وأهدافها دافع الى التطور وباعث على التقدم)[٧٨].

وهذا الجانب التربوي الذي يقرره الإمام علي عليه السلام من روائع حكمه التي فاقت عصره، بل وحتى عصرنا وبكل نظرياته ومدارسه الحديثة، فإرشاده التربوي هذا عن الهام رباني نابع من لدن إنسان هضم تعاليم السماء المنسجمة مع كل واقع وزمان ما بقيت الليالي والأيام، فهو عليه السلام المستنير بنور الهدى المحمدي والرشاد القرآني وهو عليه السلام بهذا أحق بالاتباع، قال تعالى: ﴿**أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[٧٩].

فالإمام علي عليه السلام حين يوصي الآباء بعدم فرض تقاليدهم وموروثاتهم على ابنائهم إذ ان لكل جيل خصائصه ومميزاته المنسجمة مع زمانه فهو عليه السلام يفسح

المجال لحرية الأبناء للأختيار من المنظومة الإسلامية المتكاملة، وفي الوقت ذاته نلحظ ضمناً ان الإمام عليه السلام يرشد الأبناء بعدم التقليد والاتباع الأعمى حتى لا تكون سُنة متبعة في التربية، ويحثهم على التحرر من ربقة تلك التقاليد التي لا تمت للعقيدة الإسلامية بصلة، وهذا المعنى عند الإمام عليه السلام واضح تأثره بكثير من النصوص القرآنية التي دعت الى نبذ هكذا تربية، بل وزجرت التقليد الاعمى للأبناء، وهذا مانلحظه في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾[٨٠]، فاتباع التربية التي شرعها (العبيد، وتركوا ما شرعه رب العبيد، ورفضوا نداء التحرر من عبودية العباد للعباد، واختاروا عبودية العقل والضمير، للآباء والأجداد،..، فآباؤهم كذلك كانوا يتبعون ما شرعه لهم آباؤهم أو ما شرعوه هم لأنفسهم، ولا يركن أحد الى شرع نفسه أو شرع أبيه، وبين يديه شرع الله وسنة رسوله،..، وما يعدل عن شرع الله الى شرع الناس إلا ضال جهول!)[٨١].

وفي جانب آخر من جوانب مبدأ الحرية ما نلحظه في القرآن الكريم، وفي قوله تعالى: ﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾[٨٢]، فمن مهام النبي صلى الله عليه وآله الرسالية هو تحرير الناس من نير العبودية، وبث روح التحرر في نفوسهم ونبذ الخنوع والذل والهوان، كل ذلك في تربيةٍ اجتماعية تنماز بها هذه الأمة عن غيرها من سالف الأمم إذا ما تمسكت بتعاليم السماء واتبعت ارشادات قادتها الملهمين، إذ (أنك إذا تأملت في حال الأمم كلهم قبل الإسلام لا تجد شرائعهم وقوانينهم وأحوالهم خالية من إصر عليهم، مثل تحريم بعض الطيبات في الجاهلية، ومثل تكاليف شاقة عند النصارى والمجوس لا تتلاقى مع السماحة الفطرية، وكذلك لا تجدها خالية من رهق الجبابرة، وإذلال الرؤساء، وشدة الأقوياء على الضعفاء، وما كان يحدث

بينهم من التقاتل والغارات، والتكايُل في الدماء، وأكلهم أموالهم بالباطل، فأرسل الله محمداً ﷺ بدين من شأنه أن يخلص البشر من تلك الشدائِد)[٨٣].

ومن مبدأ التحرر التربوي وما أسسه القرآن الكريم من مهام الإنسان القيادي اتجاه أمته ومجتمعه، نلحظ هذا الأثر واضحاً جلياً في فكر الإمام علي عليه السلام وهو يمارس دوره القيادي اتجاه مجتمعه، وكيف يجعل من المجتمع أبيّ للضيم وغير خانع، وهذا ما أراده القرآن الكريم في تحرير المجتمعات وتربيتها على الحرية المنضبطة، فيقول الإمام عليه السلام: (لقد أحسنت جواركم، وأحطت بجهدي من ورائكم، وأعتقتكم من ربق الذل، وحلق الضيم)[٨٤]، فدفع عليه السلام عنهم ذلّ الأسر وظلم الأعداء، والمقصود حمايته عليه السلام لهم وتحريرهم من ذل عدوهم وضيق البؤس جراء ذلك الهوان الذي اصابهم من عدوهم، فأعزهم بان بصرهم بقيمة وجودهم وغاية التربية التي تنشدها السماء لهم بان يكونوا اعزة كرام، والإمام عليه السلام بهذا يكون أثراً متأثراً بشخصية رسول الله = القيادية في مهامها الرسالية كما مرّ بنا في مهام رسول الله، إذ يصنع مجتمع متربي على التحرر من كل انواع العبودية إذا ما التزم الأخير بمبدأ التربية بالحرية والاختيار ولم يكن مجتمع أمعه!

ومن ثم يتسامى المجتمع بهذا المبدأ التربوي، رافضاً كل اشكال العبودية، رافضاً إياها من ذاته التي تربت على ان الحرية جزء لا يتجزأ من كيانها، يقول الإمام علي عليه السلام: **(ولا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حرا)**[٨٥]، وهنا يحمّل الإمام عليه السلام (الإنسان مسؤولية نيل الحرية والمحافظة عليها، وكذلك نشر الوعي في ضمن الأمة، فحرية الإنسان لا توجد بقانون أو دستور ينظمان الحرية نظرياً وانما هي هبة إلهية لا يمتلك سلطان في الأرض ان ننتزعها من الإنسان إلا خاطئاً يجب مواجهته ومقاومته)[٨٦].

ثالثاً: مبدأ الرّفق التربوي:

معلوم ان الإمام علي عليه السلام كان شديداً في تربية نفسه، صارماً في تهذيبها، وهو القائل: (أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه)[٨٧]، وقوله عليه السلام: (أفضل الأعمال أحمزها) أي اشقها واصعبها على النفس، وهو عليه السلام بهذا أراد (من الأعمال الصالحة، وأفضلها أنفعها وأكثرها استلزاما للثواب، وإنّما كان كذلك لأنّ فائدة الأعمال الصالحة تطويع النفس الأمّارة للنفس المطمئنّة ورياضتها بحيث تصير مؤتمرة للعقل وإكراه النفس على الأمر يكون لشدّته فكلّما كان أشدّ كان أقوى في رياضتها وأنفع في تطويعها وكسرها وبحسب ذلك يكون أكثر منفعة فكان أفضل)[٨٨].

إلا انه عليه السلام في مجال التعامل الاجتماعي تكون سلوكياته عليه السلام منطلقة من مبدأ تربوي آخر هو مبدأ الرفق، ومراعاة قدرات البشر ونفوسهم.

فنلحظه عليه السلام في وصيته لأبنه الإمام الحسن عليه السلام رفيقاً حنوناً في عباراته ووعظه، مشفقاً فياضاً بالرحمة، فيقول عليه السلام: (بني وجدتك بعضي، بل وجدتك كلي، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني، وكأن الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي فكتبت إليك...)[٨٩]، كلمات نابعة من إنسانية جياشة بالودّ والعطف والرقة، والإمام عليه السلام لم يكتم هذا الحب الأبوي الفطري، وهكذا (كل والد يرى وجود ولده امتداداً وتكراراً لوجوده، وقرة عين له ما كان ليحظى بها لو لم يوجد، هذه هي عاطفة الأبوين نحو الولد)[٩٠]، لكن الإمام عليه السلام اظهره الى ولده بهذه الكلمات ولم يبخل بها عليه كما لم يدخرها دونما نفع، وليس كما هو حال كثير من الآباء الذين ربما يخجلون من ابداء حبهم الفطري لبنيهم، فلا يعبرون بأي كلمات عن ذلك، فيكون الجفاف العاطفي في هكذا أسرة.

وبطبيعة الحال الإمام علي عليه السلام لم يكتف بالعبارات الحانية والرقيقة لولده حتى

جسدها بكلمات الوعظ والارشاد والنصح الحقيقي والحب الواقعي في اروع ما يكون من رفق، فنلحظه يقول ﷺ: (فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب، وعوفيت من علاج التجربة)(٩١).

فالإمام ﷺ يشفق على ولده من خطوب الدنيا وآفات الانحراف العقدي ولو على سبيل المستقبل، ومن باب الرفق لا يعاجل ولده بالعلوم حتى لا تنفر نفسه منها، ولا يتذمر من اسلوب الوعظ فيخالج نفسه الملل، وحين ذاك لا تنفع الموعظة ولا تثمر النصيحة، بل وان الإمام علي ﷺ نبّه ولده من عاقبة عدم الالتزام بالوصية لما فيه من نتائج وخيمة وخسائر دنيوية وآخروية على شخصه، وواضح ان كلام المعصوم للمعصوم هو رسالة موجهة الى عامة الناس، وهي من الاساليب التربوي التي جاءت تحت عنوان: (إياك اعني واسمعي ياجاره).

فهذه الوصيّة عامّة تامّة أخرجها الإمام علي ﷺ إلى ابنه الحسن ﷺ وجمع فيها أنواع المواعظ والنصائح الكافية الشافية وصنوف الحكمة العمليّة الوافية، وكفى بها دستوراً إرشادياً لكلّ مسلم بل لكلّ إنسان، فكأنّه ﷺ جرّد من نفسه الزكيّة والداً للكلّ أو نموذجاً لجميع الوالدين، وجرّد من ابنه الحسن ﷺ ولداً لكلّ الأولاد أو نموذجاً لجميع الأبناء في أيّ بلاد، ثمّ سرد النّصائح ونظّم المواعظ لتكون وصيّته هذا إنجيلاً لأمّة الإسلام.

يقول الشيخ ميثم البحراني في شرحه للمقطع المذكور من الوصية: (أي كنت رأيت أن اقتصر بك على ذلك ولا أتجاوز بك إلى غيره من العلوم العقليّة، ثمّ خفت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل ما التبس عليهم: أي التباساً مثل الالتباس عليهم فكان إحكام ذلك: أي ما اختلف الناس

فيه على ما كرهت من شبهك له أحبّ إليّ من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك فيه الهلكة في الدين، وذلك الأمر هو ما اختلف الناس فيه من المسائل العقليّة الإلهيّة الَّتي يكثر التباس الحقّ فيها بالباطل، ويكتنفها الشبهات المغلَّطة الَّتي هي مظنّة الخطر والانحراف بها عن سبيل الحقّ إلى سبيل الهلاك، وإحكام ذلك الأمر ببيان وجه البرهان فيه وكيفيّة الخلاص من شبهة الباطل ومزاجه)[٩٢].

وهكذا هو الأثر القرآني في فكر علي عليه السلام، انه منهج القرآن الحكيم في التربية مع الآخر المستحق للوعظ والارشاد، بان تنتقل التجربة من جيل الى آخر، لتتحرك في وصايا بناءة للخير والاتزان والمسؤولية والصبر على مشاكل الحياة، أن يصوغ شخصية متوازنة من الداخل، وفي علاقته بالناس وبالحياة من حوله، وهكذا يكون الأب المسؤول في توجيه ولده نحو الاستقامة في الفكر والعمل، يقول تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[٩٣]، ففي وصايا لقمان لأبنه تتجلى (الصورة الإنسانية الحميمة الرائعة، التي تمثل النموذج الأمثل للمسؤولية التي يتحملها الجيل القديم بالنسبة الى الجيل الجديد، في علاقة الآباء بالأبناء، فقد سبقوهم الى التجربة، في ما توحي به من المعرفة، والى التأمّل، في ما يوحي به من العلم، ولذلك فقد كان من الطبيعيّ للجوّ العاطفي الحميم أن يعمدوا الى اختصار المرحلة التي يحتاج الأبناء الى أن يقطعوها في وقت طويل، والى تقديم التجربة، وتحريك المعرفة في حياتهم، ليبدأوا بدايةً طيبةً من الموقع الثابت الصلب، القائم على بدايات الآخرين، لئلا يحتاجوا الى أن يرجعوا الى نقطة البداية)[٩٤] في علاقاتهم الاجتماعية فيختزنون بمبدأ الرفق التربوي تجارب الآباء، ويختزلون أيام طوال ومحن لم يعيشوها بآلام واحزان نفوسهم، بل قدمت بطبق غيرهم، كل ذلك من أجل حياة اجتماعية هانئة مصونة بالحكمة والموعظة والتجربة.

وفي موضع آخر من التعامل مع الآخرين من غير أهل بيته عليهم السلام، نرى الرفق متجسداً أيضاً في فكر الإمام علي عليه السلام، وان الرفق مما تجنى ثماره عاجلاً او آجلاً، وانه ينبه على ان الرفق أولى من العنف، إذ يقول موصياً أحد اصحابه: (وارفق ما كان الرفق أرفق، واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة)(٩٥)، ومعنى كلامه عليه السلام أي (اعتدل في معاملتك مع الناس، لا شدة ولا لين، بل بين بين، على أن الرفق أسلم من العنف لدينك ودنياك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الرفق يمن ما وضع على شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه)(٩٦)، ولا تستعمل العنف إلا للقضاء على العنف، وحيث لا يغني عنه شيء)(٩٧).

ومعاني الرفق في القرآن الكريم وافرة، ووقع أثرها مما لا يخفى على فكر علي عليه السلام تلميذ القرآن وهو أولى الناس بالعمل بما جاء من تعاليم واساليب ومبادئ تربوية، ونختصر منها ما يفي ببيانه في هذا المقام، يقول تعالى: ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾(٩٨)، والعلّة في هذا الاسلوب في الأمر القرآني لنبيّين كريميّن بأن يُخاطبا فرعون بمبدأ الرفق واللين هو كما تقدم لأجل تثمير النصيحة وعدم نفوره من الوعظ، فمعنى الآية هنا: (أنّكما إذا واجهتماه بكلام لطيف، رقيق، ملائم، وتبيّنان في الوقت ذاته المطالب بصراحة وحزم، فيحصل أحد الإحتمالين: أن يقبل من صميم قلبه أدلتكما المنطقيّة ويؤمن، والإحتمال الآخر هو أن يخاف على الأقل من العقاب الإلهي في الدنيا أو الآخرة، ومن زوال ملكه وقدرته، فيذعن ويسلم ولا يخالفكما)(٩٩).

وفي موضع آخر من القرآن الكريم نلحظ هذا المبدأ التربوي – الرفق – حاضراً في وصيّة الله سبحانه لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في كيفية التعاطي مع الآخر المسيء، فيقول الله تعالى: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ**﴾(١٠٠)، وفي ذلك ارشاداً تربوياً

في التعامل مع المجتمع بمقابلة الاساءة بالرفق واللين، وفي مبدأ الرفق (الترياق النافع في مخالطة الناس وهو الإحسان الى من يسئ إليه، ليستجلب خاطره، فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة)[(١٠١)].

ومن المعلوم ان التعامل الاجتماعي ليس مختصراً على القول اللفظي فقط، بل هذا من ضمنه وإلا فهو أوسع ويشمل كل ما فيه رفق كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، معونة اليتامى والمساكين، إصلاح البيوت وذات البين، والنصيحة للكبير والصغير وغيرها من الجوانب العملية، وهذا ما نلحظه في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾[(١٠٢)]، يقول محمد رشيد رضا: (وليس معناه مجرد التلطّف بالقول والمجاملة في الخطاب؛ فالحسن هو النافع في الدين أو الدنيا، وهو لا يخرج عمّا ذكرنا فلما كان هذا النوع من الحقوق مستقلاً بذاته جاء بأسلوب آخر، ولا شك أن في القيام بهذه الفرائض إصلاح الأمّة كلّها)[(١٠٣)].

وهذه المعاني القرآنية الحاثة على مبدأ اللطف والرفق هي من اساسيات الهدي القرآني والارشاد للناس في التعامل اليومي، لما تنشده النصوص القرآنية من تعايش سلمي، ولا سيما لو كان مبدأ الرفق واللطف صادر من جهة حاكمة في الناس، إذ تكون اكثر قوة في ترسيخ هذا المبدأ فلا يكون مجرد شعارات لا مضمون لها ولا واقع عملي حقيقي في واقع الحياة، فنجد تجسد هذا المعنى في وصية الإمام علي ﷺ الى وآليه على مصر الصحابي مالك الاشتر، فيقول له: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه)[(١٠٤)].

فهذه الكلمات النورانية المشعة بالحكمة والارشاد والتربية هي انعكاسات فعلية للأثر التربوي القرآني، في فكر الإمام علي عليه السلام، وهي في الوقت ذاته دعوة مفتوحة على مر الاجيال وتعاقب الازمان للحكام والولاة وكل من نصب نفسه للناس قائداً سواء كان تحت ولايته أهل بيته أو مؤسسة عامة، عليه ان يجعل هذا المبدأ أُسٌ في تعاطيه مع مجريات الاحداث والوقائع.

رابعاً: مبدأ الاعتدال والوسطية:

الوسطية هي التوازن، والتوازن هو العدل، قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾[١٠٥]، وسطاً في كل شيء، متوازنين في كل ما نقوم به من نشاط، فالوسطية التوفيق بين أشياء كثيرة، كالتوفيق بين مطالب الفرد الواحد، وبين مطالب الجموع، والتوفيق بين العمل للعاجلة والآجلة وهكذا، يقول محمد رشيد رضا: (إن الوسط هو العدل والخيار، وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكلّ من الإفراط والتفريط ميل عن الجادّة القويمة، فهو شرّ ومذموم، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر، أي المتوسّط بينهما)[١٠٦].

وهذا الأثر القرآني في الوسطية نجده حاضراً في فكر الإمام علي عليه السلام، إذ يقول في نهج البلاغة: (اليمين والشمال مضلة، والطريق الوسطى هي الجادّة، عليها باقي الكتاب وآثار النبوة، ومنها منفذ السنة وإليها مصير العاقبة)[١٠٧]، فالوسطية هي الطريق الموصلة لسالكها إلى المطلوب وهي إرادة السماء، وذلك لأنّ طريق السّالكين إلى الله ينتهجون سبيل العلم والعمل، فالعلم طريق القوّة النّظرية، والعمل طريق القوّة العمليّة، وكلّ منهما محفوف برذيلتين هما طرفا التّفريط والافراط، والوسط منهما هو العدل والطريق الوسطى هي الجادّة الواضحة لمن اهتدى سبيل الرشاد، إذن (المنهج السوي الذي يجب شرعاً وعقلاً أن يسير عليه الأفراد والجماعة

هـو القائـم بـين الإسراف والتقصـير، فـكل مـن هذيـن شر وفسـاد، ومـا بينهـما خـير وصـلاح.. وقـد رأينـا النـاس يحبـون الرجـل المعتـدل في سـلوكه وأعمالـه، ويثقـون بـه ويصفونـه بأوصـاف الكـمال والتقديـر كالعاقـل والمتـزن، بـل ويستشـيرونه في المهـمات مـن أمورهـم، ولا وزن عندهـم للمقـصر أو المسرف، وان كان دماغـه مخزنـاً للعلـوم والآراء والأرقـام)(١٠٨) .

ولا يذهـب الباحـث بعيـداً لـو أراد ان يجد أثـراً آخـراً مـن آثـار مقاصـد الاعتـدال القرآنيـة التربويـة في فكـر الإمـام عـلي ﴿عليه السلام﴾ وفي قولـه تعـالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً**﴾(١٠٩)، فهـذه الآيـة الكريمـة تعبـير عـن مجـال تربـوي فعـلي، ولكنـه يضـم في طياتـه جانبـاً تربويـاً حركيـاً في المجتمـع معـبراً عـن كوامـن النفـس الإنسـانية المسـتقرة، تعبـير عـن مشـية معتدلـة، فهـم (يمشـون عـلى الأرض مشـية سـهلة هينـة، ليـس فيهـا تكلـف ولا تصنـع، وليـس فيهـا خيـلاء ولا تنفـج، ولا تصعـير خـد ولا تخلـع أو ترهـل، فالمشـية ككل حركـة تعبـير عـن الشـخصية، وعـما يسـتكن فيهـا مـن مشـاعر، والنفـس السـوية المطمئنـة الجـادة القاصـدة، تخلـع صفاتهـا هـذه عـلى مشـية صاحبهـا، فيمـشي مشـية سـوية مطمئنـة جـادة قاصـدة، فيهـا وقـار وسـكينة، وفيهـا جـد وقـوة، وليـس معنـى: (يمشـون عـلى الأرض هونـاً) أنهـم يمشـون متماوتـين منكـسي الـرؤوس، متداعـي الأركان، متهـاوي البنيـان؛ كـما يفهـم بعـض النـاس ممـن يريـدون إظهـار التقـوى والصـلاح!)(١١٠).

فهـذه المشـية المتزنـة، ذات البُعـد الفعـلي والحركـي في المجتمـع، هـي مـن دلالات الوسـطية والاعتـدال، لا بطـئ مفـرط ولا سرعـة فيهـا تفريـط، وكذلـك هـي علاقتنـا في حياتنـا الاجتماعيـة، يجـب ان تكـون بـين السرعـة الغلـو والبـطء التفريـط، فـأي علاقـة اجتماعيـة يجـب ان تكـون وسـطية معتدلـة، وهـذا المعنـى القـرآني واضـح الأثـر في

توصيات أمير المؤمنين عليه السلام، فيقول عليه السلام: (أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما)(١١١)، وذلك ان مفسدة إفراط المحبّة فلاستلزامه (اطّلاع المحبّ لمحبوبه على أسراره وتوقيفه على أحواله فربّما ينقلب بعد ذلك عدوّا له فيكون أقدر على هلاكه من غيره من الأعداء، وكذلك مفسدة إفراط البغض وهو عدم الإبقاء على المبغوض وذلك يستلزم دوام المعاداة، فالاعتدال في ذلك أولى لأنّه ربّما عاد العدوّ إلى الصداقة فكان المبغض قد أبقى للصداقة موضعاً، وتقدير كبرى الأوّل: وكلّ حبيب جاز أن يكون عدوّا في وقت ما فينبغي أن لا يفرط في محبّته، وتقدير كبرى الثاني: وكلّ عدوّ جاز أن يكون صديقاً يوماً ما فينبغي أن لا يفرط في بغضه)(١١٢).

واكمالاً للفائدة الاجتماعية في علاقتنا مع الآخرين، يوصينا الإمام عليه السلام على ضرورة مراعاة حق الصديق والحبيب وان لا تكون اهون علاقة يضيع فيها الالتزام والاحترام، فيقول الإمام علي عليه السلام: (ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه، ولا تضيعن حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه)(١١٣).

فالعلاقات الاجتماعية كثيراً ما تحدث القطيعة فيها، ولأسباب عديدة، ولكنها تستأنف مرة أخرى بحبل أقوى وأوثق إذا كان مع الهجر عقل (ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه) من وثق بنُبلك فكن عند ثقته، فإنها قوة لك وثروة، والعكس صحيح أي من ظن بك شراً فكذّب ظنه بعمل الخير، (ولا تضيعن حق أخيك..)، فإن أراد مقاطعة أخيه أن يبقي له من نفسه بقيّة من صداقته ولا يفارقه مفارقة كلّيّة (إذا هويت فلا تكن غالياً، وإذا تركت فلا تكن قالياً)، فللصداقة حرمتها، وللصديق حقوقه، ومبدأ الوسطية والاعتدال في العلاقة حُباً أو بُغضاً هو عون في حياة اجتماعية مستقرة وأساس يقيّنى الخيبة والحسرة، ولا يجعل من الخسارة أبدية

ان كان مبدئاً تربوياً نتكأ عليه في كل علاقاتنا الاجتماعية.

ومن وسائل التنمية البشرية في المجتمع الإسلامي يثير الإمام علي (عليه السلام) جملة من التشخيصات التي تجعل للحياة بين الأفراد منسجمة في وئام، وينبه الى ان يستثمر الناس وجودهم بالدنيا بالنفع والبرّ وعمل الخير، يقول (عليه السلام): (أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام،..)[١١٤]، فالدنيا في فكر الإمام (عليه السلام) (وسيلة، والهدف هو العمل لبناء مجتمع صالح، كما أراده الله ورسوله)[١١٥].

كما وحذرت التعاليم والإرشادات الإسلامية من التفاعل الاجتماعي السلبي، ونهت عن جميع العوامل والمقدمات المؤدية إليه التي لا حصر لها، قال الإمام علي (عليه السلام) (لا تغضبوا ولا تغضبوا افشوا السلام واطيبوا الكلام)[١١٦]، وما هو معلوم ما للغضب من نتائج وخيمة في العلاقات الاجتماعية، وما يترتب عليه من آثار سلبية لا تحمد عقباها، يقول الإمام علي (عليه السلام) في النصح بالابتعاد عن رذيلة الغضب: (واكظم الغيظ وتجاوز عند المقدرة، واحلم عند الغضب)[١١٧]، وكذلك وجب الاجتناب عن سائر الأخلاق المذمومة التي نهت عنها تعاليم السماء واكدت على النهي عنها سنة المعصوم (عليه السلام)، من أجل بناء مجتمع محصن في داخله آمن في ظاهره، ومن حياة وتعايش آمن ومستقر.

إذن تتضمن المبادئ التربوية الإسلامية الى لم شعت الأفراد وربط قلوبهم وعواطفهم برباط متين ثابت لا يتغير ما دام الأفراد يتعهدونه بالالتزام وما ينتج عنه من سلوك عملي ومن وعي لظروف الحياة وتقديرها على وفق التصورات الإسلامية، فكل يعرف حقه فلا يتجاوز ويعرف واجبه فيؤديه على الوجه الاكمل[١١٨].

ويتضح مما تقدم ان التفاعل الاجتماعي والتأثير المتبادل بين الأفراد أو

بين الجماعات هو عن طريق احتكاك الآراء وتبادل المشاعر والأذواق وتفاعل الممارسات، وفي الطباع والأمزجة، وفي الاستعدادات والاهتمامات، وفي الأخلاق والمشاعر ويتضح أيضاً ادراك المسؤولية الاجتماعية وتحديد السلوك في ضوء الموازين والمعايير الاجتماعية التي تحدد لكل فرد دوره، ومن اشكال التفاعل الاجتماعي الايجابي والوانه: التعاون والتوافق لكي تتجذر العلاقات والوشائج فلا تنفصم لأول خاطر ولا تنفك لأول نزوة.

وأخيراً .. سيظل «نهج البلاغة» نبراساً مشعاً يهتدي بنوره السائرون، وينهل منه المنتهلون، ولن يستطيع الضباب مهما تكاثف حجمه واتسع امتداده ان يحجب الشمس عن العيون.

خاتمة ونتائج:

١. ان اهداف النصوص القرآنية هو تربية الإنسان، وان هذا الهدف واضح جلي في فكر الإمام علي عليه السلام من خلال نهج البلاغة.

٢. من اهداف التربية الإصلاح والتهذيب، حيث تُبذل جهودٌ كبيرة ومستمرة لرعاية الإنسان، وإصلاح أحواله، وعدم إهماله، بدءاً من الأسرة، مروراً بالمدرسة، ودور العلم، ووعظ العلماء، وقراءة الكتب، وسماع البرامج الهادفة... وهذا وغيره يساعد في إصلاحه، وإثراء نفسه بالعلم المفيد، والنهج السديد، إذ يرتبط طلب العلم بمناهج التربية، مما يعطي الإنسان مع مرور الوقت خبرات ومهارات وتوجيهات، تساعده على تحقيق أهدافه في الحياة، فللتربية دورها الرائد، وأثرها العميق في توجيه ميول الإنسان، وربطه بالأخلاق الحميدة، والعلاقات الإنسانية الراقية، وكبح جماح الشهوات، ورفع القوى نحو الخير والصواب.

٣. ان المبدئ التربوية دين ملتزم به، بل هي أصل من أصول المنهاج الإلهي، وليست مجرد فضائل فردية، أو آداب اجتماعية، أو أذواق حضارية.. الخ.

٤. ان الفكر الإنساني مهما تعمق وأحاط وشمل يظل غير قادر على التبصر الكامل بحقيقة الإنسان الذي هو موضوع التربية، بينما خالق هذا الإنسان هو الاعلم به، وهو الادرى بهذه الحقيقة، وفقا لهذه القاعدة التي تؤكد لنا ان صانع الشي هو الاعلم بما يجب أن يكون عليه. وتأسياً عليها يتحتم علينا الأن ان نربي ونعلم وأن ننشئ اجيالنا وفقاً لهذا التصور الذي نجده في مصدري الإسلام الاساسيين وهما القرآن الكريم وسنة المعصوم.

٥. التربية في فكر الإمام علي عليه السلام تربية مستندة على نصوص قرآنية، فهي بالتالي متأثرة بها، ونابعة منها، فهي تربية مثالية في عقيدتها وواقعية في معاملاتها لأنها تتعامل مع إنسان يعيش على ظهر الأرض، لامع إنسان خيالي، أي انها تبدأ بالإنسان من حيث هو إنسان، ثم تعمل على ايصاله الى كماله الإنساني، فالمبادئ التربوية لا تعمل في فراغ بل انها تتفاعل مع ما غرسه الله سبحانه وتعالى في طبيعة الإنسان، والتربية الإسلامية عملية لان الكون الذي يتفاعل معه الفرد حقيقة موضوعية لا فكرة مجردة.

٦. تحقيق المبادئ التربوية أساس من أُسس بناء المجتمع المسلم وهي مسؤولية الدولة المسلمة ووظيفة من وظائفها باعتبارها مكلفة من هذا المجتمع بالقيام على مصالحه والحفاظ على مقوماته.

هوامش البحث:

١. نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، ٢/ ٣٤.
٢. عبد الوهاب أبو سليمان، البحث العلمي، ص٢٥
٣. وقد كانت لمشاورة الدكتور نعمه الاسدي سهم وافر في تحديد عنوان البحث، والتشجيع للمشاركة، فله مني الشكر والثناء.
٤. ظ: أميرة برغل، المبادئ والأساليب التربوية في نهج البلاغة [illegible] دراسة مقارنة – ، ص١٩٣.
٥. ظ: د. مقداد ياجن، جوانب التربية الإسلامية الاساسية، ص٢٣.
٦. عبد الوهاب أبو سليمان، البحث العلمي، ص٢٥.
٧. ظ: سعيد اسماعيل علي، اصول التربية العامة، ص١٥.
٨. ظ: لطفي بركات احمد، التربية ومشكلات المجتمع، ص١ .
٩. نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، ٣/ ٣١٢ .
١٠. المصدر نفسه .
١١. محمد الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ع في الكتاب والسنة والتاريخ، ٩/ ١٤٠.

١٢. محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ٣/ ١٨٨١ .
١٣. المصدر نفسه، ٣/ ١٨٧٦ .
١٤. سورة ص، ٧٢.
١٥. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١/ ١٢٠.
١٦. سورة الاعراف، ١٧٢.
١٧. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٥/ ١٩٦، وللتوسعة في هذه الآراء ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٥/ ٢٧، الرازي، مفاتيح الغيب، ١٥/ ٣٩، الطبرسي، مجمع البيان، ٤/ ٢٨١، محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٨/ ٢٦٥، واما الشريف المرتضى فقد نفاه، ظ: أمالي المرتضى، ١/ ٢٨.
١٨. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١/ ٢٣.
١٩. الطبرسي، مجمع البيان، ٤/ ٢٨١.
٢٠. في ظلال القرآن، ٣/ ١٣٩١.
٢١. قرائنها : جمع قرون وهي النفس.
٢٢. أحنائها : جمع حنو وهو الجانب.
٢٣. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١ / ٤٠.
٢٤. مجمع البيان، ٤/ ٢٨١.
٢٥. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١/ ١٥٨.
٢٦. سورة الانعام، الآية ١٠٣.
٢٧. سورة البقرة، الآية ٢٩.
٢٨. سورة البقرة، الآية ١١٥.
٢٩. سورة آل عمران، الآية ١٢٠.
٣٠. سورة الانعام، الآية ٧٣.
٣١. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١/ ٢١٠.
٣٢. ميثم البحراني (ت٦٧٩هـ)، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٥١٩.
٣٣. سورة التوبة، الآية ١٠٥.
٣٤. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٩/ ٣٣٤.
٣٥. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١/ ١٥٩.

٣٦. سورة البقرة، الآية ١٨٦.
٣٧. سورة هود، الآية ٦١.
٣٨. ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ١١/ ٢٨٨.
٣٩. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٢/ ١٦٩.
٤٠. سورة الحشر، الآية ١٨.
٤١. سورة القلم، الآية ٣٤.
٤٢. سورة البقرة، الآية ١٩٧.
٤٣. ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٨/ ٤٠١.
٤٤. في رحاب نهج البلاغة، ص١٥٢ – ١٥٥.
٤٥. برز الرجل على أقرانه أي فاقهم. والمهل: التقدم في الخير، أي فاق تقدمه إلى الخير على تقدم غيره، اهتبل الصيد: طلبه، وكلمة الحكمة: اغتنمها، والضمير في هبلها للتقوى لا للدنيا، أي اغنموا خير التقوى.
٤٦. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٢/ ١٥.
٤٧. المصدر نفسه، ١/ ٤٨.
٤٨. سورة الاعراف، الآية ١٢٨، سورة هود، الآية ٤٩، سورة القصص، الآية ٨٣
٤٩. سورة ص، الآية ٤٩.
٥٠. محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ١٩/ ٢٧٨.
٥١. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٢/ ١٣٥.
٥٢. سورة الحجرات، الآية ١٣.
٥٣. سيد قطب، في ظلال القرآن، ٦/ ٣٣٤٨.
٥٤. سورة الطلاق، الآية ٢.
٥٥. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٢/ ١١٢.
٥٦. محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٣٠.
٥٧. سورة الحديد، الآية ٢٣.
٥٨. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٤/ ١٠٢.
٥٩. في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ٢٨٢.
٦٠. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٤/ ٧.

٦١. سورة البقرة، الآية ٢٠٠ – ٢٠٢.
٦٢. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢/ ٦٨.
٦٣. الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، الكشاف، ١/ ٢٧٦، البيضاوي (ت٧٩١هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ١/ ١٨٢، محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢/ ٧١.
٦٤. ظ: الصلة بين التصوف والتشيع، ص٤٤.
٦٥. المتقي الهندي، كنز العمال، ١١/ ٦٢٦، ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ١٦٦.
٦٦. البلاذري، انساب العرب، ٦/ ١٦٧، ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٥٥.
٦٧. سورة البقرة، الآية ٣٠.
٦٨. ظ: د. عبد الرضا حسن جياد، بحوث في العقيدة والتصوف، ص١٥٧.
٦٩. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ١/ ٢٣٠.
٧٠. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١/ ١٧٧.
٧١. سورة ص، الآية ٢٦.
٧٢. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٤/ ٣٦١.
٧٣. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٤/ ٣٢. آذنت: بمد الهمزة أي أعلمت أهلها ببينها أي ببعدها وزوالها عنهم، ونعاه إذا أخبر بفقده، والدنيا أخبرت بفنائها وفناء أهلها بما ظهر من أحوالها.
٧٤. ظ: ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٤٣٣ .
٧٥. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٤/ ٧٨.
٧٦. ظ: ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٤٧٩ . الوزعة: الوازع وهو الرادع المانع.
٧٧. نهج البلاغة، شرح بن ابي الحديد، ٢٠/ ٢٦٧.
٧٨. علي صوت العدالة الإنسانية، ١/ ٣٤٤.
٧٩. سورة يونس، الآية ٣٥.
٨٠. سورة المائدة، الآية ١٠٤.
٨١. سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢/ ٩٩١.
٨٢. سورة الاعراف، الآية ١٥٧.
٨٣. ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ٨/ ٣١٩.
٨٤. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٢/ ٥٥.
٨٥. المصدر نفسه، ٣/ ٥١.

٨٦. د. غسان السعد، حقوق الإنسان عند الإمام علي ع، ص١١٩.
٨٧. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٤/ ٥٤.
٨٨. ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٤٦٠.
٨٩. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٣/ ٤١.
٩٠. محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٣٠٢.
٩١. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٣/ ٣٨.
٩٢. شرح نهج البلاغة، ٥/ ٢٦٣.
٩٣. سورة لقمان، الآية ١٣.
٩٤. محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ١٨/ ١٨٩.
٩٥. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٣/ ٤١.
٩٦. الكليني، الكافي، ٢/ ١١٩.
٩٧. محمد جواد مغنيه، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٧.
٩٨. سورة طه، الآية ٤٤.
٩٩. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٠/ ٦.
١٠٠. سورة المؤمنون، الآية ٩٦.
١٠١. سعيد حوى، الأساس في التفسير، ٧/ ٣٦٦٣.
١٠٢. سورة البقرة، الآية ٨٣.
١٠٣. تفسير المنار، ١/ ٣٢١.
١٠٤. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٣/ ٨٤.
١٠٥. سورة البقرة، الآية ١٤٣.
١٠٦. تفسير المنار، ٢/ ٦.
١٠٧. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١/ ٥٠.
١٠٨. محمد جواد مغنيه، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٩٤.
١٠٩. سورة الفرقان، الآية ٦٣.
١١٠. سيد قطب، في ظلال القرآن، ٥/ ٢٥٧٧.
١١١. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٤/ ٦٤.
١١٢. ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٤٦٥.

١١٣. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٣/ ٥٤.

١١٤. نهج البلاغة، شرح ابن ابي الحديد، ١/ ١٣٠.

١١٥. محمد جواد مغنية، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٦٨.

١١٦. الكليني، الكافي، ٢/ ٦٤٥.

١١٧. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٣/ ١٢٩.

١١٨. ظ: عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية واساليبها، ص١٢٢.

المصادر والمراجع

خير ما نبدأ به: القرآن الكريم

١. امل مهدي كاظم التميمي، الفكر التربوي العربي لدى ابن خلدون وعبد الله ابن الازرق، رسالة ماجستير، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، ٢٠٠٣م.

٢. أميرة برغل، المبادئ والأساليب التربوية في نهج البلاغة – دراسة مقارنة –، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٥م.

٣. البلاذري، انساب العرب، دار الفكر، بيروت، (دت).

٤. البيضاوي (ت٧٩١هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٩٠م.

٥. جورج جرداق، علي صوت العدالة الإنسانية، دار ذوي القربى، قم، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٦. الرازي (ت٦٠٤ه)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.

٧. الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، الكشاف، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.

٨. سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام، بيروت، ١٩٨٩م، ط٢.

٩. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط٣٤، ٢٠٠٤م.

١٠. الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، أمالي المرتضى، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، دار ذوي القربى، قم، ١٤٣٥ه.

١١. الطبرسي (ت٥٤٨ه)، مجمع البيان، دار الاميرة، بيروت، ٢٠٠٩م.

١٢. الطوسي (ت٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب العاملي، دار الأميرة، بيروت، ٢٠١٠م.

١٣. ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، (دت).

١٤. عبد الرحمن النحلاوي، اصول التربية الإسلامية واساليبها، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٩٩٩م.

١٥. عبد الرضا حسن جياد (الدكتور)، بحوث في العقيدة والتصوف، شركة المارد العالمية، النجف الأشرف، ٢٠٠٨م.

١٦. عبد الوهاب أبو سليمان، البحث العلمي، دار المعارف، ١٩٨٧م.

١٧. غسان السعد (الدكتور)، حقوق الإنسان عند الإمام علي ع، العتبة العلوية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ٢٠١٠م، ط٢.

١٨. كامل مصطفى الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، طبع القاهرة، ١٩٦٩م.

١٩. الكليني (ت٣٢٩هـ)، الكافي، دار الكتب الإسلامية، ايران، ط٥، ١٣٦٣هـ ش.

٢٠. لطفي بركات احمد، التربية ومشكلات المجتمع، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٨م.

٢١. محمد الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ع في الكتاب والسنة والتاريخ، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، ط٢، مط: دار الحديث، ١٤٢٥هـ.

٢٢. محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، دار التيار، بيروت، ٢٠١٣م.

٢٣. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٩م.

٢٤. محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، دار الملاك، بيروت، ط٣، ٢٠٠٧م.

٢٥. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١٠م.

٢٦. محمد عبده، شرح نهج البلاغة، دار الذخائر، قم، ١٤١٢ه.

٢٧. مرتضى المطهري، في رحاب نهج البلاغة، ترجمة: هادي اليوسفي، دار التبليغ الإسلامي، بيروت، ١٩٧٨م.

٢٨. مقداد يالجن(الدكتور)، جوانب التربية الإسلامية الاساسية، ١٤٠٦هـ، (دط).

٢٩. محمود البستاني (الدكتور)، دراسات في علم النفس الاسلامي، دار البلاغ، بيروت، ١٩٨٨م.

٣٠. ميثم البحراني (ت٦٧٩هـ)، شرح نهج البلاغة، منشورات الفجر، بيروت، (دت).

٣١. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

❁ ❁ ❁

المرأة في نهج البلاغة
الروايات الموافقة للقرآن الكريم
دراسة تقابلية

م. د. أنوار عزيز جليل

جامعة البصرة
كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير السادات أجمعين، أبي الزهراء محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وردت في نهج البلاغة روايات ذكرت المرأة على لسان الإمام علي (ع)، وعند قراءتها للوهلة الأولى نجدها تسيء للمرأة، هذا إذا أخذناها بمعناها الظاهر، ولكن بعد مقابلتها بالقرآن الكريم، اقتداءً بقول الإمام علي (عليه السلام) الذي ذكره في نهجه: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ هذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لا يَكْذِبُ**﴾[1]. كان له الأثر الأكبر في إزالة الغموض وتوضيح المقصود.

ويذلك وجدنا أن هذه الروايات لم تقلل من قيمة المرأة بقدر ما رفعت من مكانتها، لأنها قد صانت المرأة وحفظت حقوقها وحقوق غيرها من خلال النظر إلى طبيعتها النفسية والفسلجية، كما في قضية الشهادة.

ونتيجة استغلال أعداء الإسلام هذه الروايات للنيل من الإسلام أولاً، على اعتبار أن الإمام علي (عليه السلام) يؤخذ على الإسلام، وللإيقاع بالمرأة ثانياً، كي تفقد ثقتها في دينها، بدعوى أن الإسلام ينتقص من المرأة، لذا كانت هذه الوقفة مع نهج البلاغة.

ولما كان البحث قد استقرئ ما يدل على المرأة في النهج كله، واتخذ الاستدلال الآيوي (القرآن الكريم) حكماً فيصلاً في توضيح الرواية وبيانها، ومعيناً دائماً في

تأكيدها ودعمها، نتيجة لمقابلتها به جاء هذا البحث الخاص بالروايات الموافقة للقرآن الكريم.

الروايات الموافقة للقرآن الكريم

جاءت الروايات الموافقة للذكر الحكيم في سبعة مواضع وكما يأتي:

١- من خطبة له وقد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية فلم ينهضوا، وفيها يذكر فضل الجهاد، ويستنهض الناس، ويذكر علمه بالحرب، ويلقي عليهم التبعة لعدم طاعته ((... **يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلا رِجَالَ! حُلُومُ الأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبّاتِ الحِجَالِ**))[٢]. نلاحظ هنا أنه ((شبّههم بالرجال شكلاً وهيئة، ثُمّ نفى عنهم الرجولة باعتبار أنهم فقدوا الغيرة والحمية، ووصف أحلامهم بأحلام الأطفال، يريدون الأمور بدون تعب، كما وصفهم بصفات النساء العاجزات، ربات الحجال: النساء، والحجال: جمع حجلة، بيت يزين بالستور والثياب والأسّرة))[٣]. والتشبيه من أساليب البيان البلاغية[٤].

والكلام ليس من الذم في شيء، وإنما هو حقيقة في كليهما، أي في الأطفال والنساء. ودليله قوله تعالى: ﴿**أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾[٥]. وإنما نعتها المولى سبحانه بهاتين الصفتين: التربية في الزينة، وفي المخاصمة غير مبيّنة لحجتها، لأن المرأة أقوى عاطفة من الرجل، ومن أوضح مظاهر قوة عاطفتها تعلقها الشديد بالحلية والزينة[٦]. فمن كانت هكذا صفاتها كيف ستقود حروب وتحل نزاعات. وهذا يعني أن المقصود بربّات الحجال في خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) هو: من ينشأ في الحلية الذي ورد في الآية الكريمة.

وقولنا بعاطفتها الشديدة هذه ليست ذماً لها، بل على العكس من ذلك، فالله

عظُمت آلاؤه جعل لكل من الرجل والمرأة مؤهلات تستمر بها الحياة، فأعطى الرجل الحنكة والعقل لقيادة الأمور العصيبة، ووهب المرأة العاطفة والحنان لتحتضن بها أطفالها وأسرتها. إلا أنه في الوقت نفسه تبقى هذه الأمور نسبية عند كليهما، أي عند الرجل والمرأة.

٢- جاء في خطبة له (عليه السلام) يعنونها الشريف الرضي بقوله: ومن كلام له (عليه السلام) بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء: ((**مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الإِيمَانِ، نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ، نَوَاقِصُ الْعُقُولِ: فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ، وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ مِنْهُنّ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ، وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الأَنْصَافِ مِنْ مَوارِيثِ الرِّجَالِ؛ فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَر، وَلَاتُطِيعُوهُنَّ فِي المَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِي الْمُنكَرِ**))(٧).

ويرى البحث أن الشريف الرضي قد جانب الصواب في عنوانه هذا، وذلك لأنه سيتبين لنا أن الخطبة قد استندت على القرآن الكريم واعتمدت عليه، فهل من الطبيعي القول بأن القرآن الكريم ذم المرأة أو انتقص منها أم أنه دافع عنها وأنصفها. ثُمّ أن الإمام (عليه السلام) قد بيّن حقيقة كل نقص.

فقوله (عليه السلام) في توضيح معنى نواقص الإيمان فقد أيدته الآية المباركة: **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ** ﴾(٨)، والصلاة والصيام لا يتحققان إلا بالطهارة، والحيض مناف للطهارة.

أما قوله: نواقص الحظوظ وتفسيره إياها بأن مواريثهن أنصاف مواريث الرجال، فقد دلّ عليه قوله تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ**﴾(٩)، وليس في هذا التشريع حطاً من قيمة المرأة، ولا تهاوناً في كرامتها كما

يقول أعداء الإسلام الذين نادوا بالمساواة، ونظروا إلى هذا التشريع من منطلق جزئي وليس من منطلق كلي. فنظرية الاقتصاد الإسلامي لم تُكبد المرأة أي أعباء مالية مثلما تُكبد الرجل، فالمرأة قبل زواجها قد تكفل الأب برعايتها والإنفاق عليها. أما بعد زواجها فإن الزوج هو المسؤول عن الإنفاق عليها سكناً، وطعاماً وزينة(١٠). أي أن دخل الرجل يصرفه كله على المرأة، وبغير هذا التمايز في الميراث لا تتحقق العدالة. وعلى ذلك فإن موقف الإسلام من المرأة ليس موقف تفضيل وإنما موقف تفصيل وتقسيم الواجبات والحقوق. هذا في حين أن قانون الإسلام يضع الجنة تحت أقدامها ((**الجنة تحت أقدام الأمهات**))، فهل يوجد تفضيل أكثر من ذلك. ثم كيف نفسر تساوي الرجل مع المرأة في بعض حالات الشهادة ؟ وزيادتها عليه في حالات أخرى إلى حدّ ثلاثة أضعاف ؟(١١).

والحقيقة أن مسألة المساواة في كل شيء غير واردة وغير ممكنة في نواميس الطبيعة، كما في مسألة الزواج، فالرجل نعطيه حق الزواج بأربع في حالات معينة، ولكن هل يمكن أن نعطي هذا الحق للمرأة ؟ طبعاً لا، بل هي لا ترضاه، لأن النسل حينئذ يضيع ويختلط، ولن يعرف الولد أباه، وتضيع العواطف، ويضيع الجو الأسري بضياعها(١٢).

أما نقصان عقولهن: فقد بيّنه بقوله: فشهادة امرأتين منهن كشهادة الرجل الواحد. وهذا ما أوضحته الآية القرآنية الآتية: ﴿**وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى**﴾(١٣)، والاستشهاد الآيوي لم يعلل شهادة المرأتين مقابل شهادة الرجل الواحد لأنها نصف الرجل أو للانتقاص منها كما حاول البعض أن يصورها، وإنما علل ذلك بقوله: ﴿ **أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى** ﴾. فقد أثبت الطب

الحديث بأن الغدة الدرقية عند المرأة أضخم مما هي عند الرجل، والمرأة تتأثر بالحمل والولادة وحالات الطمث، فتؤثر على الجانب النفسي عندها، وأحياناً على ذاكرتها، مما يؤدي إلى ضياع حقوق الناس، والذي قد يؤدي إلى سلبيات أكبر كالقتل. فضمّ المرأة إلى المرأة لتذكر إحداهما الأخرى شيء طبيعي، كما هي الحال في ((ضم الرجل إلى الرجل في الشهادة في البيّنة التي لابدّ فيها من رجلين عادلين. وهذا لا يفيد النقصان في الرجل الواحد في مقام الشهادة من حيث طبيعة العقلية أو الإنسانية))[١٤].

كما أن المشرع الإسلامي تعامل مع الشهادة من خلال خصوصيات تتعلق بموضوع الشهادة نفسه لا بالمرأة، وذلك في موضع الديون ومطلق الأموال[١٥]، كما هو مصرح به في الآية الكريمة أعلاه. وإلا ففي المواضع التي تتعلق بحالات النساء كالبكارة، والولادة، والرضاع، وعيوب النساء الباطنية، وكل ما لا يجوز للرجال النظر إليه يُعتمد على شهادتها وحدها منفردة دون الرجال[١٦]. وهنا سؤال يطرح نفسه، وهو: لماذا لا يقول المغرضون أن هذا انتقاصاً وانتهاكاً لحق الرجل؟!.

أما قوله: (**فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ**) فهذا الأمر لا يحتاج إلى تعليق، فالشر بعينه مذموم، وفاعله مثله سواء أكان رجلاً أو امرأة.

أما كلامه الأخير: (**وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَر، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِي الْمُنكَرِ**) فإنه مطابق لقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله): ((**عظوهنّ بالمعروف قبل أن يأمرنكم بالمنكر، وتعوذوا بالله من شرارهنّ، وكونوا من خيارهن على حذر**))[١٧]، والاختلاف واضح بين الحديثين، فربما كان قول الإمام (عليه السلام) هو حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) نفسه، لكنّه غُير أو بُدلّ أو حُرف أثناء نقل الرواة ونسخ الكُتاب. وهذا النص لا يخص النساء

بقدر ما يخص الرجال، فهو تهذيب لنفوسهم وترويض لطباعهم في تعاملهم مع المرأة، وهذ ما اتفقت عليه الشروح جميعاً، إذ ليس المراد من قوله (عليه السلام) النهي عن فعل المعروف لمجرد أمرهنَ به، لأن في تركه مخالفةً للسنة الصالحة، ولاسيّما إن كان المعروف من الواجبات. وإنما هو نهي عن طاعتهن، أي لا تفعلوه لأجل أمرهن لكم به، بل افعلوه لأنه معروف[١٨].

٣- ومن وصيّته لعسكره قبل لقاء العدو بصفّين: ((**لاَ تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ الله عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَتِ الْـهَزِيمَةُ بِإِذْنِ الله فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلا تُصِيبُوا مُعْوِراً، وَلا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلاَ تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذىً، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَـمُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْـمَرْأَةَ فِي الْـجَاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ**))[١٩]. والفهر: الحجر، والهراوة: العصا[٢٠]. ونعتقد أن الكلام السابق ينطبق عليها، فهو يبيّن ماهيّة ضعيفات القوى والأنفس والعقول. ((وهو يشير أيضاً من طرف آخر إلى ضعف المرأة واستعمالها السلاح الذي يدل على ذلك، أي الشتم والسب، وهو ما يتوائم مع طبيعتها التكوينية))(المجلة: ١٣٦)

وفي هذا النص بيان واضح لكيفية معاملة المرأة في الجاهلية، وبيان لمظلوميتها والواقع الفاسد الذي كانت تعيشه، كاستخدام لغة الشدة والضرب والأساليب العنيفة ضدها[٢١].

ولنا أن نضيف تعليقاً بسيطاً يناسب المقام ذكره، وذلك في الأمر بالكف عن التعرض للنساء حتى وإن كن مشركات، فـ ((هذه هي تعاليم الإسلام، ولذا أسندها الإمام إلى نبي الرحمة بقوله: (إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ - أي كان رسول الله يأمرنا -

بالكف عنهن وإنهن لمشركات)))[٢٢]. وهذا ما أكده الشيخ محمد عبده بقوله: ((هذا حكم الشريعة الإسلامية، لا ما يتوهمه جاهلوها، من إباحتها التعرض لأعراض الأعداء، نعوذ بالله))[٢٣].

٤- ومن خطبة له يذكر فيها نبي الله عيسى بن مريم (عليهما السلام): ((**وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَم، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلاَلُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلاَهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ!**))[٢٤]. فهو (عليه السلام) في قوله هذا لا يذم المرأة، وإنما يذكر مفاتن الدنيا وملذاتها، فهو غير خارج عن القرآن الكريم بشيء، إذ يكفي أن نعرضه على قوله تعالى في محكم كتابه: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[٢٥]، وهذه الآية المباركة تغنينا عن الشرح والتحليل.

٥- ومن خطبة له في توحيد الله تعالى: ﴿**لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً، جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الأَبْنَاءِ، وَطَهُرَ عَنْ مُلاَمَسَةِ النِّسَاءِ**﴾[٢٦]. المراد بالمولود المتولد عن غيره سواء أكان بطريق التناسل المعروف، أو كان بطريق النشوء كآدم (عليه السلام) الذي تولد من الأرض بقدرة الله، تعالى، والنبات الذي تولد عن العناصر في الأرض أيضاً بقدرة الله تعالى. ومن ولد له كان متولداً بإحدى الطريقتين[٢٧].

وبما أن المولى سبحانه منزه عن الولد فإنه كذلك منزه عن الصاحبة، لذا سنأخذ قوله (عليه السلام): (**وَطَهُرَ عَنْ مُلاَمَسَةِ النِّسَاءِ**) خارجاً عن سياقه

والمناسبة التي قيل فيها. فقوله (عليه السلام) ليس انتقاصاً أو إهانة للمرأة، وإنما هو كناية عن الجماع، وهذا يعني أن الجماع يحتاج إلى تطهير، وهو مطابق للقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[٢٨]. فقوله جلّ وعلا: ((أو لامستم النساء) ... كناية عن الجماع أدباً صوناً للسان من التصريح بما تأبى الطباع عن التصريح به))[٢٩].

٦- وفي حكمه ومواعظه قال (عليه السلام): ((**غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ، وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ**))[٣٠]. لهذا القول وجهان؛ الأول: أن المراد بالكفر هنا المعنى الحقيقي للكفر، لأن المرأة إذا غارت حرمت على زوجها ما أحله الله له من تعدد الزوجات، فقد تأخذها الغيرة إلى إنكار تشريع ذلك فيؤدي إلى الكفر[٣١]، ((وأيضاً فإن المرأة قد تؤدي بها الغيرة إلى ما يكون كفراً على الحقيقة كالسِّحر، فقد ورد في الحديث المرفوع أنه كفر))[٣٢].

وأما غيرة الرجل على المرأة فإنها حالة طبيعية، لأنها عنده من الإيمان، لأنها نهي عن المنكر، أي التهتك والفجور، شريطة أن لا تتعدى الغيرة حدها المعقول، وهذا ما نستوحيه من كلمة الإمام علي (عليه السلام) في وصيته لابنه الإمام الحسن (عليه السلام): ((**إِيَّاكَ وَالتَّغايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَة، فَإِنَّ ذلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ**))[٣٣]، أي أن الغيرة في غير موضعها تدفع الإنسانة البريئة إلى الريب والشك، وإلى عدم الثقة بنفسها، وقد يؤدي ذلك بها إلى عقدة نفسية[٣٤].

والوجه الثاني: أن هذا الحديث لا يعني أن غيرة المرأة كغيرة طبيعية كفرٌ، لأن

السبب الذي يؤدي إلى غيرة الزوجة هو حب الزوج والخوف من فقده، والخشية من أن تأخذه منها امرأة أخرى، ولاسيّما أن الرجل يُجوّز له الشرع أن يتزوج بأربع نساء، فالغيرة هنا تعتبر حالة طبيعية إذا كانت تنطلق من محبة هذه المرأة لزوجها، وخشيتها من أن تفقده، وتعتبر حالة طبيعية إذا كانت بعيدة عن التطرف في الاتجاه الحاد، بحيث تتحرك غيرتها إلى تحريم ما أحله الله. فالإسلام لا يحاسبها في الحالات النفسية التي قد لا ترتاح لها المرأة كغيرتها عليه إذا تزوج بأخرى، ولكنه يحاسبها على تصرفاتها السلبية التي قد تؤدي إلى أن تمنع زوجها من حقه. ومن هنا جاء هذا الحديث المأثور عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (غيرة المرأة كفر)، فليس معنى ذلك أنها كفر بمعنى الكفر، ولكنها تؤدي إلى بعض أجواء الكفر، وهو تحريم ما أحله الله[٣٥].

٧- ومن غريب كلامه المحتاج إلى تفسير حديثه (عليه السلام) عندما شيّع جيشاً يغْزِيهِ فقال: ((**اعْذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا اسْتَطَعْتُمْ**))[٣٦]. ويقول السيد الشريف الرضي في معناه: ((اصدِفوا عن ذكر النساء وشُغُلِ القلب بهنّ، وامتنعُوا من المقاربة لهنّ، لأنّ ذلك يَفُتُّ في عضُد الحميّة، ويقدح في معاقد العزيمة، ويكسِر عن العَدْوِ، وَيلفِتُ عن الإبعاد في الغزو))[٣٧].

وهذا القول يخص حالة استثنائية، فهو ليس ذماً للمرأة لأنها تضعف الجيش، وإنما ليجرد الجيش من كل ما يعلقه بالحياة الدنيا من زوجة وأولاد. فمسؤوليته اتجاههم وحبه إياهم سيكون سبباً في إضعاف عزيمته، وهو ما أيدته الآية القرآنية الآتية: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[٣٨].

وما يؤكد تحليلنا قول الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله): ((**احذر الدنيا وشهواتها، وزينتها، وأكل الحرام، والذهب والفضة، والمراكب والنساء، فإنه سبحانه يقول:** ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾))[٣٩].

خاتمة البحث

بمعونة المولى القدير، وبشفاعة السيد النذير، وبعلي الأخ النصير، بلغنا الختام فيّما وقع في نهج البلاغة من ذكر للمرأة، ولابدّ لنا فيه من تقصير.

ولعل خاتمة البحث توضحت من مقدمته، فقد اعتمدنا متن الرواية لا سندها أساساً في قبولها بعد موافقتها للقرآن الكريم. وبعد الاستقراء والدراسة يتضح لنا أن هذه الروايات التي قالها الإمام علي (عليه السلام) في نهجه عند قراءتنا الأولى لها، وهي القراءة السطحية، أو الأخذ بالمعنى الظاهر نجدها قد انتقصت من المرأة، ولكن بالقراءة الثانية العميقة، وبالتحليل التقابلي، أي بعد مقابلتها بالقرآن الكريم، نجد أنها صانت المرأة وحفظت حقوقها وحقوق غيرها من خلال النظر إلى طبيعة المرأة النفسية والفسلجية، وبذلك أعفت المرأة من أن تصبح في موقف لا يناسبها أو لا تحمد عقباه، كما في قضية الشهادة.

وبحمد الله نكون قد بيّنا الصحيح من الكلام، وحفظنا راية الإسلام، ورفعنا مولانا علياً الإمام، وقدنا المرأة إلى الأمام، وقطعنا أصابع التشويه والاتهام، والصلاة والسلام على محمد المصطفى وأهل بيته خير الأنام.

هوامش البحث:

١. نهج البلاغة، السيد هاشم الميلاني: ٢٨٦، الخطبة: ١٧٦.

٢. نهج البلاغة، السيد هاشم الميلاني: ٨٨، الخطبة: ٢٧.

٣. شرح نهج البلاغة، السيد عباس الموسوي: ٧٨، وينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢/ ٦٥، وشرح نهج البلاغة، الشيخ محمد عبده:٦٦، وفي ظلال نهج البلاغة: ١/ ١٩١-١٩٢.

٤. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٦٤.

٥. الزخرف: ١٨.

٦. ينظر: تفسير الطباطبائي: ١٧/ ٢١٣.

٧. نهج البلاغة، السيد هاشم الميلاني: ١٣٥-١٣٦، الخطبة: ٧٩.

٨. البقرة: ٢٢٢.

٩. النساء: ١١.

١٠. ينظر: المرأة في رحاب الإسلام:٧٣.

١١. ينظر: فقه المرأة المسلمة: ٢٠٢-٢٠٩.

١٢. ينظر: تأملات إسلامية حول المرأة: ١٨٩.

١٣. البقرة: ٢٨٢.

١٤. تأملات إسلامية حول المرأة: ٢٧.

١٥. ينظر: فقه المرأة المسلمة: ١٩٩، وفلسفة تشريعات المرأة: ١٩٧.

١٦. ينظر: المصدر نفسه: ١٩٩.

١٧. بحار الأنوار: ١٠٣/ ٢٢٧، الحديث: ٢٣، كتاب العقود والإيقاعات، باب فضل حب النساء.

١٨. ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦/ ١٧٠، وشرح نهج البلاغة، الشيخ محمد عبده: ١١٨، وشرح نهج البلاغة، السيد عباس الموسوي:١٤٤.

١٩. نهج البلاغة، السيد هاشم الميلاني: ٤٠٠، الكتب والرسائل: ١٤.

٢٠. ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ٧٩، وشرح نهج البلاغة، الشيخ محمد عبده: ٤٠٢، وشرح نهج البلاغة، السيد عباس الموسوي:٥٨٥.

٢١. النظرة الواقعية إلى المرأة وعمق الطرح في فكر الإمام علي (عليه السلام)، (دراسة في نهج البلاغة)، مجلة آداب البصرة: ١٣١.

٢٢. في ظلال نهج البلاغة: ٣/ ٤١٨.

٢٣. شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد عبده: ٤٠١.

٢٤. نهج البلاغة، السيد هاشم الميلاني: ٢٥٨، الخطبة: ١٦٠.

٢٥. آل عمران: ١٤.

٢٦. نهج البلاغة، السيد هاشم الميلاني: ٣٠٨-٣٠٩، الخطبة: ١٨٦.

٢٧. ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣/ ٦٢، وشرح نهج البلاغة، الشيخ محمد عبده: ٣٠١، وفي ظلال نهج البلاغة: ٣/ ٧٠.

٢٨. المائدة: ٦.

٢٩. تفسير الطباطبائي: ٥/ ١٠١.

٣٠. نهج البلاغة، السيد هاشم الميلاني: ٥٠٨، الحكمة: ١١٧.

٣١. شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد عبده:٥٢٧، وفي ظلال نهج البلاغة: ٤/ ٢٩٥، وشرح نهج البلاغة، السيد عباس الموسوي: ٧٦٣.

٣٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٢٥٠، وينظر: شرح حكم أمير المؤمنين (ع): ٩٤.

٣٣. نهج البلاغة، السيد هاشم الميلاني: ٤٣١، الكتب والرسائل: ٣١.

٣٤. ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٤/ ٢٩٥، وتأملات إسلامية حول المرأة: ١٢٢-١٢٣.

٣٥. ينظر: تأملات إسلامية حول المرأة: ١٢٣-١٢٤.

٣٦. نهج البلاغة، السيد هاشم الميلاني: ٥٣٢، غريب كلامه: ٧.

٣٧. المصدر نفسه.

٣٨. آل عمران: ١٤.

٣٩. دلائل الخيرات في كلام سيد السادات: ٩٩.

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم.

١. الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) ـ الخطيب القزويني (قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، ت: ٧٣٩هـ) ـ تحقيق: إبراهيم شمس الدين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط/ ١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢. تأملات إسلامية حول المرأة ـ السيد محمد حسين فضل الله ـ دار الملاك ـ د.م ـ ط/ ٨ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٣. تفسير الطباطبائي ـ (السيد محمد حسين) ـ تفسيره: الميزان في تفسير القرآن ـ مؤسسة السيدة معصومة ـ قم ـ إيران ـ ط/ ١ـ ١٤٢٦هـ..........

٤. دلائل الخيرات (في كلام سيد السادات، خطب الرسول، وصاياه، مواعظه، كتبه، قصار كلماته) ـ فاتن محمد خليل اللبون ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط/ ١ ـ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٥. شرح حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ الشيخ عباس القمي ـ العتبة العلوية المقدسة ـ النجف الأشرف ـ العراق ـ د.ط ـ د.ت.

٦. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله مدائني، ت:٦٥٦هـ) ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار الكتاب العربي ـ بغداد ـ العراق ـ ط/ ١ ـ ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٧. شرح نهج البلاغة، السيد عباس علي الموسوي ـ دار الهادي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط/ ٢ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٨. شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد عبده ـ خرج مصادره: فاتن محمد خليل اللبون ـ مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط/ ١ ـ ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٩. فقه المرأة المسلمة ـ السيد أحمد الجيزاني ـ إشراف الشيخ محمد اليعقوبي ـ مؤسسة عاشوراء ـ د.م ـ ط/ ١ ـ ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٠. فلسفة تشريعات المرأة ـ الشيخ محمد اليعقوبي ـ مؤسسة بقية الله ـ النجف الأشرف ـ العراق ـ د.ط ـ د.ت.

١١. في ظلال نهج البلاغة (محاولة لفهم جديد) ـ الشيخ محمد جواد مغنية ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ ط/ ١ ـ ١٩٧٢م.

١٢. المرأة في رحاب الإسلام ـ باقر شريف القرشي ـ دار الهدى ـ النجف الأشرف ـ العراق ـ ط/ ذ ـ ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٣. نهج البلاغة (المختار من كلام أمير المؤمنين، لجامعه الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى، ت: ٤٠٦هـ) ـ تحقيق: السيد هاشم الميلاني ـ العتبة العلوية المقدسة ـ النجف الأشرف ـ العراق ـ د.ط ـ ١٤٣١هـ.

بناءُ الإنسان في درءِ الهوى

ـ دراسة تحليلية ـ

محمد حاكم حبيب الكريطي
ماجستير لغة عربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين الى قيام يوم الدين .

وبعد ، فلولا وجود الإنسان لم تكن الدولة ، فبناء الإنسان يعني بناء الأوطان، ومن أراد أن يبني وطناً ، لا بد أن يبدأ بصناعة الذات المؤمنة بالانتماء الى الأرض ذلك الإيمان لا بد أن يكون إيماناً حقيقياً يشبه العقيدة المتجذرة في الذات ، فبناء الذات الإنساني القويم ، لابد أن يرتكز في صناعته على قواعد تربوية دينية ، فالعقيدة الدينية هو النواة الأولى في إيجاد ،ووجود شخص انغرست في ذاته تعاليم إسلامية حقة ، سوف يثمر خدمة يانعة لمجتمعه ، ومن خلال الأطر التي يعمل ضمن سياقها .

وجاء هذا البحث على ثلاثة مباحث الأول هو مبحث (تضعيف الأمل في الدنيا) ، وفيه حثّ الإمام ــ عليه السلام ــ المسلمين على الابتعاد عن مغريات الدنيا والركون اليها ، فلا يرتجيها أحدٌ الا قطعت رجاءه وأضاعت أمله . وهذا الوجه الذي رغّب الإمام المسلمين عنه ، وفي الوقت نفسه رغبّهم بالدنيا لتكون مزرعة للآخرة . وبهذا أراد (عليه السلام) أن يهيء نفوسهم الى الآخرة سواء في الانتماء الى الدنيا ، أو الانقطاع عنها ففي الحالتين الهدف والغاية هي الآخرة . وجاء المبحث الثاني وهو (مغالبة الهوى) ، كان ــ عليه السلام ــ في هذا المبحث يحذّر من إتباع الهوى، حتى وإن كان ذلك الهوى لا يُعصى فيه الله تعالى ، لكن يمكن أن يكون ذلك مفتاحا للمعصية وتأسيس لها ، وحثّ ــ عليه السلام ـ في ذلك لنصرة

النفس على هواها ولابد من مجادلة الهوى والإعراض عنه وفي هذا إعراض عن الدنيا وغلبة الهوى هو كسب للآخرة . أما المبحث الثالث هو (معصية النفس) ، والذي أكد فيه (عليه السلام) الى عدم الانقياد الى رغبات النفس ، فمعصيتها هو رضا الله ، وأراد للنفس أن تبني ذاتها في خروجها من كينونتها اللوامة الى حقيقتها المطمئنة ، وبذلك تتحقق الذات المبنية عقديا المتماسكة إنسانيا ، التي تتوق الى أجزاء الكمال.

وبهذا فإن تلك المباحث الثلاثة التي اختصت في الدنيا ، والهوى والنفس ، فهي متداخلة الى درجة كبيرة ، فالدنيا هي المكان الذي يمكن للنفس أن ترتكب المعاصي والأخطاء فيها ، والنفس ذاتها لولا الهوى ورفعه إياها لم تتجه الى الخطأ ، بل يمكن لها أن تستجيب للعقل ، وتذهب صوب الحقيقة ، وهذا ما أراد البحث أن يظهره من خلال ما جاء في كلمات الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة .

المبحث الأول
تضعيف الأمل في الدنيا

لقد نهى الإمام علي (عليه السلام) الناسَ من التمسك بالدنيا وحذر منها، ومن قصر مدتها، وانقطاع أملها، فحذّر منها بقدر تحذير القرآن الذي لم يتح الفرصة للناس في الاقبال على الدنيا وخاصم رغباتهم، وحذر من تلك الرغبات، فالإمام (عليه السلام)هنا نطق بالآيات والأحكام القرآنية التي حذرت من الغفلة في الدنيا، ومن أقواله (عليه السلام) محذراً أصحابه من الدنيا: ((فلتكن الدنيا أصغر في أعينكم من حثالة القرظ))[١] . نلاحظ أن الإمام ــ عليه السلام ــ يتخير الألفاظ ذات الأثر البالغ والتي يمكن لها أن تستميل الناس الى ما يريده لهم، حيث شبه لهم الدنيا بحثالة القرظ، والذي فُسر على انه رديء الحنطة يسمى حثالة[٢]، وهذا الرديء الذي ليس له ثمن، أمر الإمام ــ عليه السلام ــ الناس بأن يجعلوا الدنيا شيء لا ثمن له، فمن باع الدنيا لا بد أن اشترى الآخرة . وتبدو هنا إشارة الإمام ــ عليه السلام ــ واضحة لكسب الآخرة بترك الدنيا أي في الاغراض عن زخرفها وغرورها .

وفي كلامٍ آخر للإمام (عليه السلام) في التزهيد من الدنيا والترغيب في الآخرة، قال : ((واخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم))[٣] .

أراد الإمام (عليه السلام) أن ينزع الدنيا من قلب المسلمين وحثهم على خروج قلوبهم قبل الأجساد، ولم يقل اخرجوا عقولكم بل ذكر القلوب، لأن الرغبات والغفلة تكون مع القلب، حيث صرّح بذلك القرآن الكريم ﴿... **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**﴾[٤].

ومثلما تكون الغفلة وعدم الإيمان بالقلب ، فيمكن للقلب أن يكون وعاءً للإيمان ، وهو بذلك يصبح سلاحاً ذو حدين ، إما أن يكون هو الهادي ، وإما أن يكو هو المضل ، فالكفر والإيمان كلاهما في القلب حيث ذكر الله تبارك وتعالى في قصة أم موسى (عليه السلام) وكيف ثبت الإيمان في قلبها فقال جل وعلا : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٥].

هذه المرة نلاحظ دور القلب قد أصبح سبباً للإيمان ، فالذي يوصي به الإمام (عليه السلام) كفاية في خروج القلب من الدنيا ، هو للدخول في عمل الآخرة والتزود من دار الدنيا ، فيمكن للدنيا أن تكون سببا للنجاة في الآخرة ، أو أن تكون سبب الهلاك ، مثلما القلب يمكن له أن يطمأن بالإيمان أو يُشرح بالكفر .

مثلما كان الإمام (عليه السلام) يوصي أصحابه ويحذرهم من الدنيا ، كان يفعل مثل ذلك مع خصومه ، فقد كتب الى معاوية بن أبي سفيان كتاب جاء من ضمنه ((فاتّق الله يا معاوية في نفسك وجاذب الشيطان قيادتك ، فإن الدنيا منقطعةٌ عنك ، والآخرة قريبةٌ منك))[٦].

إنّ سبب ارتباط الإنسان في الدنيا ووثوقه بها هو الشيطان ، وإلّا فكل الأدلة العقلية بالنسبة للمؤمنين ان الآخرة هي دار القرار ذلك ما نص عليه القرآن الكريم ، وبما أن العقل مؤمن بذلك فمن البديهي أن يكون قد أعد العدّة إليها ، إلّا ان الملاحظ هو غير ذلك والانهماك على الدنيا مع شدة الوعيد ، كل هذا هو سببه الشيطان ، فنلاحظ الإمام ـــ عليه السلام ـــ ينهى معاوية من مجاذبة الشيطان ، والمجاذبة هي المغالبة وجذبته أي غلبته[٧] ، فالإمام (عليه السلام) على الرغم من خصومة معاوية معه إلا انه كان ناصحاً له ، يمكن أن تكون تلك

النصيحة لإصلاح معاوية لأن إصلاحه هو إصلاح لأمور المسلمين التي أفسدت بسبب تهافتهم على الدنيا .

والإمام (عليه السلام) بقدر ما كان ناصحاً محذراً الناس من الدنيا ، كان مذكراً نفسه منها ، فقال(عليه السلام) من بعد كلام وجهه الى عامله على البصرة عثمان بن حنيف حيث إنه قال: ((إليك عني يا دنيا فحَبلُك على غارِبك))[٨].

جاء كلام الإمام (عليه السلام) هنا على ما جاء به النظم القرآني إياك أعني واسمعي يا جارة ، فهو ليس بحاجةٍ إلى أن يحذر نفسه ، بل كان يقصد عثمان وأصحابه ، فاستعمل كلاماً مجازياً بأسلوب استعاري ، حتى يمكن اللفظ في نفوس الآخرين ، ويجعل من حال الدنيا كحال جسد حي يتحرك أمام الآخرين، فالاستعارة هي وحدها من تجعل الدنيا بتلك الصورة ، فقيل في الاستعارة هي اللفظية تجعل الأشياء غير المتنفسة كأفعال ذوات النفس[٩]، وهذه الحركة الرمزية يمكن لها أن ترسخ أجيالاً ، كما هو الحال مع نهج البلاغة الذي يتداول بيننا منذ أكثر من أربعة عشر قرناً .

فوصف الإمام (عليه السلام) الدنيا وكأنها ناقة قد ألقى حبلها على غاربها[١٠]، وفي ذلك كناية عن حرية الدنيا واطلاق العنان لها ، وهنا حال من التشبيه العظيم وكأن الإمام (عليه السلام) هو الثابت الذي لا يغتر من الدنيا، والدنيا هي المتحركة لذلك ترك لها الحبل على الغارب لتجول مع من تريد .

كل هذا النسيج الكلامي الذي طرّزه (عليه السلام) من استعارة وكناية وتشبيه حسي هو درسٌ للحذر من الدنيا .

ومن كتاب له (عليه السلام) وصّى به شريح بن هانئ[١١] لما جعله على مقدمته الى الشام فقال : ((اتقِ الله في كل صباح ومساء ، وخَف على نفسك الدنيا

الغَـرُور ، ولا تأمنهـا عـلى حـالٍ))[١٢].

حذّر الإمـام شُريحاً بوصفهِ الدنيا لـه بـ (الغَـرُور) بفتـح الغـين وضـم الـراء ، أي الغَـرُور صفـة ملازمـة للدنيـا فـلا يأمـن حالهـا ، فـلا يسـتمر حالها عـلى مـا هـو عليـه فهـي تنتقـل بأهلهـا مـن حـال الى حـال مـن شـدةٍ الى رخـاء ، أو مـن رخـاءٍ الى شـدّة ، فـلا يأمـن مـن يومهـا ، فهـي تـداول الأيـام بـين النـاس ، ومداولـة الأيـام في عاجلهـا حسـاب في آجلهـا .

وقـال ابـن السـكيت الغَـرور هـو الشـيطان ، ألم تلاحـظ قولـه تعـالى محـذراً منـه : ﴿... وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾[١٣] فالدنيـا نفسـها لـولا الأسـباب الشـيطانية لم تكـن غـروراً بـل لفعـل الشـيطان وتزينـه إياهـا لهـم أصبحـت كذلـك .

ومـن كتـاب كتبـه (عليـه السـلام) الى الأسـود بـن قطبـة صاحـب جنـد حُلـوان[١٤] قـال فيـه : ((واعلـم أنّ الدنيـا دار بليـة لم يُفـرغ صاحبهـا قـط فيهـا سـاعة إلا كانـت فرغتـه عليـه حسـرة يـوم القيامـة))[١٥].

في كل مـرة يحـذّر الإمـام (عليـه السـلام) مـن الدنيـا يـأتي بصـورةٍ جديـدةٍ مختلفـةٍ عـن سـابقتها في حـال الدنيـا ، وكل ذلـك الهجـين الصـوري هـو لرسـوخ صـورة ذهنيـة واحـدة عـن الدنيـا مفادهـا الابتعـاد عـن الركـون إليهـا .

فهنـا يصفهـا بأنهـا دار بليـة مقتبسـاً (عليـه السـلام) معنـى قولـه تعـالى : ((... وَنَبْلُوكُـم بِالـشَّرِّ وَالْخَـيْرِ فِتْنَـةً وَإِلَيْنَـا تُرْجَعُـونَ))[١٦].

ويصـف الإمـام (عليـه السـلام) فـراغ الدنيـا حسـرة في الآخـرة ، ذلك لأن الإنسـان ينـدم لإضاعتـه الوقـت في غـير عبـادة الله لمـا يـراه مـن أحـوال يـوم القيامـة التـي لا يأمـن منهـا إلّا مـن أتـى الله بقلـبٍ سـليم ، ولـو أن تـزود مـن الدنيـا في حـال فراغـه كـما أشـار

الإمـام (عليـه السـلام)،إذ قـال : ﴿**وَتَـزَوَّدُواْ فَـإِنَّ خَـيْرَ الـزَّادِ التَّقْـوَى وَاتَّقُـونِ يَـا أُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾(١٧).

ومـن كلام لـه (عليـه السـلام) الى سـلمان الفـارسي (رضـوان الله عليـه) ، جـاء فيـه: ((أمـا بعـدُ فإنـما مَثَـلُ الدنيـا مثـل الحيّـة ، لـينٌ مسُّـها ، قاتـلٌ سُـمّها ، فـارض عـمّا يعجبك فيهـا ، لقلـة مـا يصحبك منهـا ، وضـع عنـك هُمومَهَـا ، لِمَا أيقنـت منهـا ، فـإن صاحبهـا كُلّـما اطمـأنّ فيهـا الى سرور أشـخصتهُ عنـه الى محـذور ، او إلى ايـنـاسٍ أزالتـهُ عنـه إلى ايحـاشٍ))(١٨).

حـذّر الإمـام سـلمان الفـارسي الـذي كان مـن خـيرة أصحابـه ، وهـو بهـذا يريـد أن ينـذر النـاسَ واتخـذ مـن سـلمان (رضـوان الله عليـه) عنوانـاً لتحذيـره . وقـد بـدأ (عليـه السـلام) كلامـه عـن الدنيـا بمتتاليـات استعارية أراد أن يستجلب عقـول النـاس ومشـاعرهم ، ذلـك ليلفـت بـه أذهانهـم ، فاستعار مـا في الحيّـة مـن صفـات في ظاهرهـا تغـر الغافـل الـذي لا يعـرف سـوى ظاهرهـا ، هـذا إذا مـا قيـس بالحيـاة الدنيـا مـن حيـث الاسـتعارة ، وقـد وصـف الله تبـارك وتعـالى الدنيـا إذ قـال : ﴿**يَعْلَمُـونَ ظَاهِـراً مِّـنَ الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وَهُـمْ عَـنِ الْآخِـرَةِ هُـمْ غَافِلُـونَ**﴾(١٩).

فظاهـر الدنيـا مثـل ظاهـر الحيّـة الـذي وصفـه الإمـام ـــ عليـه السـلام ـــ ، أمـا الغفلـة فهـي عـن بواطـن الدنيـا وخفاياهـا التـي يحذرنـا منهـا ـــ عليـه السـلام ـــ ، وقـال قاتـلٌ سـمها ، هـو استعارة أخـرى بمعنـى إن الركـون الى الحيـة ، التـي هـي بمثابـة الدنيـا ، هـو في نهايـة الغايـة هـلاك .

ويحـذّر (عليـه السـلام) ناهيـا مـن الإعجـاب فيـه لقلـة زمنـه إذا مـا قيـس بطـول السـفر في الآخـرة ومـا يصحبـك هنـاك مـن عمـلٍ قـد كسـبته في الدنيـا ، ويـوصي (عليـه السـلام) بوضـع همومهـا وكأن تلـك الهمـوم كانت أحمـالاً وضعت عـلى أكتـاف طالبيهـا،

وكأن هموم الدنيا هي في ذاتها أوزار إذا عرضناها على قوله تعالى : ﴿**وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۞ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ**﴾[٢٠] ففي كل كلمة من كلمات الإمام (عليه السلام) لا بد أن تعرض على القرآن الكريم لأن كلامه (عليه السلام) إما أن يكون من لفظ القرآن أو من معناه . حيث أتم قوله (عليه السلام): فإن صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور اشخصته الى محذور . وهذا ترجمة لقوله تعالى : ﴿ ... **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾[٢١] لأن ذلك السرور الذي أشار إليه (عليه السلام) ، أو الفرح الذي نهى عنه القرآن هو ليس السرور بحدوده أو الفرح ضمن إطاره ، لأن هناك من يغتر بالدنيا ولا يلتفت الى آخرته ، ولا يحذرها فيأخذ نصيبه من الدنيا ليس متناسياً الآخرة بل قد نسيها تماماً كما قال تعالى ﴿ **قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى** ﴾[٢٢].

ولولا الخضوع الى ملذات الدنيا لما نسي الآخرة ، وذلك كلما اندفع الإنسان مع عواطفه كلّما قل استعماله للعقل وهذه المسألة جدلية عكسية كلما ذهبت باتجاه واحدة ابتعدت عن الأخرى ، فالآخرة هي اتباع العقل ، والسرور هو من اتباع العاطفة فالزمن والتراكم في اتباع العاطفة يترك سروراً في نفوس الآخرين ذلك السرور سوف يكون حاجباً عن الآخرة وبالتالي يُزال الإنسان من ايحاش الى ايناس كما أشار الإمام (عليه السلام) الى ذلك[٢٣]..

ومن وصية له ــــ عليه السلام ــــ للحسن بن علي (عليه السلام) : ((من الوالد الفان ، المقر للزمان ، المُدبر العُمُر ،المستسلم للدهر ، الذّام للدنيا ، الساكن مساكن الموتى والظاعن عنها غداً))[٢٤].

قبل أن يذكر الدنيا في خطبته (عليه السلام) أشار إشارة واضحة الى زوالها واليقظة منها ، حيث قال من الوالد الفان ، فإنه لا خلود ولا بقاء فكلنا الى رحيل ،

المقر للزمان أي متنبّهٌ للزمان الذي في كل لحظة يقترب بنا الى الأجل المحتوم الذي لا بُدّ من ملاقاته ، المُدبر العمر وهنا إشارة أخرى الى الحذر من الدنيا وهو (عليه السلام) يصف نفسه بالمُدبر العمر من الإدبار ومعناه من جاء آخر القوم ، وتدبر الأمر أي نظر في عواقبه وأواخره[٢٥].

وهذه إشارة منه (عليه السلام) الى أن العمر قد أدبر أي ذهب باتجاه الآخرة ، ولم يقل مقبل العمر أي هو في طول أملٍ في الحياة ، (المستسلم للدهر ، الذام للدنيا)، نلاحظه(عليه السلام) في كتابه هذا قد مهد للتنفير من الدنيا قبل ذكرها ، والكتاب كما أشرنا في العنوان قد وجهه للإمام الحسن(عليه السلام) لكن القصد منه ليس تحذيراً للحسن (عليه السلام) من الدنيا بل لجميع من قرأ وسمع الكتاب الى يومنا هذا .

فكما أشرنا في صفحات البحث السابقة ، إن أسلوب الإمام قد استدل من القرآن الكريم فجاء قوله على صيغة (إياك أعني واسمعي يا جارة) .

في ختام هذا المبحث نقول : إن الإمام علي (عليه السلام) أراد أن ينبّه ويحذر الناس من الارتباط بالدنيا ، والمقصود ذلك الارتباط الذي يأخذهم عن أمور دينهم وآخرتهم وتشغلهم الدنيا بمفاتنها ، لا القصد من وراء كلامه (عليه السلام) هو ترك الدنيا بمجملها ، لا بل كان يحث على لعمل وطلب الرزق وغيرها من الأمور الدنيوية التي لا تأخذ الإنسان المسلم عن دينه بل توفر له العيش الكريم من جانب وتبني حياته الدينية على وفق ما أرادت الشريعة السمحاء من جهة أخرى.

المبحث الثاني

مغالبة الهوى

مثلما حذّر الإمام (عليه السلام) من الدنيا حذّر من اتباع الهوى ، ويمكن أن يعد اتباع الهوى هو جزء أساس من التمسك بالدنيا، فهي الوعاء الذي يمارس فيه أشكال الهوى ، وعلى وفق المنهج القرآني الذي اتبعه الإمام علي ــــ عليه السلام ــــ حيث عمل بما ذكره القرآن الكريم من قوله تعالى : ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى** ﴾(٢٦) .

فقد جاء فيه نهيه عن اتباع الهوى ، وطول الأمل قوله(عليه السلام) : ((أيُها الناسُ إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنتان :اتباع الهوى ، وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصُدُّ عن الحق ...))(٢٧).

ولشدة خطر اتباع الهوى من قبل المرء ، نلاحظ الإمام (عليه السلام) يصف ذلك وهو أشد الخوف عليهم ، والإمام (عليه السلام) لا يعرف للخوف معنى، إلّا إن للأثر العظيم الذي يُتركه اتباع الهوى على صاحبه جعله(عليه السلام) يستعمل بعض الألفاظ التي لم نعهده قد ضمنها في كلامهِ عن حروبهِ ومنازلته في سوح الحرب ، لكن الأمر هنا يختلف عندما تكون المسألة مع الله تبارك وتعالى فهو يرى ويعلم غير ما يرى الناس فعلمه يقيني وذلك يحقق الكشف بالنسبة لأهل البيت (عليه السلام) ، إذ أخبرنا القرآن الكريم بذلك بقوله : ﴿**كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ**﴾(٢٨).

ويكمل الإمام (عليه السلام) قوله ليخبر بنتيجة اتباع الهوى فيقول : (فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق)، فاتباع الهوى لايكون مع ما أراده الله تبارك وتعالى

، ويركن الإنسان في ذلك الى نفسه ولا الى عقله ، ولا تحمد مغبة هذا فهو من عمل الشيطان ، وذكروا في اتباع الهوى : ((إن من اتباع الهوى أن يحضر الخصمان بين يديك فتود أن يكون الحق للذي في قلبك محبة خاصة ، وبهذا سلب سليمان بن داود ملكه . قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان الذي أصاب سليمان بن داود عليهما السلام أنا ناساً من أهل جرادة أمرأته ، وكانت من أكرم نسائه عليه ، تحاكموا إليه مع غيرهم ، فأحب أن يكون الحق لأهل جرادة فيقضي لهم ، فعوقب بسبب ذلك حيث لم يكن هواه واحد))[٢٩].

وقيل في اتباع الهوى : ((ضلال العقول في اتباع الهوى ولا حيلة في ضلال العقول))[٣٠].

فقد تأثرت الحياة العقلية العربية في النهي عن اتباع الهوى سواء أكان ذلك الأثر قد استمد من القرآن الكريم ، أو من الإمام علي (عليه السلام) ، لأن هذه الخطبة التي نحن في صددها الآن قد وردت في كثيرٍ من المصادر العربية في معرض الاستشهاد عن ذم الهوى .

ومن كتاب بعثه (عليه السلام) الى عاملهِ على البصرة عثمان بن حُنيف((٣١)) وقد بلغه إنه دعي الى وليمة من أهلها فمضى إليهم . فبعد كلام يطول له (عليه السلام) قال : ((ولكن هيهات أن يغلبني هواي ، ويقودني جشعي الى تخيّر الأطعمة))[٣٢]. بعد اعتراض الإمام (عليه السلام) على صاحبه عثمان بن حنيف، وأعطاءه درساً في تهذيب النفس ومنع جماحها ، التفت الإمام (عليه السلام)الى نفسه الكريمة قائلاً : ((ولكن هيهات أن يغلبني هواي)) وهو (عليه السلام) بهذا يشير الى الجدلية التي تكون بين الهوى والذات ، أما من كان على حال بسيط من الإيمان يمكن لهواه أن يغلبه ، واتباع الهوى بواسطة النفس والنفس قد أشار

إليها القرآن الكريم وقال : ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(٣٣).

لكن الإمام (عليه السلام) ينفي غلبة هواه عليه ، وفي هذا درسٌ للمسلمين في منازلة الهوى ، وكيفية تحقيق الذات بتجردها منه أي من الهوى ، وبناء النفس باتجاه الاطمئنان وخروجها من النفس الأمّارة ، فالإمام أراد أن يحث الناس باستدرار عقولهم وعواطفهم له فهو الأسوة لهم في أمور دينهم ودنياهم .

ومن عهد له (عليه السلام)كتبه للأشتر النخعي(رضوان الله عليه) لما ولّاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر (رضوان الله عليه) وهو من أطول العهود التي كتبها (عليه السلام) . وبعد كلام له (عليه السلام) كان يوصي به الأشتر وكله جاء في بناء الإنسان والدولة ، ويمكن أن يعد هذا العهد انموذجاً يحتذى ، ويتقدى به في إدارة شؤون المسلمين وغيرهم .

ومن جملة ذلك الكلام قوله (عليه السلام) : ((فاملك هواك ، وَشُحَّ بنفسك عما لا يحلُّ لك ، فإن الشُّح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبّت وكرهتْ))(٣٤).

وصّى الإمام ـــ عليه السلام ـــ الأشتر الإحاطة من هواه ، قد اختار لذلك لفظاً يستوعب المعنى الذي أراد إيصاله للأشتر ومن خلالِهِ للناس فقال له (إملك) ولم يختر لفظاً آخر ، فجاء في دلالة لفظة (مَلَك) هو قوام الشيء ونظامه(٣٥).

وبهذا أراد (عليه السلام) أن ينهى الأشتر ومن غلبة هواه له ، حيث يريد منه أن يكون أقوى من هواه ، فهو من يتحكم في هواه هو الذي يمكن أن يملك رغبات نفسه ، ولأن الملك كما أشارت اللغة هو قوام الشيء أو نظامه ، أراد (عليه السلام) أن تكون نفس الأشتر مستقيمة أي لا تميل الى هذا أو الى ذاك فهي على

الطريق الذي رسمه الله تبارك وتعالى لها من تدابير أمور الحياة .

وبهذا يريد (عليه السلام) أن يكون الأشتر خارجاً من سلطان هواه ، حتى لا يقع في ذلك ضرر على ذاته أولاً ، ولا على المسلمين ثانياً ، فإنصاف الهوى هو إنصاف مع الأمة ، فغلبة هوى الرئيس ، ليس كغلبة هوى المرؤوس ، لأن الأول يتحكم بأمور الجماعة ، والضرر الذي يصدر منه ضرراً يعم الآخرين ، أما الثاني فضررهُ مع نفسه ، ولا يؤثر ذلك الإنسان بقدر ما تركه الحاكم من أثر .

ومن كتاب له (عليه السلام) الى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحاكمين. فقال (عليه السلام): ((فإن الناس قد تغير كثيرٌ منهم عن كثيرٍ من حظهم ، فمالُوا مع الدنيا ، ونطقوا بالهوى))[٣٦].

ذكر الإمام ـــ عليه السلام ـــ ابتعاد الناس عن الحق ونطقهم بالهوى ، وفي ذلك إشارة الى أنهم لم ينطقوا عن عقلٍ وحكمة ، بل نطقوا بما تهوى الأنفس ، و ذلك ذمٌّ وتقريع لهم ، لأنهم وافقوا نفوسهم وسلّمت بهم الى الهوى ، ولم يأخذوا بما يريده العقل لتكون الغلبة له ، فالهوى مذموم بنص من الله تبارك وتعالى ، بل بعدة نصوص من القرآن الكريم ، حيث قال تعالى : ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[٣٧].

وقد تحدث جلٌّ من الصحابة والتابعين في ما استورثوه من ذم الهوى ، حتى أصبح ذلك سنة دينية قد شرعها القرآن ، وألفها المجتمع فأصبحت ظاهرة لا يمكن أن تستساغ عند ذوي الألباب ، لتناقضها مع الفطرة الإلهية السليمة . ونقل عن ابن عباس أنّه قال : ((الهوى إله معبود ، وقرأ افرأيت من اتخذ إلههُ هواهُ))[٣٨].

ومن كلام له (عليه السلام) وصى به شريح بن هانئ ، جاء من ضمنه قوله (عليه السلام): ((قَد سَمتْ بك الأهواء الى كثير من الضّرر))[٣٩].

لا بد من معرفة معنى كلمة (سَمَتْ) التي وردت في كلام الإمام (عليه السلام) فقد جاء معناها في بعض معجمات اللغة : ((سما الشيء يَسمُو سُمُوّاً ، أي : ارتفع بَصَرُك إليه))[٤٠].

ويبدو أن السما هو الشيء الذي ارتفع بإتجاه السماء ، ومعنى هذه الكلمة ذو دلالة إيجابية في استعماله المتداول ، إلا إن الإمام (عليه السلام) ، هذه المرّة قد وظّف هذه اللفظة في غير سياقها ليعطي دلالة أخرى ، يمكن أن يكون لها الأثر في ذهن المتلقي ، سواء أكان المخاطب أو الآخر البعيد مكانيا أو زمانيا من متلقي نص الإمام (عليه السلام) . وهذا السمو الذي يمكن أن يعد هو نزول ليس إلا ، جاء سبب الأهواء وما كانت تمليه تلك الأهواء على شريح بن هانئ ، حيث كانت زمام الأمور بجانب الأهواء لا بصوب شريح الذي قد خضع لأهوائه. وقد وصل ذلك السمو الى الضرر والذي قد أشارت إليه اللغة : ((الضَّرُ : ((النقصان يدخل في الشيء يقال دخل عليه ضرر في ماله))[٤١].

وبهذا بدت إشارة الإمام (عليه السلام) واضحة ، حيث إن الضرر الذي لحق بشريح في اتباعه الهوى هو نقصان في إيمانه ، فارتفاع مناسيب الهوى هو شحة في منسوب الإيمان ، لذلك انتقى الإمام (عليه السلام) تلك الألفاظ التي يطول رسوخها ويشتدُّ أثرها على السامع .

ومن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية بن أبي سفيان ، جاء من جملة ذلك الكلام قوله (عليه السلام) : ((ولعمري يا معاوية ، لأن نظرتُ بعقلك دون هَواك لتجدنّي أبرأ من دَم عثمان))[٤٢].

قد قسم الإمام (عليه السلام) بعمره الشريف ، ذلك لأنّه على أتم ثقةٍ من ان معاوية بن أبي سفيان قد اتبع هواه ولم يستدل على الحق بعقلهِ لذلك أضّل

الطريـق. وهنـا كان الإمـام (عليـه السـلام) ناصحـاً لمعاويـة أن يتخـلى عـن هـواه لأن في ذلـك ضـلال وتيـه وَحيـد عـن الحـق ، والسّـبيل الوحيـد الى النجـاة هـو العقـل ، لأنّ ذلـك ميـزان عـلى النفـس فهـو الآمـر لهـا المتحكـم بشـأنها العـاصي خلجاتهـا ، وإذا أخلـد الى هـواه ذلـك مـا يجعـل رغباتـه هـي مـن تفـرض عليـه الطريـق الـذي لا بـدّ أن يختـاره ، وحتـماً سـوف يكـون ذلـك الطريـق ضـلال ، لأنـه نتيجة بديهيـة للهـوى . فمعاويـة الذي تخـلّى عـن عقلـه أمـام هـواه أسـفر ذلـك بغيـه عـلى الإمـام (عليـه السـلام) واتهامـهِ بـدم عثـمان ، تلـك الجريـرة العظيمـة التـي افتراهـا ، رغبـة لثمـن أهـواءه لم تنتـهِ بـين معاويـة والإمـام (عليـه السـلام) في زمنيهـما بـل نسـجت خيوطهـا لتطيـح بـآلاف المسـلمين لعـدة قـرون متتاليـة ، ذلـك مـا كان إلّا في إطاعـة معاويـة لأهوائـه .

ومـن كتـاب آخـر لـه (عليـه السـلام) كتبـه الى معاويـة بـن أبي سـفيان أيضـاً ، جـاء مـن جملتـه: ((أمـا بعـد ، فقـد أتتنـي منـكَ موعظـةٌ موصلـة ، ورسـالةٌ مجـترةٌ نمقتهـا بضلالـك ، وأمضيتهـا بسـوء رأيـك ، وكتـابُ امـرئٍ ليـس لـه بـصر يهديـه ، ولا قائـد يرشُـدُه ، قـد دعـاه الهـوى فأجابتـهُ ، وقـادهُ الضَـلالُ فاتبعـه))(٤٣).

وهنـا يصـف الإمـام (عليـه السـلام) ضعـف معاويـة في عقيدتـه ، وعـدم الجـدة ، إلّا مـع هـواه، فوصـف (عليـه السـلام) الهـوى وكأنـه قـد نـادى معاويـة ومـا إن كان عـلى معاويـة إلا أن يجيـب ذلـك الهـوى ، فإجابتـه للهـوى هـي بدايـة سـلوك طريـق الغـي فالهـوى هـو نقطـة انطـلاق باتجـاه الضـلال ، وكانـت نتيجـة ذلـك السـبب أي سـبب ركـوب الهـوى هـو الهَجَـر .

وقـد أشـارت كتـب اللغـة الى معنـى الهَجَـر فقيـل : ((هجـر يهجـر هجـراً إذا هـذى))(٤٤). فركـوب الهـوى هـو الزيـغ عـن الحـق، وذلـك مـا يفـضي للهذيـان أي القـول في غـير صـواب ولا معنـى ، أو مجانبـة الحـق كل هـذا كان نتيجـة محتومـة لاتبـاع الهـوى .

المبحث الثالث

معصية النفس

إن النفس هي قوة خفية في ذات الإنسان ليس بالجسدية ، لا تُدرك ، بل ندرك اندفاعاتها واتجاهاتها ، ويمكن أن تكون كل حركات الجسد ، ورغبات الإنسان هي من دوافع نفسية ، سواء أدخل ذلك في الشعور أو في اللاشعور ، ولأن الغرابة تلف هذه القوة العظيمة فقد اهتم الفلاسفة بهذا الشأن ، وتعددت واختلفت الآراء ، وكان ذلك الاختلاف غالباً فمن تلك الآراء : ((قوى النفس : قوة الفنطازيا ، والقوة المصورة ، والقوة المخيلة والقوة الوهمية ، والقوة الحافظة والذاكر))(٤٥). فتعددت قوى النفس ولكنها متخاصمة مع إرادة الإنسان في عادتها ، وكأنها شيءٌ آخر يساجل ويجادل المرء في ذاته ، إلا إن القرآن الكريم عندما جاء بين خطورة النفس وأشار في عدد من الآيات المباركات الى الابتعاد عما تريده النفس ، قال تعالى في ذلك: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ... ﴾(٤٦)، وقوله تعالى :﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى** ﴾(٤٧).

وبهذا إشارة كافية للحذر من النفس ومغباتها ، والابتعاد عما تطلبه ، وكأنها قوة أودعت في كيان الإنسان على توتر مع العقل والمنطق البديهي .

وهنا فقد حذّر الإمام علي (عليه السلام) من طاعة النفس في رَغَباتها ، وضرب الأمثال من القرآن الكريم ، فمن كلام كان يوصي به أصحابه: ((وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) نَصباً بالصلاة بعد التبشير لهُ بالجنةِ ، لقول الله سبحانهُ : ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾ ، فكان يأمر أهله ويُصْبر عليها نفسه))(٤٨).

وهنا يشير (عليه السلام) الى أن الرسول كان في صلاته يُصبر نفسه . وبهذا يمكن أن يريد تبيان شيئ ، وهو إن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بعظمته كان يصبر نفسه على طاعة الله تعالى ، والصلاة هي ترويضاً للنفس ، وتنزيهاً لها إلا إن الإمام (عليه السلام) جعل النبي (صلى الله عليه وآله) مثالاً للناس في هذا الأمر ، وفي ذلك يريد أن يجعل النبي أسوة حسنة يُقتدى بها حتى في ترويض النفس ، يريد أن يبين خطرها إذا ما روضت بالعمل الصالح ، وفي مقدمتها الصلاة، وهذه دعوة قد دعا بها القرآن الكريم من خلال النص القرآني الذي مرّ ذكره ، وبهذا أراد الإمام (عليه السلام) أن ينذر الناسَ من هذا الخطر والذي هو متلبسٌ في ذواتهم .

ومن كلام له (عليه السلام) ، وفيه كان يشير الى السالك طريق الله تبارك وتعالى : ((قد أحْيا عقلهُ ، وأمات نَفسهُ ، حتى دَقَّ جليلُهُ ولطف غليظه))(([٤٩])) . وهذه الصفات التي نقلها الإمام (عليه السلام) عن السالك طريق الله ، وكأنها أفعال قام بها في تغيير الأدوار فبدلاً من أن تكون الحياة للنفس ، قد أماتها والموت للعقل إذا اشتدت رغبات النفس ، فهو قد أحياه ، وفي هذا إشارة أخرى في كلامهِ (عليه السلام) هي يمكن أن الفطرة الإنسانية هي مجبولة على الانقياد الى النفس، وفي ذلك يكون دور العقل قد انحسر وتراجع ، فبدأت النفس بسطوتها ، لكن هناك من سعى الى الله ، قد عمد الى إماتة نفسه ومحاربة أهواءها .

ومن كتاب له (عليه السلام) بعثه الى معاوية بن أبي سفيان ، ومن جملة كلامه (عليه السلام) : ((وإن نفسك قد أوحلتك شراً وأقحمتك غيّاً ، وأوردتكَ المهالك، وأوعَرَت عليك المسالِكَ))[٥٠]. يحذّر الإمام (عليه السلام) معاوية من نفسه ، فقد قادته نفسه ، فأذعن وأطاع ، وكانت من نتائج تلك الطاعة أوحلت

بـه شرّاً ، والوحـل هـو الطـين الرقيـق[٥١]، وهنـا يشـير الإمـام (عليـه السـلام) إن تلـك النفـس التـي تحـدث عنهـا قـد أركسـت صاحبهـا في الطـين ، فهـو لا يمكـن لـه الرجـوع الى الطريـق السـوي إلّا بصعوبـة ومـا للوحـل مـن صفـة ترفضهـا النفـس ذاتهـا ، أراد بذلـك أن يستشـعر معاويـة ذلـك الخطـر الـذي يحيط بـهِ مـن نفسـه ، فلـم يـرَ ـــ عليـه السـلام ـــ أن الوعـظ الديني ينفـع مـع الذيـن سـاقتهم نفوسـهم ليرضـوا بالحياة الدنيا بـدلاً مـن الآخـرة ، فجـاء (عليـه السـلام) بمتتاليـة اسـتعارية إذ اسـتعار بعـض الصـور اللفظيـة التـي يمكـن أن تؤثـر بالسـامع مـن خـلال إبصـاره لمـا أغفـل عنـه ، وبعدهـا ـــ عليـه السـلام ـــ قـال لـه : (وأقحمتـك غيّـاً)، والاقحـام في المعنـى اللغـوي هـو ايقـاع النفـس في الشـدة[٥٢] . وهـذا يعنـي إنـه قـد أوقعتـه نفسـه في شـدة وهـذا إتمـام لمعنى الوحـل ، والوقـوع بـه شـدةٌ في عينهـا ، وهنـاك قـد تراكمـت المعـاني اللغويـة التـي تشير الى هـدف واحـد هـو تكثيـف المعنى ، لعـل الآخـر المخاطـب يشـعر بعظيـم ذلـك الذنـب ، فيكـون هـذا الـكلام حائـلاً أمامـه مـن أن يتعـدى الى أكثـر ممـا وصـل اليـه ، وهنـا لا بـد مـن معرفـة معنـى (الغـي) الـذي جـاء تبعـاً للفظـة (أقحمتـك) ، فقيـل عـن الغـي هـو : ((سـوء التـصرف في الـشيء واجـراؤه عـلى مـا يسـوء عاقبتـه))[٥٣].

ومـن هـذا المعنـى اللغـوي نسـتدل أن الإمـام (عليـه السـلام) كان يعنـي أن معاويـة لم يحسـن التـصرف في أحـوال النـاس وهـو منقـادٌ الى نفسـه ونفسـه تقـوده مـع النـاس الى طريـق الهـلاك ، وأوردتـه المهالـك كـما وصفـه (عليـه السـلام) في نهـج البلاغـة[٥٤] . فنلاحـظ تلـك النفـس الأمـارة إنهـا لم تهلـك صاحبهـا فحسـب ، بـل إن ضـلال صاحبهـا يعنـي ضـلال أصحابـه ، وبهـذا فـإن هـدم الإنسـان هـو هـدم للمجتمـع فهـو لبنـة مـن لبناتـهِ الأساسـية .

لذلـك نلاحظـه (عليـه السـلام) مـرة يّركـز عـلى بنـاء الانسـان الواحـد ضمـن

الجماعـة ، ومـرة يريـد بنـاء المجتمـع سـوية .

ومـن كتـاب لـه (عليـه السـلام) الى عثـمان بـن حنيـف عاملـه عـلى البـصرة ، وقـد بلغـه أنـه دعـي الى وليمـة[٥٥]. وبعـد كلام يشـتد فيـه عتـاب الإمـام (عليـه السـلام)لابن حنيـف ضمـن إطـار الوعـظ والتحذيـر وقـد تعـرض لأرضِ فـدك بالذكـر، فقـال: ((ومـا أصنَـعُ بفـدك وغـير فـدكٍ والنفـس مظانُّهـا في غـدٍ جَـدَث، تنقطـع في ظلمتـه آثارهـا))[٥٦].

وهنـا (عليـه السـلام) يشـير هـذه المـرة الى نفسـه الزكيـة ، فهـي ليسـت كغيرهـا مـن النفـوس فهـي النفـس المطمئنـة ، وكيـف لا تكـون كذلـك وقـد ولـدت ونشـأت وتربـت في حجـر رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه) ، والإمـام (عليـه السـلام) هنـا قـد أشـار في قولـه (والنفس مظانُها في غدٍ جَدَث) ، ولم يقـل العقـل ، لأنّ قضيـة المـوت قـد اختـص بهـا العقـل ، لأنهـا تحتـاج الى تفكـر وتدبـر ذهنـي ، مثلـما الإيـمان يرسـخ في القلـب ، فـلا بـد أن يكـون ذلـك الرسـوخ قـد تنـدّى مـن خـلال العقـل ، فالنفـس أينـما يـرد ذكرهـا في القـرآن الكريـم فهـي تشـير الى الرغبـات ، وعـادة تتضـاد مـع العقـل وتتخاصـم مـن خـلال قـوى النفـس العقليـة والعاطفيـة ، إلا أن الإمـام (عليـه السـلام) قـد ذكـر النفـس وهـو يشـير الى نفسـه الطاهـرة كـما أسـلفنا ، وكأنهـا هـي التـي تتدبـر في غـدٍ وقـد أيقنـت بالمـوت الـذي لا بـد مـن ملاقاتـه ، وقـد قابـل ذكـر أرض فـدك بالجـدث وهـو القـبر كـما أشرنـا ، ليبـين أن لا قيمـة لسـعة الأرض أمـام ضيـق القـبر ، وفي كل هـذا إشـارة وعلامـات للمتدبريـن في أخـذ الحـذر، فمـن هـذا نسـتدل أن الإمـام (عليـه السـلام) جعـل مـن ذكـر نفسـه مختلفـة عـن نفـوس الآخريـن ، ففـي الوقـت الـذي نفوسـهم تطلـب الدنيـا فنفسـه تعـرض عـن الدنيـا وترجـو الآخـرة ، فالإمـام (عليـه السـلام) قـد بـين أن بـين عقلـهِ ونفسـه علاقـة تـوازي ، لا علاقـة توتـر كـما في

بناء الإنسان الآخر ، فقد اتحدت نفسه مع عقله ، ولم يكن ذلك إلّا بسبب ترويض النفس وصد رغباتها ، وبهذا أعطى (عليه السلام) درساً في كيفية غَلَبَة النفس إن أراد الإنسان أن يكون هو متولي عليها .

وقد أتمّ قوله (عليه السلام) في حديثهِ المتواتر عن النفس ونصرة الذات عليها فقال: ((وإنما هي نفسي أروضها))[٥٧] هنا لا بدّ من معرفة معنى كلمة أروضها التي وردت في كلام الإمام (عليه السلام) للأثر الكبير الذي تتركه في السياق ، فجاء في كتب اللغة: ((رُوضْتُ الدّابة أرُوضُها رياضة أي علّمتُها السَّير))[٥٨]. فنلاحظ استعمال الإمام (عليه السلام) للفظة أروضها أو التي هي الصبر على المعاصي والابتعاد عن ما يشين من خلال معصية النفس ، ومسايرتها صوب النجاة ، وجاء كلامه ــــ عليه السلام ــــ عن ترويض النفس ، لعل سائل يسأل إن القرآن الكريم ، قد وصف النفس هي التي تدفع الى السوء ، من خلال ما جاء في قوله تعالى :﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[٥٩]، فترويض النفس الذي وصفه ــــ عليه السلام ــــ ، هو ما يتوافق مع قوله تبارك وتعالى ﴿**إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ**﴾ ، فترويض النفس هو رحمة من الله تعالى للخلاص نفحات الشيطان .

وقبل أن يختم كلامه (عليه السلام) في الخطبة ذاتها ، يقول : ((ولكن هيهات أن يغلبني هواي))[٦٠]، فختم الإمام (عليه السلام) كلامه بـ (هيهات) ومعناها اللغوي كما أشارت معجمات اللغة هي كلمة تبعيد[٦١]، وهنا يريد أن يفارق ذهن السامع بكلمة ذات دلالة شديدة بالبعد والافتراق بينه وبين نفسه ، ولابد أن يكون هو الغالب لها ، والإمام (عليه السلام) قد تكررت عنده لفظة هيهات في مقارعة النفس، عندما قال: ((لأروضنَّ نفسي رياضةً تَهن معها الى القرص))[٦٢]،

هذا حتى يزيد من زخم المعنى عن المتلقي من خلال تكرار اللفظ ، وجاء ضمن كتابه الذي بعث به الى عثمان بن حُنيف قوله: ((طُوبى لنفس أدّت الى ربها فرضها، وعَركت بجنبها))[٦٣]، هنا لا بدّ من معرفة معنى طوبى التي ضمنها الإمام (عليه السلام) في كلامهِ لأنّها تثري الكلام بعمق معنوي ، فطوبى في الأصل الديني هي من الألفاظ القرآنية التي تأثر بها (عليه السلام) حتى أصبحت سمة للغتهِ عامة، فقد جاء قوله تعالى : ﴿... **طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ**﴾[٦٤].

ولم يتفق علماء اللغة على معنى واحد لهذه اللفظة ، فقد تعددت معانيها ، لكنها جميعاً تشير الى الدلالة الحسنة ، وهي لا تخلو من رائحة الثواب ، فقيل طوبى لهم معناه خيرٌ لهم وقالوا طوبى اسم الجنة بالحبشية ، وآخر قال هو اسم الجنة باللغة الهندية[٦٥]. وكل هذه الآراء هي تشير الى المعنى الحسن كما أسلفنا ، فإذا كانت الجنة هي طوبى ، فالإمام طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ يقول الجنة لمن استطاع أن يقود نفسه لتؤدي فرائض ربها وتأدية الفريضة يقابلها ترك المعصية، وإذا كان معنى طوبى هو الخير كما أشار آخرون من أهل اللغة ، فالخير لمن كانت نفسه بيده ، وهذا كلام منه (عليه السلام) هو دافع معنوي للاستقامة على طريق الحق والاعراض عن بُنيات الضلال . ثم بعد ذلك أتم قوله ـــ عليه السلام ـــ عطفاً على ما بدأ في حديثه عن النفس ، وقال : ((وعركت بجنبها بؤسها))[٦٦]، وكلمة عركت التي استعملها الإمام (عليه السلام) جاء معناها في معجمات اللغة من الأصل عرك: ((عركت الشيء أعركه عركا : دلكته))[٦٧]. لقد استعار الإمام (عليه السلام) هذا الفعل من الدلك ، وجعل منه لفظاً ذا معنىً للنفس ، وكأنها تدلك البؤس الذي أصابها من معصيةٍ أو هلال وتضعه الى جانبها للخلاص منه ، وهناك معنى نفسي كبير بذره الإمام (عليه السلام) في نفس المتلقي ، وهو إن عملية الدلك هي أشبه

بعملية تنظيف الجسد ، وكأن ذلك البؤس الذي تلّبس بالنفس هو شبيه بالأوساخ التي غطت الجسد ، وعملية الدلك هي أشبه بعملية الصراع مع النفس وتجريدها من الخطأ والعمل بالتقوى فهو من يدلك تلك الذنوب لقوله تعالى : ﴿... **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**...﴾[٦٨]. فاقتراف الحسنة يعني درء للسيئة في وقت الحصول على الحسنة ومغفرة السيئة التي قد ارتكبها قبل هذا.

الخاتمة

لا يوجد بحث يخلو من الصعوبة أثناء كتابتهِ ، فكل البحوث العلمية لابدّ أن تمرّ بمراحل معقدة تنتاب الباحث ، سواء إن كانت تلك الصعوبات في أيام جمع المادة أم في المراحل التي تليها أثناء عملية الكتابة . وهذا البحث لا يختلف عن غيره فيما واجهه من صعوبات ، كان سببها الأول هو لتشابه فصوله ، وكما أشرنا الى ذلك التداخل بينها في مقدمة البحث ، وهذا كان عائقاً في طريق البحث، وكيفية توزيع الأفكار على تلك المباحث المتداخلة الى حد كبير في مضامينها .

أما النتائج التي توصل إليها البحث فقد جاءت على نقاط عدة ، كان منها :

* حذّر الإمام علي (عليه السلام) من الدنيا ومن الهوى والنفس ، باعتبار أن الدنيا هي الساحة ، أو المكان الذي يعصى الله فيه ، من خلال دفع النفس واذعان الهوى .

* أراد (عليه السلام) أن يجرد الإنسان من كل ما يشين المرء ، وحثّ على بناء الإنسان من خلال الاتجاه به الى الكمال الانساني ، والذي يمكن للمرء أن يدركه إذا أراد أن يخاصم نفسه ويقتل جماحها .

* في كل مرة (عليه السلام) يحذر أو ينهى الناس من معصية الله ، كان يجعل نفسه (عليه السلام) مثالاً لهم في تركهِ الهوى والاعراض عنه ، والعزوف عن الدنيا حتى لا تكون الحجة في ذلك ويجادلون عن نفوسهم الأمارة ، لأن النفس تأتي يوم القيامة وهي تجادل عن نفسها ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** ﴾[٦٩] .

* حرص الإمام (عليه السلام) أن يصل كلامه الى الغائب البعيد أكثر من

الحاضر ، وذلك حتى تتعاقب عليه الأجيال ، فهو يحمل الأثر الكبير ذاته، وهذا ما حصل بالفعل فكلامه ما زال طرياً وكأنه قد قاله (عليه السلام) ونحن نعاصره.

هوامش البحث:

١. نهج البلاغة : ٩٠ .
٢. ينظر : لسان العرب : ١١/ ١٤٢ .
٣. نهج البلاغة : ٣٤٨ .
٤. سورة الكهف : ٢٨ .
٥. سورة القصص : ١٠ .
٦. نهج البلاغة : ٤٢٩-٤٣٠.
٧. ينظر : العين : ٦/ ٩٥ .
٨. نهج البلاغة : ٤٤٢ .
٩. ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة :
١٠. ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر : ٣/ ٣٥٠ ، الغارب هو مقدم السنام .
١١. شريح بن هانئ بن يزيد بن الحارث بن كعب ، وقيل شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان الخباب : ينظر : أسد الغابة : ٢/ ٦٢٨ .
١٢. نهج البلاغة : ٤٦٨ .
١٣. الصحاح : ٢/ ٧٦٨ ، والآية ٥ من سورة فاطر .
١٤. قيل إنه شهد القادسية وله فيها أشعار كثيرة ، وهو رسول سعد بن أبي وقاص الى عمر بن الخطاب . ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة : ١/ ٣٤٠ .
١٥. نهج البلاغة : ٤٧٠ .
١٦. سورة الأنبياء : ٣٥ .
١٧. سورة البقرة : ١٧٩ .
١٨. نهج البلاغة : ٤٧٨-٤٧٩ .
١٩. سورة الروم : ٧ .
٢٠. سورة الانشراح : ١-٢ .
٢١. سورة القصص : ٧٦ .

٢٢. سورة طه : ١٢٦ .
٢٣. نهج البلاغة : ٤٧٩ .
٢٤. م، ن : ٤١٧ .
٢٥. ينظر : أساس البلاغة : ١/ ٢٧٨ .
٢٦. سورة النازعات : ٤٠-٤١ .
٢٧. نهج البلاغة : ١٠١ .
٢٨. سورة التكاثر : ٥-٧ .
٢٩. المستطرف في طل فن مستظرف : ١٠٦ .
٣٠. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم : ٥٦ .
٣١. عثمان بن حنيف بن واهب أبو عبد الله الأنصاري . من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو أخو سهل بن حنيف . ينظر : اختيار معرفة الرجال : ١٣/ ٦ .
٣٢. نهج البلاغة : ٤٤١ .
٣٣. سورة يوسف : ٥٣ .
٣٤. نهج البلاغة : ٤٥١ .
٣٥. ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر : ٤/ ٣٥٨ .
٣٦. نهج البلاغة : ٤٨٤-٤٨٩ .
٣٧. سورة النازعات : ٤٠-٤١ .
٣٨. التذكرة الحمدونية : ١/ ٣٦٦ ، والآية ٤٣ من سورة الفرقان .
٣٩. نهج البلاغة : ٤٦٨ .
٤٠. العين : ٧/ ٣١٨ ، ينظر : الغريب المصنف : ٣١٣ .
٤١. لسان العرب : ٤/ ٤٨٣ .
٤٢. نهج البلاغة :٣٩٣ .
٤٣. نهج البلاغة : ٣٩٤ .
٤٤. الفائق في غريب الحديث : ٤/ ٩٣ .
٤٥. تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ٥٤٥ .
٤٦. سورة يوسف : ٥٣ .
٤٧. سورة النازعات : ٤٠-٤١ .

٤٨. نهج البلاغة : ٣٤٥ ، والآية ١٣٢ من سورة طه .

٤٩. نهج البلاغة : ٣٦٤ .

٥٠. م ، ن : ٤١٧ .

٥١. ينظر : تاج اللغة وصحاح العربية : ٥/ ١٨٤٠ .

٥٢. ينظر : الكليات : ١٦٠ .

٥٣. التوقيف على مهمات التعاريف : ٢٥٥ .

٥٤. ينظر : نهج البلاغة : ٤١٧ .

٥٥. لقد تكرر ذكر الوليمة التي دعي اليها عثمان بن حنيف ، لتكرار الالفاظ التي جاءت متطابقة مع مادة البحث ، فمرة ذكرنا الدنيا ومرة الهوى واخرى النفس .

٥٦. نهج البلاغة : ٤٤١ . و (جدث) : الأجداث : القبور ، واحدها جَدَثٌ .ينظر : العين : ٦/ ٧٣ .

٥٧. نهج البلاغة : ٤٤١ .

٥٨. العين : ٧/ ٥٥ ، ينظر : تهذيب اللغة : ١٢/ ٤٣ .

٥٩. سورة يوسف : ٥٣ .

٦٠. نهج البلاغة : ٤٤١ .

٦١. تاج اللغة وصحاح العربية : ٦/ ٢٢٥٨ .

٦٢. نهج البلاغة: ٤٤٣ .

٦٣. م ، ن : ٤٤٤ .

٦٤. سورة الرعد : ٢٩.

٦٥. ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس : ١/ ٤٤٩ .

٦٦. نهج البلاغة : ٤٤٤ .

٦٧. تاج اللغة وصحاح العربية : ٤/ ١٥٩٩ .

٦٨. سورة هود : ١١٤ .

٦٩. سورة النحل: ١١١ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- أخبار معرفة الرجال ، تراجم ورجال الشيعة ، نسخة الكترونية .

٢- أساس البلاغة ، الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، الناشر : دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان .

٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ) ، تحقيق : علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود ، الناشر : دار الكتب العلمية .

٤- الأصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥- الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر ، الناشر : دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٨م.

٦- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، إحسان عباس ، دار الثقافة ، ط٤ ، ١٩٨٣م .

٧- التذكرة الحمدونية ، بهاء الدين بن حمدون أبو المعالي (ت ٥٦٢هـ) ، الناشر : دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ .

٨- تهذيب اللغة ، الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠١م .

٩- التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المنادي القاهوي (ت١٠٣١هـ) ، الناشر : عالم الكتب ، عبد الخالق ثروت ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

١٠- جسد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ، القاضي حسين بن محمد المهدي ، الناشر : وزارة الثقافة والإعلام ، اليمنية سنة ٢٠٠٩م.

١١- الزاهر في معاني كلمات الناس ، أبو بكر الأنباري محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت ٣٢٨هـ) ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

١٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، اسماعيل بن حماد ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر : دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٣- العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي

١٤- الغريب المصنف ، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت ٢٢٤هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، الناشر : مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

١٥- الفائق في غريب الحديث والأثر ، الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر : دار المعرفة ، لبنان .

١٦- الكليات ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي (ت ١٠٩٤هـ) ، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت .

١٧- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ) ، الناشر : دار صادر - بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ .

١٨- المستطرف في كل فن مستظرف ، الأبشيهي شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح الأبشيهي ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م.

١٩- النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي ، ، الناشر : المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

المحتويات

المحور التربوي والأخلاقي

أثر القيم الأخلاقية في بناء النفس البشرية وانعكاساتها السلوكية في المجتمع في ضوء سيرة الإمام علي (عليه السلام)

الباحث احمد محمد جواد الحكيم

الإنسان في فكر الإمام علي (عليه السلام)

أ.م.د. فلاح حسن عباس

كلية الآداب – جامعة ذي قار

الخطاب الوعظي وهدفهُ الإصلاحي في سيرة الإمام عليه (عليهِ السلام)

(جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجا)

إعداد الباحثان

أ.م .د أنسام غضبان عبود الباهلي كلية الآداب / جامعة البصرة

م. قاسم عبد سعدون الحسيني كلية التربية / جامعة ميسان

النسق القيمي التكاملي أثره الاصلاحي في مستوى تشكيل الذات السلوكية للمجتمع

بحث في ضوء عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر (رضي الله عنه)

أ. م. د. مكي فرحان كريم جامعة القادسية/ كلية التربية

أ. م. د. ضياء عزيز الموسوي جامعة كربلاء/ كلية العوم الإسلامية

دور القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في بناء الإنسان

في ضوء سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) وانعكاسها في خدمة المجتمع الاسلامي

وتوظيفها في المناهج الدراسية الجامعية مستقبلا

أ.د.صباح حسن عبد الزبيدي

جامعه بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

قيمة التواضع في كلام الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة

بوصفها مرتكزًا أساسيًا لبناء الهوية الإنسانية

د. وسام حسين جاسم العبيدي

كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) الجامعة/ بابل

الأثر القرآني في فكر الإمام علي (عليه السلام) دراسة للمبادئ التربوية في نهج البلاغة

أ.م.د. محمد كاظم حسين الفتلاوي

كلية التربية / جامعة الكوفة

المرأة في نهج البلاغة الروايات الموافقة للقرآن الكريم دراسة تقابلية

م. د. أنوار عزيز جليل

جامعة البصرة كلية التربية للعلوم الإنسانية